

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

أديان العرب قبل الإسلام

ووجهها الحضاري والاجتماعي

الأب جرجس داود داود


أديان
العرب
قبل الإسلام

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت ـ الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف ٨٠٢٤٢٨ ـ ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٢٩٦
بيروت ـ المصيطبة ـ بناية طاهر هاتف ٣٠١٠٣٠ ـ ٣١١٣١٠
ص. ب: ١١٣/٦٣١١ تلكس: LE ٢٠٦٦٥ ـ ٢٠٦٨٠ لبنان

الأب جرجس داود داود

أديان العرب قبل الإسلام

ووجهها الحضاري والاجتماعي

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الفهـــــرس

مقدمة

لا أنسى ـ منذ ثلاث سنوات ـ تلك المقابلة مع استاذنا الجليل ، الدكتور نقولا زيادة ، حين جئت ألتمس موافقته على موضوعي في أديان سكان شبه جزيرة العرب في ما قبل الاسلام ، ووجهها الحضاري والاجتماعي ، وكنت حينذاك أشتعل شغفاً للبحث فيه وانجازه في مدة سنة .

« سنة ، أجابني المشرف الخبير ، لا تكفي ، فالموضوع شائك ، والبحث يستلزم ويتطلب جهوداً من المطالعات والدراسات ، وهذا لا يحدث في نهار وليلة ، بل يستغرق سنوات ، كي يختمر عجين المادة في ذهنك فتتمكن من الاستيعاب والاخراج في اطروحة معتبرة » .

وعندما خضت البحث ، بدت لي وعورة المسالك ، وخاصة وأنا أعيش بحكم عملي ، في قرية ريفية نائية ، من شمال لبنان ، بعيدة عن بيروت مركز الجامعة ، ومستقر الاستاذ المشرف ، فالمواصلات ، بمختلف وسائلها ، تكاد تكون منعدمة ، بسبب الظروف القاهرة التي يعيشها الوطن ، مما اضطرني أن اقتني كل المصادر التي أنا بحاجة إليها ، وإن كان ذلك على حساب لقمة العيش لأطفالي الستة الصغار .

ولكن هذه المصادر لم تمدُّني بأكثر من نتف متشتتة هنا وهناك في متونها ، وقد ترد مادة بحثي في مصنفات عديدة ، منها الدينية ، ومنها الأدبية والتاريخية ونحوها .

وكنت كلما رسمت لي منهجاً أسلكه في تصنيف بحثي ، اعترضتني ناحية جديدة ، فاعاود الكرة ، مسترشداً توجيهات استاذي الكريم ، الذي

غمرني بعناية فائقة ، ومستلهماً نصائح الشيخ الجليل ، الدكتور صبحي الصالح ، مدير كلية الآداب في الجامعة اللبنانية ، اللذين شجعاني على المضي في العمل ، والصبر على عنائه ، فشققت المسلك الوعر ويقيني أن أدب كل أمة هو المرآة التي تعكس صورة هذه الأمة فتظهر محاسنها ومساوئها ، فانكببت على أدب عصر ما قبل الاسلام ، وخاصة الشعر منه عساني ألمس ، ويلمس معي القارىء ، ايمان أولئك القوم ، وانعكاس هذا الايمان على تصرفات الناس . . .

لقد اتضح لي ، وأنا أؤمن ، أنه لا غنى للإنسان ، قديماً وحديثاً ، عن دين ينير ظلام نفسه ، ويهدي نفور قلبه إلى سبل الخير ، ويثير طاقاته وقواه لتنشط في الحقّ ، لقد اتضح لي من كتب الأدب والتاريخ ، والسيرَ والأخبار ، أن العرب احتكّوا بغيرهم من الشعوب ، وأخذوا عنهم الكثير وخاصة طرق العبادة والإيمان بربٍّ السماء[1] و« أرباب الأرض »[2] . وقد رأيت وأنا أتصفّح الكتب السماوية ، التوراة والإنجيل والقرآن ، ولمست ، بذور عبادات إلهية سماوية ، من حنيفية ويهودية ونصرانية ، كما لمست وأنا أقلب صفحات الشعر لشعراء ما قبل الاسلام ، أن العرب في تلك الحقبة ، إلى جانب ايمانهم بالله ، قد آمنوا أيضاً بالعبادات الصنمية الوثنية ، وآمنوا بالخرافات والطلاس ، والسحر والجان والطيرة . . . والرقي ، مما أوحى لي : أأنهم شعب كبقية الشعوب القديمة ، تدرجوا في عباداتهم من الايمان بما حولهم من حسيات وما أدركوه بحكم البساطة والسذاجة أنه مصدر خير أو شر ، أو سمعوه فتمثلوه في الخيال وعزَوه إلى قوى الطبيعة ،

---

(1) كالاحناف واليهود والنصارى وسنرى ذلك في متن الكتاب .

(2) أي الأصنام والأوثان والأنصاب . راجع فيما بعد علاقة العرب بباقي شعوب المنطقة .

« فوثّنوه وصنّموه »(1) . ومن ثم عرفوا الله الخالق والمبدع كل الموجودات ، فاتجهوا ناحيته ، إلى أن شق لهم غشاوة الظلام الرسول العربي ﷺ بقرآنه المبين ، فآمن الوثنيون والمشركون بربٍّ العالمين .

لقد عرضت ببحثي هذا إلى أديان الجاهليين ، وقسمت البحث إلى خمسة ابواب . عالجت في الباب الأول موقع بلاد العرب ، وما لهذا الموقع من أثر في علاقة عرب ما قبل الاسلام بباقي الشعوب المجاورة من مصريين وبابليين . . . وفرس واحباش . . . . وروماني ويونان . كما أوجزت تاريخ ممالك العرب ودولهم في الجنوب والشمال وأتيت ببعض تراث هذه الدول ، الديني ، كشواهد لتلك العلاقات الانسانية .

أما الباب الثاني فقد أفردته لـ « عبدة الله » من الجاهليين وأماكن تواجدهم وطرق عباداتهم وأثرهم في عرب الجاهلية .

والباب الثالث تطرقت فيه إلى الوثنيين منهم وحاولت جهدي جمع اسماء اصنامهم واوثانهم وكيفية عبادتها وطرق التقرّب إليها .

والباب الرابع كان محط رحل عبّاد النجوم والصابئة . ولم أنسَ عبادات العرب الأخرى وقد جمعت شتاتها من ثنايا كتب الدين والأدب فاستكشفت خفايا الأرواح وما تشمله من ملائكة وجن وبيّنت مواطنها وأصنافها من غيلان وسعالي وما اعتقده الجاهليون فيها وأفردت لذلك الباب الخامس .

لقد حاولت أن أنهض بهذا العبء ، وأنا عالم ثقله ، فإن كثيراً من معالم تلك الأديان لا يزال يغمرها غير قليل من الظلام ، إما لقلة ما بين ايدينا من ذلك التراث ، وإما لأن الباحثين لم يكشفوا دروب مناجمها كشفاً كافياً .

---

(1) جعلوه وثناً وصنماً .

ومعنى ذلك أن هذا البحث في أديان الجاهليين ، لا أزعم أنه يحمل إلى القراء الصورة الأخيرة والحقيقية لإيمان عرب الجاهلية ، وإنما اعترف أنها الصورة التي استطعت رسمها مع ما بذلت من جهد وتحرَّيت من دقة. ففي الحقيقة ، إن بحثاً من هذا النوع واسعٌ جداً ، سعة أرض شبه جزيرة العرب ، ومسلكه وعرٌ ، وعورة مسالك بيدائها ، ولا بُد أن يُستوفى بالاستقصاء والتحليل ، ليأتي دراسة موضوعية تضمُ عدة مجلدات تحيط بهذا الموضوع وتوفيه حقَّه من التمحيص . وهذا البحث المتواضع أصغر من أن يتضمن بمحتواه سفر اديان الجاهليين . . . إنه اطلالة سريعة على وجود الأديان وتنوعها خلال تلك المرحلة . . . إنه كوة صغيرة تفتح الباب لباب أوسع في المستقبل .

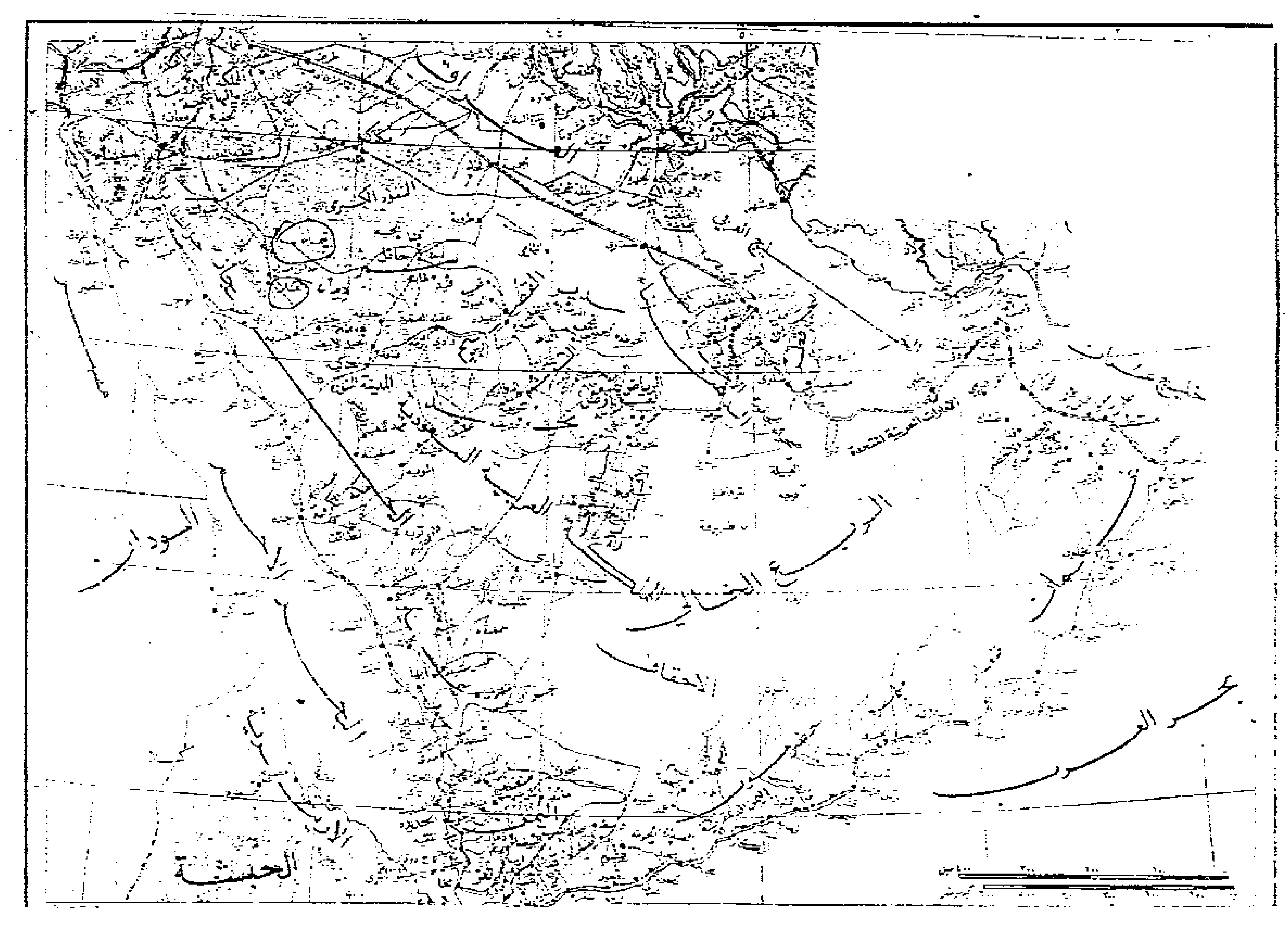
وأخيراً فإني اعترف ، انني قد حاولت أن أجعل من بحثي هذا بناء متكامل الأطراف ، بدعاماته واعمدته الضخمة ونقوشه البارزة ، وبواباته الشامخة ، وربما أغنى هذا البناء بعض المشاهدين عن رؤية ذريرات الرمل والحصى التي تكمل البناء فصرفوا النظر عن هذه واكتفوا بتلك ، وهذا ما لا أطمح إليه ، لأنه يجب أن لا يكتفي المرء بما يبين للعين ، فالخفي عنها في أكثر الأحيان هو الأهم والأكبر ، وهو الأصل والحقيقة . . . وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىءٍ ما نوى » .

الله أسأل أن يلهمني السداد في الفكر والقول والعمل ، وهو حسبي إن أديت ما ابتغي برجاء النفع الدائم .

والله ولي التوفيق .

المؤلف

شبه جزيرة العرب





الباب الأول

موجز في جغرافية العرب الجاهليين وتاريخهم

الفصل الأول :

الجزيرة حلقة اتصال بين الثقافتين القديمتين مصر وبابل

إن بلاد العرب شبه جزيرة في الجنوب الغربي من قارة آسيا ، تحيط المياه بها ، مياه البحر الأحمر ، وبحر العرب ، والخليج العربي ، من جهاتها الثلاث : الشرق والجنوب والغرب .

وتتداخل في شبه هذه الجزيرة بادية الشام حتى الفرات شرقاً ، وأرض الحضر في بلاد الشام غرباً ، كما تتداخل فيها بادية فلسطين وطور سيناء الى مرابع النيل[1] .

إن سطح شبه الجزيرة ينحدر تدريجياً من الغرب ونحو الخليج العربي . وأعلى جبالها السراة يقع ضمن سلسلة تحاذي الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وتنحدر هذه الجبال الى جهة الغرب بشكل فجائي وقصير المدى[2] . وإلى الشرق من هذه الجبال تطالعنا هضاب نجد ثم الصحارى والدارات[3] . ونستطيع تمييز ثلاث مناطق من الصحارى :

---

(1) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . دار العلم / بيروت / الطبعة(2) 1978 . ج1 / ص35

(2) فيليب حتي : تاريخ العرب . دار غندور . الطبعة(5) 1974 ص41

(3) الدارات : سهول رملية مستديرة بين التلال .

أولا : النفود : وهي قفار متسعة ذات رمال بيضاء أو محمّـرة تسفيها الرياح فتجعل منها كثباناً تغطي جزءاً كبيراً من شمال شبه الجزيرة وكثيراً ما تُعرف النفود بالبادية وأحياناً بالدهناء[1] .

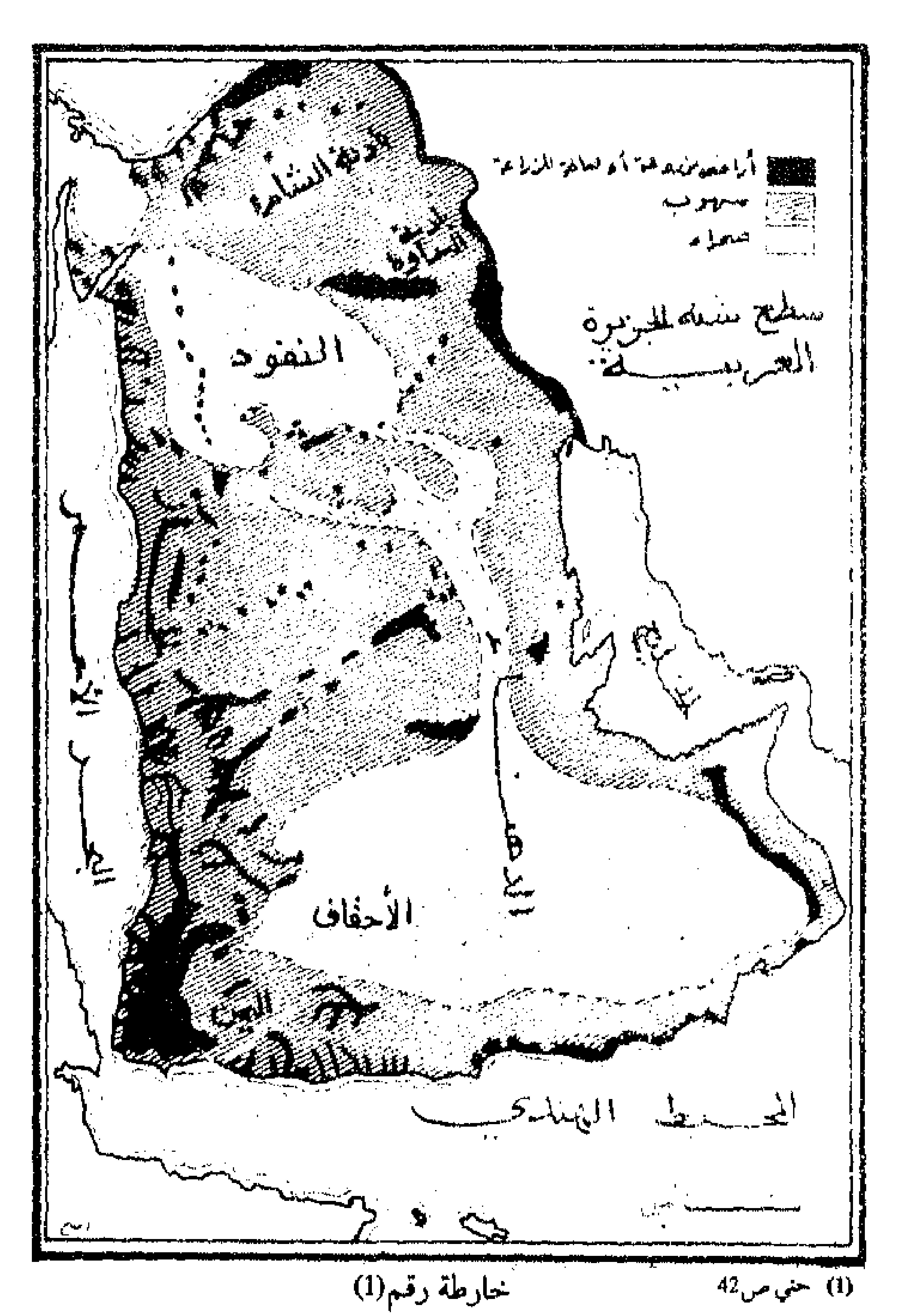
ثانياً الدهناء : مما سبق من التعريف تبين أن الدهناء هي النفود والعكس صحيح . أما موقع الدهناء فهي على ملامسة من النفود شمالاً والربع الخالي جنوباً[2] .

ثالثا : الحرّات : وهي بقاع من الحجارة الرملية تعلوها الحمم والبراكين القديمة ، وتكثر في أرض الجزيرة الغربية والوسطى[3] .

ولقد نقل ياقوت الحموي عن « أبي المنذر هشام ، بن السائب ، عن ابن عباس » : أن العرب سمت بلادها جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها[4] . كما ينقل وعن نفس المصدر ان هذه الجزيرة التي نزلها العرب وأقاموا بين ظهرانيها وتوالدوا فيها ، تقسم الى خمسة أقسام في أشعار العرب وأخبارهم وهي : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن[5] . يقول أحد المعمّـرين يحدّد طول الجزيرة :

لم يبق يا خدلة من لِداتي أبو بنين ، لا ولا بنات
من مسقط الشّحر إلى الفراتِ إلا يُعدُّ اليوم في الأمواتِ
هل مُشترٍ أبيعهُ حياتي[6]

(1) حتي ص41
(2) نفس المصدر
(3) نفس المصدر ص43
(4) ياقوت الحموي : معجم البلدان . دار صادر2 / 137 .
(5) نفس المصدر
(6) نفس المصدر2 / 138



خارطة رقم(1)

(1) حتي ص42

فبلاد العرب ، وهذا سطحها وأكثره صحاري يعجّ بالرمال ، هي من أشد بلاد العالم جفافاً وحراً على الرغم من إحاطة المياه بها إحاطة السوار بالمعصم تقريباً ، فلا تهطل الأمطار إلا على أطرافها الجنوبية والغربية وخاصة على جبال وهضاب (مَهْرَة)[1] ، حيث تنمو الأشجار وأهمها (اللبان) ، الذي كان نواة التجارة العربية الجنوبية . أما المناطق الداخلية فنادراً ما ترى المطر الذي اعتبره العربي رحمة من الله ، فسماه الغيث أي الرحمة والنصرة[2] . . . وإذا ما سقط سارعت القبائل إلى مكان سقوطه حيث ينبت الكلأ لمواشيها ، مما سبب في ظعن العربي الدائم وعدم استقراره .

وفي مفهوم هذه الملامح السريعة لأرض العرب وبالنظر إلى خريطة المنطقة ووقوع أرض العرب ما بين (مصر وبابل) مهد الحضارات ، وعدم وجود العوائق الطبيعية الحقيقية التي تحد من سبل الاتصال بين حضارات العالم القديم وسكان أرض العرب ، نرى بوضوح كيف كانت شبه جزيرة العرب حلقة اتصال دائم بين شعوب العالم القديم . وإذا جاز لنا أن نضم ثلاث دول نشأت في أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية وهي : بابل القديمة ، دولة الأكديين ، وأشور وبابل الحديثة (دولة الكلدانيين) ، تحت اسم واحد هو بابل نستطيع القول عند ذاك أن بلاد العرب كانت عقدة تربط بين مركزي الثقافة القديمة (مصر وبابل)[3] . فمن وادي الرافدين حيث حضارة بابل نجد طريقين بريتين توصلان إلى آسية الصغرى وإلى المنطقة السورية ومن المنطقة السورية تمتد طريق برية ساحلية إلى مصر ، بينما تخترق شبه الجزيرة العربية عدة طرق ، إحداها من اليمن إلى سوريا عن طريق

---

(1) حتي ص45

(2) نفس المصدر ص44

(3) انظر فيما يلي من فصول صلة قدامى العرب بالبابليين والأشوريين والكلدانيين . انظر خارطة رقم(2) بعد صفحتين .

مكة ، وأخرى من اليمن الى وادي الرافدين عن طريق نجد والمنطقة الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة ، وثالثة بين اليمن والمنطقة الشرقية وهكذا[1] . وقد ظهرت آثار هذا الاتصال بشكل واضح سواء من حيث التأثيرات الفنية والأدبية والفكرية والدينية ، أو من حيث العلاقات السياسية والنزاعات العسكرية[2] . على أن ثقافة أهل الجزيرة وإن كانت محلية شبه صرفة ، فقد حاكت الثقافات في وادي النيل وما بين النهرين[3] . لقد تأثر عرب الجاهلية بقدماء المصريين ، ومن البديهي أن يحصل ذلك من جراء التماس بين أرض مصر وشبه جزيرة سيناء[4] حيث يمر خط بري ، وجنوبا حيث تقرب الجزيرة من افريقيا عند باب المندب[5] لقد اهتم المصريون القدامى بشبه جزيرة العرب لما فيها من لبان ونحاس وفيروز .

إن بدو سيناء ، على ما يبدو ، قد سلكوا الطريق التي تربط سوريا بمصر ، وباعوا النحاس ، والفيروز في أسواق الفراعنة[6] .

إن هناك أدلة تاريخية تثبت وجود اتصال بين المصريين القدامى والعرب ، فقد عثر العالم « بتري » على قطعة من العاج في ضريح ملكي للسلالة الفرعونية الأولى نُحت عليها رسم رجل سامي ، مكتوب على الرسم « آسيوي »[7] . وإن أول مصري يجوب بلاد العرب ، ويُبقي لنا أثراً ينبىء

---

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى . العرب في العصور القديمة . دار النهضة العربية . / بيروت / 1979 الطبعة الثانية . ص29 انظر خارطة رقم(3) الصفحة التالية .

(2) نفس المصدر .

(3) حتي ص60

(4) عدّها بعضهم امتدادا طبيعيا لشبه جزيرة العرب . حتي ص62

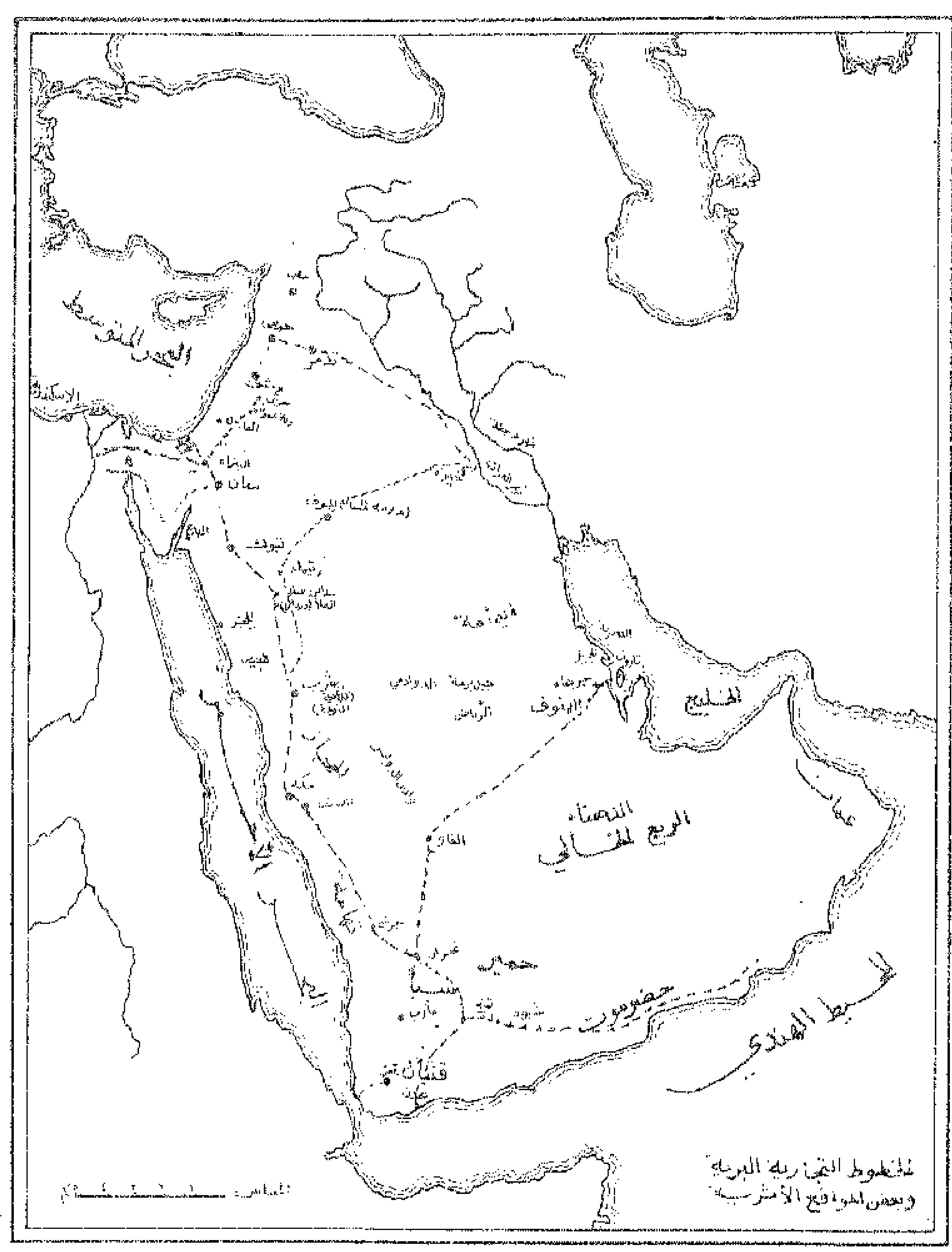
(5) نفس المصدر .

(6) نفس المصدر .

(7) نفس المصدر . ويرجّح حتي انه عربي .



خارطة رقم(2)


الخليج
الربع الخالي
حضرموت
قتبان
تبوك
الحجر
الخطوط التجارية العربية
وبعض المواقع الأثرية

خارطة رقم(3)

عن رحلته ، هو « سنوهي » الذي ظهر (2000-1970 ق . م) وأشار إلى نفسه بلقب « ملك بين البدو »[1] .

وإلى جانب المعادن التي جذبت المصريين إلى سيناء ، كان هناك البخور الذي يستخرجونه من شجر « اللبان » حيث ينمو بكثرة في جنوبي شبه الجزيرة . وقد كان المصريون بعد حصولهم على البخور من التجار العرب « يحرقونه في هياكلهم ويستعملونه في تحنيط موتاهم »[2] .

أما البابليون فلم يتركوا المصريين يستقلون بالمصالح التجارية في أرض العرب ، فقدنازعوهم في تجارة المعادن والبخور وسوف نرى في فصول لاحقة سبل هذه المنازعات وتأثيرها في عرب الجاهلية .

---

(1) نفس المصدر عن Ancient Records of Egypt. 1- 490.

(2) حتي ص 63

الفصل الثاني

صلة قدامى العرب بالعبرانيين

إن العبرانيين هم أحد فروع الشجرة السامية ، ويُنسبون الى عابر أحد أجداد ابراهيم[1] سجّل تاريخهم القديم الكتاب المقدس مبتدئاً بابراهيم ، أبرام أيضاً في التوراة : ومعناه الأب الرفيع والأب المتكرم وأبو جمهور[2] ، الذي تزوج سارة اخته بنت أبيه[3] ، وخرج مع أبيه تارح وزوجته سارة وابن أخيه لوط من أور الكلدان ليذهبوا الى أرض كنعان[4] . وسكنوا بادىء ذي بدء في (حاران) حيث مات تارح[5] ، ثم انتقلوا الى أرض الكنعانيين[6] ، إن للعبرانيين صلات قديمة بالعرب إذ ينتسب كلاهما إلى جد واحد هو (عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح)[7] ، فعابر ولد ولدين هما فالج ويقطان ومن فالج خرج ابرام ، ومن يقطان تفرعت ثلاث عشرة قبيلة عربية[8] وربما

---

(1) تك 11 :14 وما بعد : ابرام بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح .

(2) تك17 :5

(3) تك20 :12

(4) تك11 :27 وأعمال7 :2-4

(5) تك11 -31

(6) تك12 :1

(7) تك10 :25

(8) تك10 :25-30 و1 أخبار1 :19-23 والجمهرة ص7 و329

كان يقطان هذا هو قحطان الذي يسميه النسابون العرب أبا يعرب[1] . ومن يتفحص الكتاب المقدس يشعر بأن أصل العبرانيين من الصحراء[2] موطن العرب . .

لقد هاجر ابراهيم من أور الكلدانيين (في العراق اليوم)[3] مع من ذكرنا آنفا بعد أن أدرك بالوحي والالهام وجود إله أبدي خالق السماوات والأرض وسيدها[4] وآمن به خالفا ديانة « أور » الوثنية ، حيث كانت مركزا لعبادة القمر وكان تارح أبوه يخدم الهة أور[5] ، هاجر الى أرض كنعان ليتسنى له عبادة إلهه .

ولم يستقر إبراهيم في مكان معيّن ، فأقام أولا في شكيم ، ثم في بيت إيل ، ومن هناك ارتحل الى أرض الجنوب التي أصابها الجدب والجوع فهاجر الى مصر ، ثم عاد ثانية الى فلسطين ليستقر عند بلوطات ممرا[6] . ورزق ابراهيم أبناء كثيرين ، اسماعيل أبا العرب ، من زوجته هاجر المصرية[7] وإسحق من سارة[8] الذي ختنه بادئا بهذا العمل العهد مع الله إلهه[9] .

وبعد موت سارة أخذ ابراهيم زوجة اسمها قطورة فولدت له : زمران ويقشان وفدان ومَدان ويشباق وشوحا[10] ، وسكن مدين وذريته من بعده

---

(1) جمهرة أنساب العرب ص329 دار المعارف . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة(4)
(2) هوشع : 9 :10 ـ أرميا2 :2 تثنية32 :10
(3) قاموس الكتاب المقدس ص596
(4) تك18 :19
(5) يش : 24 :2
(6) قاموس الكتاب المقدس ص10
(7) تك16
(8) تك17
(9) تك21 :1 -8
(10) تك : 25 :1 -5 و1 أخبار أيام1 :32

« المديانيون » ، سكنوا أرضاً كانت تمتد من خليج العقبة الى موآب وطور سيناء ، وكانوا يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر ، وقد كانوا في رفقة الاسماعيليين لما بيع يوسف[1] ، فسميت هذه الأرض باسمهم ، وقد سكنها الاسماعيليون كما سكنها موسى فيما بعد[2] وتزوج ابنة كاهن مدين[3] ويقول ياقوت عن مدين هذه : إنها اسم لقبيلة ، وهي أيضاً مدينة محاذية لتبوك وقد سُميت باسم مدين بن ابراهيم[4] وبهذه المدينة استقى موسى الماء لبنات شعيب . وقد ذكر القرآن الكريم مدين وشعيباً هذا في أكثر من موضع[5] وقال كثير فيها :

رُهبان مدين والذين عهدتُهم يبكون من حذر العِقاب قُعودا

وقال أيضاً :

رُهبان مدين لو رأوكِ تنزلوا والعُصمُ في شعفِ الجبال الفادر[6]

والذي يتتبع أخبار التوراة يجد أن اسماعيل وأبناءه « نبايوت بكره وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسّا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة »[7] قد أقاموا في مناطق[8] لا تزال تعتبر من صميم أرض الجزيرة العربية ، ولم يكونوا بعيدين عن انسبائهم وأولاد أبيهم ابراهيم من زوجتيه سارة وقطورة .

---

(1) تك 37: 28
(2) خروج : 2: 15- 22 وعدد 10: 29
(3) خروج : 2: 15- 22
(4) معجم البلدان 5 / 77 صادر
(5) الأعراف 7 / 85 والتوبة 9 / 70 وهود 11 / 84، 95 والقصص : 28 / 22
(6) معجم البلدان : 5 / 78
(7) تك 25: 12
(8) تك 25: 18 (1) صموئيل 15: 18

إن الله ينادي ابراهيم قائلا : « إنه باسحق يدعى لكَ نسلٌ . وابن الأمة (هاجر) أيضا أجعله أمّة فإنه نسلك »[1] وبقيت اواصر القربى تشدهم الى بعض فيتزوج « عيسو » ابن اسحق « مَحْلة » بنت اسماعيل بن ابراهيم اخت نبايوت[2] . ولقد كان بين الأوس سكان المدينة قوم يُقال لهم « النبيت » ربما يعودون بنسبهم الى نبايوت بكر اسماعيل كما أن الكثيرين يرجعون الأنباط مؤسسي مملكة النبط[3] ، الى نبايوت والشاعر قيس بن الخطيم يفتخر بالنبيت هؤلاء فيقول :

ويثربُ تعلمُ أنّ النبيت راسٍ بيثرب ميزانها[4]

ويقول أيضا :

وقد علموا أنّ ما فلّهم حديدُ النبيت وأعيانُها[5]

ويقول أيضاً :

فلا أعرفنّكم بعد عزٍّ وثروة يُقالُ : ألا تلك النبيتُ عساكر[6]

إن الطبري ينص على أن العرب هم من « نابت وقيدر »[7] وربما يكون الطبري قد تأثر بأهل الأخبار الذين استقوا أكثر أخبارهم من قصّاصي أهل الكتاب وخاصة اليهود الذين يذكرون دائماً الابن البكر صاحب الميراث والبركة من أبيه[8] .

---

(1) تك 21: 13

(2) تك 28: 9

(3) راجع مملكة النبط فيما بعد

(4) الديوان ص72

(5) الديوان ص73

(6) الديوان ص209

(7) محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك . الطبعة الثانية : دار المعارف ـ مصر - 1 / 314

(8) تك 27: 1 وما بعدها .

إن الكتاب المقدس يكثر من ذكر « القيداريين » فهم والعرب يتجرون مع صور بالحملان والكباش والتيوس[1] . وهم أهل أخبية و غنم وابل يسكنون في العُزلة[2] . وقد غزاهم « نبوكد رصَّر » ملك بابل[1] . لقد امتدت سلطة قيدار من شرقي الأردن الى حدود مصر وقد وُجد وعاء من فضة ، في وادي طوميلات في مصر ، نقش عليه بالحروف الأرامية ما يلي : « **قينو ابن جشم ملك قيدار** .»[4] وجشم هذا ذكره نحميا[5] . ويرجح الدكتور فيليب حتي أن الفتاة الشولمية التي خلّد جمالها نشيد سليمان[6] ، كانت اعرابية من قبيلة قيدار[7] ويقول النسابون أن قيدار هو جد عدنان جد عرب الشمال[8] . وقد جاء في « جمهرة أنساب العرب » أن عدنان من ولد اسماعيل بلا شك في ذلك[9] ، وقد ورد اسم اسماعيل في القرآن الكريم في اثنى عشر موضعاً[10] . تارة مع أبيه ابراهيم وطوراً مع أبيه وأخيه اسحق وابن اخيه يعقوب . وقد جاء في القرآن الكريم أيضاً أن ابراهيم واسماعيل وضعا أسس البيت « الكعبة » بقوله : « **وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل** »[11] .

---

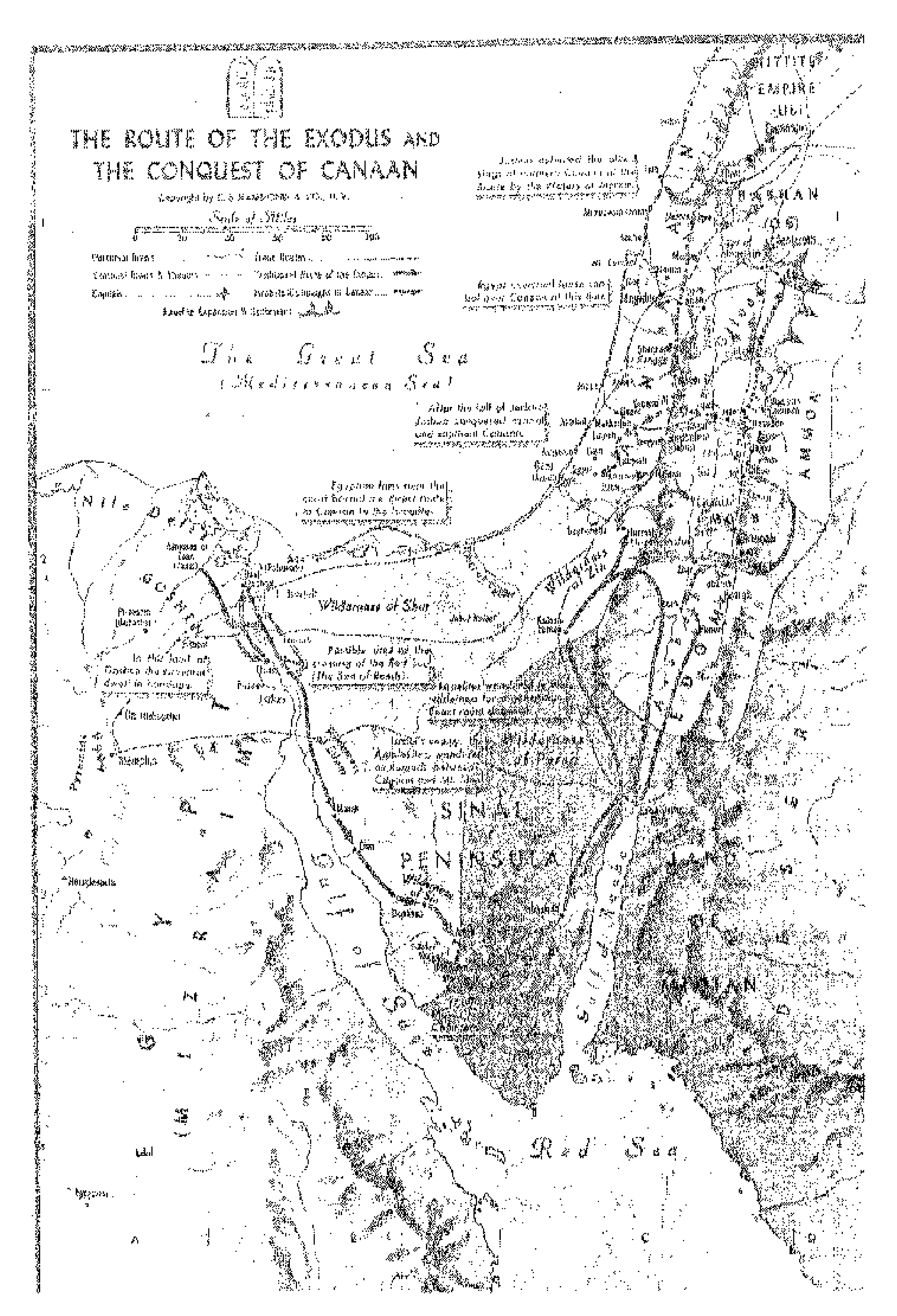
(1) حزقيال27 :21
(2) ارمياء49 :28 و31
(3) نفس المصدر
(4) قاموس الكتاب المقدس751
(5) نحميا2 :19 و6 :1 -2
(6) نشيد الأناشيد7 :1 و1 :5
(7) تاريخ العرب حتي ص73
(8) الأعلام1 ;307 دار العلم
(9) الجمهرة : ص7
(10) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص 34
(11) البقرة2 / 127

مما تقدم يتبين لنا أن العرب والعبرانيين كانوا ذوي رحم فتختلف هنا العلاقة والصلة فيما بينهم عما كانت عليه بين العرب وبقية شعوب العالم القديم كالفرس والأحباش والرومان واليونان .

لقد كان العبرانيون كالأعراب في بدء حياتهم التاريخية ، اللهم إن لم نقل أكثرهم أعرابا ، أصحاب ضأن ومعز يتنقلون من مكان الى اخر طلبا للماء والكلأ . ولقد كان أبناء يعقوب يرعون ماشية أبيهم عندما باعوا أخاهم الصغير « يوسف » لأنسبائهم في النسب المديانيين والاسماعيليين ، غيرة منه ، فحمله هؤلاء الى مصر ، ومن ثم تبعه اخوته وأبوه زمن سني القحط[1] ولم تنقطع علاقة العبرانيين وهم بمصر بأبناء بجدتهم العرب فعندما اشتد الاضطهاد عليهم من فرعون حاكم مصر هرب موسى والتجأ الى كاهن مدين وأقام عنده وتزوج صفورة ابنته[2] ورعى غنمه فساقها إلى ما وراء البرّية حتى أفضى إلى جبل حوريب ليسمع نداء الرب إلهه وإله أبيه ابراهيم[3] . يأمره بالرجوع الى مصر لانقاذ أبناء شعبه .

وعرجت قبائل العبرانيين فيما يبدو على سيناء والنفود ، وتاهت فيهما اربعين عاماً ، أثناء خروجها من مصر[4] . ومن على جبل حوريب ذاته أعطى الرب الإله الوصايا العشر إلى موسى[5] . ويموت موسى في التيه على مرأى من أرض الميعاد وقبل أن يدخلها فيتسلم قيادة الشعب يشوع بن نون[6] ويعبر

(1) تك37 / 27 وما بعد و42 / 1 وما بعد و47 / 1 وما بعد .
(2) خروج : 12 / 15 -22
(3) خروج3 / 1 وما بعدها .
(4) خروج16 :35 انظر الطريق التي سلكوها على الخريطة رقم(4) .
(5) خروج2 :1 و24 :8
(6) يشوع1 :10 و11


THE ROUTE OF THE EXODUS AND
THE CONQUEST OF CANAAN
The Great Sea
(Mediterranean Sea)
Wilderness of Shur
SINAI
PENINSULA
Red Sea
EMPIRE

خارطة رقم(4)

الأردن الى أرض الميعاد ويقسم الأرض على الأسباط . وظهر بعده القضاة وعددهم أربعة عشر قاضياً آخرهم وأعظمهم صموئيل الذي نصّب شاول أول ملك على العبرانيين فنظم هذا الملك شؤون دولته التي اتسعت في عهده وعهد داود وسليمان . ويقول الدكتور حتي : كان أسطول سليمان يرسو في خليج العقبة[1] ، كما يُرجّح أن « أوفير » التي أبحرت إليها سفن سليمان وأحيرام طلباً للذهب والحجارة الكريمة وخشب الصندل[2] ، هي ظفار من أعمال عمان[3] . لقد طبقت شهرة سليمان الحكيم الآفاق وسمعت بها ملكة سبأ فقدمت اليه لتختبره وهي تحمل له الهدايا على جمال مُوقَرَة من ذهب وأطياب وحجارة كريمة[4] . ومن قراءتنا لهذا الفصل من الكتاب المقدس نرجح أن ملكة سبأ هذه ملكة عربية أتت من الجنوب على الجمال . وقد اشتهر الجنوب وخاصة اليمن بالذهب والطيوب . وهذا ما يوافق قول القرآن الكريم ﴿ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾[5] وأيضاً : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ﴾[6] .

ومن أمثلة اتساع مملكة العبرانيين على زمن سليمان إنشاء هذا الملك اسطولاً بحرياً في عصيون جابر التي بجانب (ايلات) على خليج العقبة في أرض أدوم[7] . فمخر البحر ووصل الى أوفير التي يُرجح أنها ظفار التي في بلاد العرب .

---

(1) تاريخ العرب71 حتي .

(2) 1 ملوك9 :27 و10 :11 و2 أخبار9 :10

(3) حتي71

(4) 1 ملوك10 :1 وما بعدها . و2 أخبار9 :10 وما بعدها

(5) النمل27 :22

(6) سبأ34 :15

(7) 1 ملوك9 :26

لقد كان ملوك العرب على اتصال بسليمان وقد وصف الكتاب المقدس هدايا سليمان من الذهب في سنة واحدة بـ660 وزنة تأتيه منهم ومن التجار[1] .

ومن أمثلة هذه العلاقات الطيبة والحميمة بين العبرانيين والعرب نرى داود النبي والملك يجعل أحد قواد جيشه أبيل العرباتي[2] والقيّم على جماله أوبيل الاسماعيلي[3] ولم تنقطع هذه المودة فقد حمل العرب الهدايا الى يهوشافاط من بعد سليمان[4] ولكن هذه المودة تنقلب الى بغضاء على زمن يهورام فيهيج العرب الذين بجانب الكوشيين فيقتحمون مملكة يهوذا ويسبون أمواله ونساءه وبنيه إلا الابن الأصغر[5] وقتلوهم[6] . وعندما يملك عُزيا ينتقم من الفلسطينيين والعرب بمساعدة الله[7] .

وكما هو معروف فقد انقسمت مملكة سليمان من بعده الى ولديه رحبعام ويربعام (مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب)• وضعفت الدولتان خطوة خطوة إلى أن انهارت الشمالية وسُبي أهلها إلى أشور عام721 ق . م وانهارت الجنوبية وسُبي أهلها إلى بابل على عهد نبوخذ نصّر[8] . وعند السبي فرَّ بعض اليهود الى بلاد العرب وأقاموا فيها متواترين حتى ظهور الاسلام والبعض الآخر عاد من السبي وكانت بينه وبين بعض العرب

---

(1) 1 ملوك10 :15

(2) 1 أخبار11 :32

(3) 1، أخبار27 :30

(4) 2 أخبار أيام17 :11

(5) 2 أخبار أيام21 :16

(6) 2 أخبار أيام22 :1

(7) 2 أخبار أيام26 :6 -8

(8) قاموس الكتاب المقدس597

مراسلات[1] إن دلَّت على شيء فإنما تدل على الصلة المتواصلة بين العبرانيين والعرب .

ومما هو شائع وبديهي ، أنك لا تذكر انساناً ما أو شعباً ما إلا ولإعجاب به أو لمحبة وكراهية له . وهذا ما نراه دائماً في الكتاب المقدس « العهد القديم » من سفره الأول (التكوين) وحتى آخر أسفاره (المكابيون) ، وقد ذكر العرب مراراً وتكراراً كما رأينا سابقاً وأيضاً في المكابيين[2] إذ يحاربهم رئيس المكابيين يهوذا فينتصرون عليه بمساعدتهم لرئيس العمونيين . ولا ينسى حواريو المسيح ، الذين كانوا على عهد للعبرانية قبل تنصرهم ، لم ينسوا العرب فذكروهم[3] في يوم الخمسين . لقد تطرقت التوراة الى وصف العرب وسبل حياتهم وطرق معيشتهم وعاداتهم الاجتماعية[4] ، كما سمَّت بعض آلهتهم فدعته « نشرا » ولعلَّه نسر في لغة العرب وهو من أصنام العرب المعروفة فإبن الكلبي يذكر أن حِمْيرْ تعبَّدت لنسر[5] فيقول : « واتخذت حمير نسراً ، وهذا ما حدا بحمير أن تحولَ ودخولَ تبّع إليها الذي يذكره القرآن فيقول: ﴿ **أهم خير أم قوم تبّع والذين من قبلهم** ﴾[6].وأيضاً ﴿ **وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد** ﴾[7] .

وقد اختلف العلماء على تفسير لفظة تبّع الواردة في القرآن الكريم فقال بعضهم : إن تبّع كان رجلاً صالحاً من العرب أراد دخول اليمن فحالت حمير

---

(1) نحميا 6: 1 وما بعدها .
(2) مكابيون أول : 5: 6 وما بعدها و34 وما بعدها .
(3) اعمال 2: 9 وما بعدها .
(4) حزقيال 27: 21 وما بعدها
(5) الأصنام ص 11 و57
(6) الدخان 44: 37
(7) ق 50: 14

بينه وبين الدخول ، لأن دينه يخالف دينهم (عبادة الأصنام) . فقال : إن ديني خير من دينكم . قالوا : فحاكمْنا إلى النار وكان معه حبران فغلب فتهودت حمير ، وهدم تبع بيت (رئام) وهو ما كانوا يعظمون وينحرون عنده[1] .

والتحاكم إلى النار تقليد معروف عند اليهود وقد قام به إيليا النبي الذي كان يقضي الكثير من وقته في البرّية[2] والذي كان غاضباً على ايزابيل ملكة اسرائيل وزوجها اللذين قادا شعب اسرائيل الى عبادة البعل . وقد طلب هذا النبي من الملك أن يجمع الشعب الى جبل الكرمل وأن يحضر أنبياء البعل ومحرقة تقدم ويصلى عليها من قبل أنبياء البعل ومنه ومن تستجاب صلاته وتأتي نار من الهه لتلتهم المحرقة فهو صاحب الحق وإلهه هو الاله المعبود[3] .

لقد سكن اليهود بلاد العرب من جراء تنقلهم المستمر كما رأينا ومن جراء تعرض دولتهم للسبي مرتين على عهد أشور وبابل وكذلك بعد خراب أورشليم عام70 م على يد الرومان فتوغلوا حتى وصلوا تيماء ويثرب ومكة المكرمة ومن هناك في الحجاز إلى اليمن وغيرها من ممالك الجنوب . . ولحتمية تماسهم المستمر من جراء هذا التنقل بينهم والسكنى معهم ، لا بُدَّ أن يكونوا قد تركوا طابعاً دينياً وفكرياً عند العرب وتأثروا هم بدورهم بعادات العرب ومآثرهم . فها هو النبي أيوب يتحفنا بأنفس القريض وهو عربي لا يهودي بنظر فيليب حتي[4] ، الذي يرجح أن سفره قد وُضع أصلاً في اللغة العربية

(1) ج . علي2 / 514 عن تفسير الطبري 25 / 77
(2) ملوك17 :5
(3) قاموس الكتاب المقدس ص144
(4) تاريخ العرب ص73-74

فهو اذن أقدم ما نملك من آداب عرب الشمال والبيّنة الساطعة لخلاصة العلاقات العبرية العربية .

الفصل الثالث

صلة قدامى العرب بالشعوب المجاورة

1 ـ صلة قدامى العرب بالسوماريين والبابليين

إن موقع بلاد العرب الشرقية ، جغرافيا ، تتاخم أرض الرافدين التي كانت موطناً للسومريين والبابليين « الأكديين »[1] . ومن البديهي أن يكون الجار على صلة مستمرة بجاره ، اللهم ، إلا إذا ساءت العلاقات الودية وانقلب الصفاء وحسن الجوار الى بغض وعداوة .

إن أول معدن اكتشفه الانسان واستعمله هو النحاس ويرجّح فيليب حتي أن السومريين قد حصلوا عليه من مناجمه في عُمان[2] .

إن العلماء قد ذكروا أن لقب ملك عند السومريين هو « الباتيسي » ويعني أنه الحاكم المدني والديني أي أنه إلى جانب سلطته الزمنية كان يقوم بواجبه الكهنوتي وخدمة بيوت العبادة . وهذا ما نراه حاصلاً في الممالك العربية الجنوبية « سبأ، حمير، وغيرها »[3] وربما يكون هذا الشبه من تأثير الصلات القديمة بين الشعبين .

إن كتابة وُجدت على تمثال من حجر لـ« نارام سين » مؤسس الدولة الإكدية في وادي الفرات . نحو2171 ق . م . تدل على أن هذا الملك غزا

---

(1) حتي : 64

(2) نفس المصدر

(3) راجع ما سنكتبه عن هذه الممالك فيما بعد .

« مغان » وغلب سيّدها مانيوم[1] . وربما كانت هذه « مَعان » التي قال عنها الأزهري أنها مدينة في طرف بادية الشام تجاه الحجاز والتي قال فيها عبد الله بن روّاحة بعد أن نهى زيد بن حارثة وجعفر ابن أبي طالب أن يكتبا الى الرسول عند استعظامهم لجيش العدو المؤلف من « العرب والروم » : إنما هي الشهادة او الطعن . ثم أنشد :

جلبْنا الخيلَ من اجأٍ وفرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العكومُ
أقامت ليلتين من معانٍ ... فأعقب بعد فترتها جموم
فلا ، وأبي ، مآب لآتِيَنْها ... وإن كانت بها عربٌ ورومُ[2]

إن هذه الكتابة الاسفينية هي أول اشارة ، معروفة في التاريخ ، تدل على موضع معيّن في الجزيرة العربية وإلى قوم من العرب[3] .

أما بابل الشهيرة في التاريخ القديم والتي بلغت ذروة مجدها في عصر حمورابي صاحب الشرائع « الحقوقية » المعروفة باسمه ، وذلك قبل الميلاد بثمانية عشر قرناً من الزمن ، فقد فسَّر العلماء مدلول لفظها حيث قالوا : إن اسم بابل أتى من لفظ« باب ايلو » من اللغة الأكدية ويعني « باب الله » كما أن هذه الترجمة هي نفسها للكلمة السومرية « كادنجرا » . كما فسّرها آخرون بـ« مركز الحياة » و « الفردوس » وقد أتت هذه الكلمة من كلمة « ايريدوكي » الأكدية[4] ونرانا قريبين جداً إذا قابلنا هذه الكلمة بما يرادفها في المعنى في اللغات الصادرة عن اللاتينية «Paradise» .

(1) حتي 65
(2) معجم البلدان5 / 153 صادر .
(3) حتي : 65
(4) قاموس الكتاب المقدس ص152

وبابل هي العاصمة العظيمة لمملكة بابل القديمة « شنعار »[1] أول من تملك عليها « نمرود الجبّار »[2] . الذي بناها . ولكن البابليين ينسبون بدء بنائها إلى « مردوخ » المهم الأكبر الذي بنى هيكلها الشهير أيضاً[3] . وإلى قصة بناء برجها يعزو الكتاب المقدس تبلبل ألسنة الناس وتفرّقهم في الأرض فيقول : « لذلك دُعي اسمها بابل »[4] وقد ورد اسم بابل في القرآن الكريم : ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾[5] وقد نقل ياقوت عن لسان « عمرو بن ناجية عن أنس بن مالك أنه قال : « لما حشر الله الخلائق إلى بابل ، بعث إليهم ريحاً شرقية وغربية وقبلية وبحرية ، فجمعهم الى بابل ، فاجتمعوا ، فنادى مناد : من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاقتصد البيت الحرام بوجهه فله كلام أهل السماء ، فقام يعرب ابن قحطان فقيل له : يا يعرب بن قحطان بن هود أنت هو ، فكان أول من تكلم بالعربية »[6] .

إن بابل هذه التي ذكرها الكتاب المقدس أكثر من مائتي مرة قد كانت مقاماً لليهود المسبيين مرتين في التاريخ : أما السبي الأول فقد حصل في القرن الثامن قبل الميلاد وذلك بعد خضوع بابل للأشوريين وعلى زمن ملوكهم « شلمناصر ، تفلت فلاسر ، وسرجون » وقد تعرضت للسبي مملكة اسرائيل الشمالية[7] . ولكن اليهود عادوا من السبي ومن بقي منهم مقيماً خارج اسرائيل

---

(1) تك10 :10 و14 :1

(2) نفس المصدر تك : 10 :9

(3) قاموس الكتاب المقدس : 152

(4) تك11 :1 -10

(5) سورة البقرة : 2 / 102

(6) البلدان 1 / 310

(7) 2 ملوك15 :29 و1 اخبار5 :26 و2 ملوك17 :5 وما بعدها .

كان يزور أورشليم بين حين وآخر[1] والسبي الثاني حصل لمملكة يهوذا الجنوبية على يد نبوخذ نصر في ابتداء القرن السادس قبل الميلاد[2] ومن جملة من سُبي النبي دانيال ورفاقه . هذا السبي تنبأ عنه الأنبياء أشعياء وميخا وأرمياء[3] .

إن اليهود زمن سبيهم في بابل قد توصلوا الى مراكز مرموقة في الدولة واختلطوا بشعب بابل ولا شك أنهم تأثروا ببعض عاداته وطرق عبادته وحضارته . وعند رجوعهم من السبي وبعد أن استولى كورش ملك الفرس على بابل سمح لليهود بالعودة ، فعادوا بقيادة زربابل وعزرا ونحميا[4] وبما أن اليهود أخوة العرب لأبيهم ابرهيم وكانوا على اتصال مستمر[5] بإخوانهم قبل السبي وأبانه وبعده فمن المرجح أن يكونوا قد حملوا شيئا وإن قليلا من حضارة بابل وطريقة عبادتهم للعرب .

2 ـ بالاشوريين :

كان للعرب الشماليين صلات بحكومات الهلال الخصيب ومن ضمنها مملكة آشور ولكن حجبا كثيفة ، كانت ولا تزال ، تغطي هذه الصلات وتعيق رؤيتها للباحث لما كان من تقادم تلك العهود ولقلة ما بأيدينا من وثائق تثبت وجود مثل هذه الصلات . إن الكتاب المقدس قد سمّى العرب وفي أكثر من موضع « بنو المشرق » وذكر معهم المدينيين وأصل هؤلاء من جزيرة العرب

---

(1) أعمال 2: 8 و9

(2) 2 أخبار : 36: 2-7

(3) اشعياء : 6 :11 و12 وميخا : 4 :10 وارمياء 25 :1 و11 و12

(4) القاموس المقدس 458

(5) انظر مدى هذا الاتصال في كلامنا عن صلة العرب بالعبرانيين .

جاءوا الى أرض مدين ، من جزيرة العرب ، واستقروا فيها[1] كما ذكر أيضاً العمالقة . ويذكر الكتاب المقدس بني اسرائيل وكيف أن المدينيين والعمالقة وبني المشرق يخرجون عليهم ويفسدون غلّة أرضهم وينهبون ماشيتهم ، إذ يأتون في مثل كثرة الجراد بحيث لا يُعدُّون هم ولا جمالهم . وكان بنو اسرائيل إذ ذاك ينزلون أرض مِدْيَن[2] . ولا شكَّ أن الأشوريين قد توغلوا في بلاد العرب إما حباً بالسيطرة والتوسع أو لصد هجمات البدو المتكررة . وها هو « شلمناصر » الثالث ملك آشور والذي حكم من (860-825 ق . م)[3] ، يقود حملة على ملك دمشق الأرامي وحليفيه « آخاب » ملك اسرائيل « وجندب » أحد مشايخ العرب . وقد اصطدم الجيشان في قرقر شمالي حماة عام853 ق . م[4] . والنص الذي تركه هذا الملك يقول : « **قرقر عاصمته الملكية أنا خربتها ، أنا دمرتها ، أنا حرقتها بالنار1200 مركبة . . . 10000 جمل لجندب العربي . . . . هؤلاء تألبوا عليَّ »**[5] .

ولم يقتصر اتصال الأشوريين بعرب الشمال ، بل تعداهم الى عرب الجنوب . وقد أنبأنا « سرجون الثاني » ملك أشور ، الذي حكم من (722-705 ق . م) ، أنه أخضع أقواماً ، من جملتهم قبائل ثمود « ثمود في القرآن الكريم » وأباديد « الذين يسكنون البادية ولا يقرّون كبيراً أو صغيراً من الحكام »[6] وقد تلقى هذا الملك ، من « سمسي » ملكة بلاد العرب

---

(1) ج . علي1 / 574 عن Arabian S, 21

(2) قضاة6 / 3 وما بعدها

(3) قاموس الكتاب المقدس ص516

(4) نفس المصدر

(5) حتي66 عن Luckenbill V.I. 611

(6) نفس المصدر Vol 11, 16.

و (يَثعَمَرْ) زعيم سبأ وغيرهما من ملوك البادية جزية من « الذهب والحجارة الكريمة . . . والخيل والابل » ، جزية أدوها صاغرين[1] .

ويتحفنا العلماء بأن أحد ملوكهم « سنحاريب » قد أخضع « أدومو قلعة بلاد العرب)[2] وأدومو هذه عُرفت بالمصادر العربية بـ« دَوْمَة الجندل » افتتحها ، عند ظهور الاسلام ، عبد الرحمن بن عوف صلحاً . وكتب الرسول الى أهلها كتاباً يبتدئه بالبسملة ثم « من محمد رسول الله لأكيدر ولأهل دومة الجندل »[3] والأكيدر هذا هو أميرها وفيه يقول الشاعر :

يا من رأى ظعْنــا تحمَّلَ غدوَة   من آل أكدر ، شجُــوه يعنيني[4]

وقال فيهم أيضاً سويد بن الكلبي :

فلا يأمنن قومٌ زوال جُدودهم   كما زال عن خبْـتِ ظعائـنُ أكدرا

وقد قال الأعور الشّنّيّ في دومة هذه :

رضينـا بحـكم الله في كل موطن   وعمـرو وعبـدُ الله مختلفانِ
وليس بهـادي أمّـة من ضَلالة ،   بدومـة ، شيخـا فتنـة عميان

كما ذكرها أعْشى بني ضَوْر من عَنَزَة :

أباحَ لنـا ،ما بـين بُصرى ودُومةٍ ،   كتائـبُ منـا يلبسـون السّنَوّرا

---

(1) نفس المصدر ص18
(2) نفس المصدر ص518
(3) أسواق العرب : سعيد الأفغاني : ص234 دار الفكر / بيروت الطبعة(3) 1974
(4) البلدان2 / 487 صادر

وقال ضرار بن الأزوَر يذكر أهل الردّة :

عصيتـــم ذوي البابـــكم وأطعتُمُ ضُجَيًا ، وأمـرُ ابـن اللقيطـــة أشأم
وقــد يمموا جيشــاً إلى أرض دومة . فقُبِّـح من وفــده ومــا قد تيّمموا[1]

لقد أخضع سنحاريب « ادومو » هذه سنة 688 ق . م وحمل الهتها الى نينـوى وأسر ملكتهـا « **تعلخنـو** »[2] « تبـؤة »[3] . وأراد اسرحــدون ابـن سنحاريب وخليفته على آشور تنصيب الأميرة « تبؤة » ملكة على « أريبي » بلاد العرب ليضمن موالاتهم وفرض سلطانه عليهم بعد أن تربست هذه الأمـيرة تربية أشورية وبعد أن أصلح ما بلي من الأصنام وبعد أن نقشت عليها كتابة تظهر تفوّق إله أشور على تلك الأصنام ، واعادتها الى اصحابها لتنصـب في أماكنها وتُعبد[4] .

ولكن العداء كان مستحكماً بين العرب والأشوريين فلـم تنفـع تربية ملكة العرب في قصور الأشوريين ولا اخضاع الهتهم لإله أشور فعاد العرب من جديد لمناهضة الأشوريين . . . فترى ملكهم« أشور بانيبال »يخرج بحملة عسكرية لتـأديب القبائـل العـربية . فيلقـي القبض على أويتـع بعـد عراك طويل . يقول النص «**اشتدت عليهم وطأة الجوع . ولكي يســدوا رمقهـم أكلوا لحوم صغارهم . . . وكان تساؤل أهل بلاد العرب فيما بينهم ، فقــال الواحد لأخيه : « ما بال بلاد العرب قد أحدق بها هذا الشر المستطـير ! » فأجابه قائلاً : تلك عاقبة نكثنا العهد الوثيق الذي قطعناه لأشور .**

---

(1) البلدان 2 / 488 - 89

(2) حتي 67

(3) ج علي : 1 / 592

(4) المصدر نفسه عن Pritchard p.295

ويتابع النص : خبر الأسير « أويتع » حليف « أبيتع » سيد الأنباط بعد أن زحف أشور بانيبال وقواته عليهم وطاردوهم « **في رمضاء البادية وقيظها حيث لا ترى طيور السماء وحيث لا يرى العير ولا الغزال** » ويتابع بعد أن يقبض عليه : « **حبسته في مربط الكلاب . أويته مع بنات آوى . أقمته على حراسة الباب في نينوى**[1] .

هذا ويظهر من نصوص آشورية أخرى أن هؤلاء قاموا بعدة حملات عسكرية لتأديب الأعراب بلغ عددها التسع . كما تشير الرسوم التي عثر عليها في قصر الملك (آشور بانيبال) في نينوى الى أعراب يقبلون أرجل الملك وهم يحملون الهدايا من ذهب وطيب ولبان وجمال . كما تصوّر الأشوريين وهم يحرقون خيام الأعراب . ويطاردون جمالهم وهم على ظهور خيولهم[2] .

مما تقدم يظهر لنا بوضوح علاقة العرب بالأشوريين ، هذه العلاقة التي كانت في أحسن أيامها عهد سلام وعدم تعدي وفي أسوأها كانت مقارعة وحروب ولكنها مع هذا ، ولطول سنين حكم الأشوريين لا بد أن تكون قد تركت أثراً مباشراً أو غير مباشر في حياة العرب الدينية والفكرية والاجتماعية .

3 ـ بالكلدانيين :

لم تكن علاقة العرب بالكلدانيين بأحسن منها عند الأشوريين فقد توارث الكلدان أملاك دولة أشور ومنها طبعاً أقطار الشام وشمال الجزيرة ولا بُدَّ لهذا الشعب الناشيء ككلٍّ أمة تنشأ جديداً من أن يبطش ليفرض هيبته على

---

(1) حتي 68 عن Luckenbill 858.

(2) جواد علي ا دار العلم للملايين اللوحات ص577 ، 583 ، 595.

شعبه وعلى الشعوب الخاضعة لسلطانه وهذا ما فعله أحد ملوكهم « نبونيد » ، حيث جرّد حملة على بلاد العرب ، 552 ق . م وفتك بأمير تيماء وأعمل به ، وبرقاب رعيته السيف ، وابتنى مسكناً له في تلك المدينة وجعله كالقصر الذي في بابل(1). وتيماء هذه التي جعلها هذا الملك مستقراً له هي المدينة في بلاد العرب الواقعة على منتصف الطريق بين دمشق ومكة وعلى مسافة متساوية من بابل إلى مصر(2) . وسماًها ياقوت « تيماء اليهودي » لأن الأبلق الفرد الحصن المعروف بحصن السموأل بن عادياء اليهودي كان مشرفاً عليها . وفيها يقول الأعشى :

ولا عاديا لم يمْنـــع الموت مالَه ، وورْدٌ بتيماءَ اليهــوديَّ أبلقُ

كما قال بعض الأعراب :

إلى الله أشــكو ، لا إلى النــــاس ، أنَّني بتيماءَ تيماءَ اليهـــود غريبُ(3)

وفي حصن السموأل هذا وَدَعَ أمرؤ القيس املاكه فضحى السموأل بابنه يُقتل على مرأى منه ولـم يسلّـم الوديعـة الى الحـارث وفي ذلك يقـول السموأل :

بنـى لي عاديا حصنـــا حصيناً وعينـــاً كلما شئـــتُ استقيتُ
واوصى عاديا يومـــاً بأن لا تهـــدّم يا سمـــوأل ما بنيتُ
وفيتُ بأدرع الكنـــدي ، إني إذا ما خان أقـــوامٌ وفيتُ(4)

إن تيماء هذه التي ورد ذكرها في التوراة « وحيٌ من جهة بلاد العرب .

---

(1) حتي 69 عن R.P. Dougherty P. 106
(2) أشعياء 21 : 14 وارمياء 25 : 23
(3) البلدان 2 / 67 صادر .
(4) الديوان ص 69 صادر

في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين . هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء »(1) ، ربما سميت كذلك نسبة إلى تيماء أحد أبناء اسماعيل بن ابراهيم(2) .

مما تقدم يظهر أثر تيماء الكبير في علاقات العرب بالأمم المجاورة فهي تقع في شمالي الحجاز على طريق تجاري هام يصل خليج العقبة والبتراء غرباً بالخليج العربي شرقاً . وهي محط القوافل الآتية من الشام والشمال الى اليمن في الجنوب .

ولم تكن حملة نبونيد هي الوحيدة على بلاد العرب فقد أشارت الكتابات البابلية الى أن « بختنصر » أرسل في سنة 599 ق . م . حملة على عرب البادية نهبت ماشيتهم وسرقت آلهتهم ثم عادت(3) وقد فعل هذا الملك ما فعله ملوك أشور من قبله ، وذلك لإكراه القبائل على الإستسلام والخضوع .

ويروي (اكسينوفون) أن بختنصر قد أخضع ملك العربية سنة 567 قبل الميلاد(4) ، عندما حمل على مصر لإخضاعها .

أما الملك الكلداني « نبوخذ نصّر » فقد هاجم قبائل قيدار وممالك حاصور التي كانت قائمة في مقاطعات من الصحراء العربية شرقي فلسطين(5) . أما قيدار فهو ابن اسماعيل الثاني(6) . وهو أب لأشهر قبائل

---

(1) اشعياء 21: 13 -14

(2) تك 25: 15

(3) ج . علي : 1 / 609 عن (ويزمن) 31-48-71

(4) نفس المصدر عن Xenophom

(5) قاموس الكتاب المقدس 283

(6) تك 25: 13

العرب التي كانت تعيش متبدية في خيام سود[1] . وقد أشارت المخطوطة الإرمية التي وُجدت في وادي « طوميلات » بمصر والمنقوشة على وعاء من فضة إلى اسم أحد ملوك قيدار[2] ، قينو بن جشم ملك قيدار : ومن هذا النقش نعلم أن جشم الذي ذكره نحميا النبي[3] ، كان ملكاً على قيدار وقد امتدت سلطته من شرق الأردن الى تخوم مصر .

وهناك كتابة أرمية ثانية عثر عليها في (خربة تيماء) في القرن الخامس قبل الميلاد ، ورد فيها أن أحد الكهنة استورد صنماً الى تيماء ، وبنى له معبداً ، وعيّن له كهنة لخدمته ، كما عُثر مع النص على رسم (« صلم هجم » بمعنى صنم اسمه هجم مُثّلَ في زي أشوري . ويرى « سيدني سميث : أن تاريخ هذا الأثر الهام يعود الى أيام نبونيد مما يشير بوضوح الى تأثر سكان تيماء وعلى الأرجح أنهم كانوا عرباً بعبادة الاشوريين والكلدانيين الى جانب تأثرهم بأزيائهم في اللباس[4] .

والذي يراجع « النص[5] » الذي يحدثنا عن نبونيد وتيماء يرى أن هذا الملك قد نقل معه عندما اتخذ تيماء عاصمة له أقواماً من العراقيين واليهود « يهود بابل ويهود فلسطين » وأسكنهم المناطق الحجازية فأقاموا ، وخاصة اليهود ، في خيبر وتيماء ويثرب وبقوا هناك حتى ظهور الاسلام،الدين الذي أخرجهم اتباعه من كل الحجاز .

---

(1) قاموس الكتاب المقدس 751 واش : 21 :16 وارمياء 49 :28 وما بعدها .

(2) نفس المصدر 751

(3) نحميا : 2 :19 ، 6 :1 ، 2

(4) جواد علي 1 / 613 عن Smith Hist. 79

(5) جواد علي 1 / 618 عن A. Studies: 84

لقد ترك وجود « نبونيد » في أرض العرب وبقاء بعض من نقلهم معه واستقروا هناك ، أثراً كبيراً من الناحية الثقافية والاقتصادية والحضارية . إن النص الذي عثر عليه في مدينة (عانة) يثبت وجود صلات تجارية بين بابل والبلاد العربية ، كما يشير الى أثر بابل في حياة العرب الاجتماعية [1] .

وعانة هذه بلد من أعمال الجزيرة . وقد جاءت في الشعر تحت اسم عانات : قال بعضهم :

تخيَّرها أخو عانات شهرا ورجّى برَّها عاما فعاما

وقال الأعشى :

كأنَّ جنيًا من الزنجبيـ ـل خالط فيها، وأريا مَشُورا
وإسْفِنْط عانة بعد الرُّقا دِ شكَّ الرصاف إليها غديرا [2]

4 ـ بالفرس :

لقد اضطر العرب إلى الهجرات شمالاً لأسباب كثيرة منها سعيهم الدائب لإيجاد المراعي الخصبة .حيث الماء الكثير والكلأ الوافر لمواشيهم فتوسعوا في بلاد الشام ودخلوا أرض الرافدين كما تقدموا الى طور سيناء فشواطىء نهر النيل [3] . وفي ترحالهم هذا دخلوا ولا شك اراضي كانت خاضعة لنفوذ الفرس . ولم تكن علاقة العرب بالفرس في أكثرها علاقة سيئة . ففي سنة 525 ق . م ولما قام « قمبيز » ملك فارس بغزو مصر حالف العرب فقدموا له المعونة وكانوا خير مساعد له في عبور الصحراء . ويذكر

---

(1) نفس المصدر 1 / 619 عن A.J. Yaussan 138

(2) البلدان 4 / 72 . صادر

(3) ج . علي 1 / 620 عن Die Araber 1,164

هيرودوتس[1] المؤرخ الاغريقي في صدد كلامه عن داريوس ما نصه : **لقد اعترف بسلطانه جميع أقوام آسية الذين كان قد ذللهم قورش ثم قمبيز بعده إلا العرب ، فهؤلاء لم يخضعوا البتة لسلطان فارس انما كانوا أحلافها ، ولقد مهّدوا لقمبيز سبيل التوصل الى مصر ، ولولاهم لما أمكنه القيام بهذه المهمة** والذي نتبينه من هذا النص أن العرب ، وقبل الميلاد بقرون عدة ، كانوا في هذه المنطقة الممتدة من فلسطين وعبوراً في طور سيناء حتى مشارف النيل في مصر . ولكن هيرودتس نفسه يعود فيذكر أن العرب كانوا يقدمون الجزية سنوياً إلى (دارا) وهي من الطيب[2] . ولكن ورود لفظة الطيب هنا تبين لنا أشياء كثيرة وهي أن العرب كانوا تجاراً يحملون الطيوب وغيرها ، وربما قدموا هذا الطيب الى (دارا) كعربون عهد تجاري بينهم وبينه أو كضريبة مرور نعرفها بمصطلحنا الحديث « بالترانزيت » .

وقد بقيت صلاة العرب بالفرس مستمرة ، يتناوبها الصفاء والموالاة تارة والفتور والنزاع الحربي طوراً ، إلى زمن متأخر وحتى ظهور الاسلام وفيما بعده والى يومنا هذا .

وإذا ما سرنا والقرون الأولى للمسيحية نجد أن الرومان ومن بعدهم بيزنطة خليفتهم في بلاد المشرق من جهة والفرس من جهة أخرى يتسابقون لاسترضائهم فلا بُدَّ لكليهما من التعامل مع العرب لحماية حدودهما الواسعة معهم ، ولكثرة القبائل العربية التي كانت تظعن وتقيم في أرضهما . ومن خلال الظروف العسكرية والسياسية لهاتين الامبراطوريتين ظهرت امارتان وربما مملكتان عربيتان في شمالي الجزيرة ، الغساسنة في الشام ويدورون في

---

(1) فيليب حتي 70 عن BK. 3. ch. 88

(2) نفس المصدر BK. 3: 91-97

فلك بيزنطة ، وسنرى مدى هذه العلاقة عند بحثنا لدولة الغساسنة ، واللخميون في الحيرة وسنتكلم عن علاقتهم ببلاد فارس عند بحثنا لمملكة الحيرة .

ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شقين شرقي وعاصمته القسطنطينية وقد عرف باسم بيزنطة وغربي وعاصمته روما وبقي على اسمه القديم ، تدخل العامل الديني في نسيج العلاقات العربية مع الفرس وبيزنطة . وهذا الاتجاه ظهر بوضوح خاص في الصراع الثنائي بين الدولتين العظميين للسيطرة على القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية . وبطلب من بيزنطة تدخل الأحباش في اليمن ، (وسنرى ذلك في صلة العرب بالأحباش) ، لحماية النصارى من اليهود ومن أميرهم ذي نواس الذي حفر الأخدود وأحرق فيه نصارى نجران(1) فعبر الأحباش البحر وبسطوا نفوذهم على اليمن وجوارها زهاء نصف قرن حتى أخرجهم « ذي يزن » بمساعدة الفرس . يقول الطبري(2) :

إن « سيف بن ذي يزن » خرج الى الروم يطلب مساعدتهم ، وتجنّب كسرى لكونه قد صدَّ أباه ولم يساعده ، فخذله ملك الروم ، فانكفأ راجعا الى الفرس فأرسل معه كسرى قائده « وهرز » وجنداً كثيرا ـ عدّهم فيليب حتي بثماني مائة محارب(3) ـ وبهذا الجيش اندحر الأحباش وأخرجوا من اليمن سنة 575 م . ونشأت بعد ذلك في اليمن بجنوبي الجزيرة العربية حكومة مزدوجة ، تقلّد فيها « ذي يزن » ولاية اسمية وحكم الفرس البلاد

---

(1) سورة البروج 85 / 4

(2) تاريخ الطبري 2 / 144 وما بعد دار المعارف .

(3) تاريخ العرب حتي 101

فعلياً . وبقوا فيها حتى الفتح الاسلامي حين أسلم (الباذان) حاكم اليمن الفارسي عام628 م .

إن العرب وقد عاشوا مع الفرس هذه القرون الطويلة لا بُدَّ أن يكونوا قد تأثروا بهم اجتماعياً وحضارياً . فمن الناحية الاجتماعية دخل العرب في ديانة الفرس وتزندقوا معهم(1) . ومن الناحية الحضارية بنوا المدن وسكنوا القصور .

عندما نتكلم عن علاقة العرب بالفرس ، نقصد بالفرس ، البارثيين (الفرث) الذين زالت حكومتهم حوالى عام (226 بـ . م) ، والساسانيين الذين أسس دولتهم في بلاد فارس (أردشير الأول) 226 -241 م(2) . لقد قصدت قوافل الساسانيين بلادالعرب ووصلت حتى العربيةالجنوبية ، وأوكل حراستها جماعة من سادات القبائل . كما قصدت قوافل العرب وخاصة قافلة أهل مكة العراق ووصلت الى المدائن(3) . ويُذكر أن (اردشير) بنى مدينة بالبحرين سماها« بتن أردشير » وأقام سورها على جثث أبنائها ، مما يدل على أن ملوك الفرس قد استولوا على بلاد الخليج العربي وضموها لهم(4) .

إن البدوي « العربي » الذي كانت طباعه كطبيعة الصحراء والذي كان يثور كما تثور الرياح فتذري الرمال وتحولها الى كثبان ، كانت علاقته بحكام فارس تارة علاقة ود وصداقة وطوراً علاقة مشحونة بالبغض والنفور حتى تصل الى الغزو والحرب وهذا ما حدث على أيام كسرى ، حين عبرت « اياد »

---

(1) راجع كتابتنا عن مملكة الحيرة وكيف استبدل قباذ ملك الحيرة بالحارث أحد أولاد آكل المرار .
(2) ج . علي2 / 633
(3) نفس المصدر .
(4) نفس المصدر .

شَطَّ الفرات وغزوا الأعاجم ، يعني « الفرس » ، وأصابوا بغزوتهم هذه « عروساً » من أشراف فارس ، فغضب كسرى وأرسل جيشاً لتأديبهم . وهذا ما حدا الشاعر لقيط الإيادي الذي كان أسير كسرى أن يرسل رسالة الى العرب بني قومه يحذرهم فيها من الحملة عليهم ويجعل عنوان الرسالة[1] .

سلام في الصَّحيفة من لقيط   إلى مَنْ بالجزيرة من إيادِ
بأن الليث كسرى قد آتاكم   فلا يحبسكُمْ سوق النقادِ[2]

ويقول في رسالته التي هي قصيدة شعرية رائعة :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتمُ غُيرا   على نسائكُمُ ، كسرى وما جمعا

ويسير في القصيدة « الرسالة » الى أن ينهيها بقوله :

وقد بذلت لكم نُصحي بلا دخل   فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

ولكن الحملة تأتي وتقضي على إياد ، وهذا ما ذكره علي بن أبي طالب :

لقريبٌ من الهلاك كما أهـ   ـلك سابور بالسواد إيادا[3]

ولكننا نرى أن لقيطاً يذكر أن صاحب الحملة هو كسرى والشعر المنسوب الى علي يذكر أنه سابور وربما كان « ذا الأكتاف » وسواء أكان كسرى أم سابور فالوقيعة وقعت والعرب على اتصال مع الفرس : « سلمي وحربي » بالمفهوم الحالي . ولقد تطورت العلاقات العربية الفارسية عند ظهور دولة

---

(1) أغاني22 / 358 مؤسسة جمال / بيروت /
(2) النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل .
(3) ج . علي2 / 637 عن : Ency V.4.P. 315

الحيرة ، وما كان لملوك الحيرة من أيادٍ بيضاء على المتنافسين للوصول الى عرش ساسان من أبناء العائلة المالكة أنفسهم . ومثالنا على ذلك تربية (بهرام جور) في الحيرة وفي البادية وبين الأعراب وبناء الخورنق لاستقباله وإقامته ، ومن ثم مساعدته للرجوع وتسلم العرش[1] .

5 ـ بالأحباش :

لقد كان للعرب صلات قديمة بالحبش ، والعكس كذلك ، وكيف لا وقدامى العرب جيران الأحباش ، ولا يفصل بينهم ، سوى البحر الأحمر ، المعروف قديماً « بالبحر الاريتيري »وللشعبين مصالح تجارية وتطلعات سياسية توسعية ، ربما نكون قد ظلمناهم بهذه النعوت حيث يكون هدفهم آنذاك الغزو للغزو فقط أو لجدب أصاب أرضهم أو لكارثة طبيعية ، فضاقت سبل العيش في وجوههم ، مما اضطرهم لركوب هذا البحر والنزول على الشاطىء المقابل .

لقد هاجر العرب الى الحبشة ، ونزلوا الساحل الأريتيري، وكوّنوا مملكة هناك . وإلى العرب الجنوبيين (الجعز) تُنسب اللغة الحبشية التي عُرفت بالجعزية[2] . وقد تقلصت هجرات العرب الى الحبشة زمن ساد البطالمة في مصر وتدخلهم في مياه البحر الأحمر . ولكن (بلينّي) [3] يرى أن تلك الهجرة بقيت واستمرت فيما بعد الميلاد ، فقد ركب عرب الجنوب البحر عام232 و250 بـ . م . ونزلوا السواحل الافريقية [4] . ومما يثبت هجرة عرب الجنوب الى الحبشة عثور الباحثين على كتابة « سبئية » ، منقوشة على حجر ، وُجد هذا

---

(1) ج . علي2 / 646 عن ايران في عهد الساسانيين (ص260) .

(2) جواد علي3 / 449 عن (بلّيني) Die Araber I, 114. II. 274

(3) نفس المصدر

(4) نفس المصدر I, S, 126

الحجر في حائط كنيسة قديمة بالقرب من « أكسوم » ، وفيها اسم الالهة « ذات بعدن » « ذات البعد » ، كما عثروا على مذبح سبئي خُصص لعبادة الإلـه « سن ». والإله « ذات بعدن » و « سن » شاعت عبادتهما في سبأ وحمير وبقية الممالك الجنوبية[1] . وهذا دليل قاطع على وجود العرب في افريقيا الشرقية .

وكما تدخل العرب في الشؤون الافريقية ، كان العكس صحيحاً ، فقد تدخل الحبش مراراً في الشؤون العربية الجنوبية ، وحكموا مواضع منها وتوغلوا في الداخل حتى بلغوا نجران .

ويبدو من الكتابات التي تركوها أنهم كانوا في اليمن وغيرها من أرض الجنوب في القرنين الأول والثاني للميلاد[2] . وفيما بعد أيضاً . فقد جاء في نص من النصوص الحبشية القديمة والتي عثر عليها المنقبون : أن ملك أكسوم أخضع السواحل المقابلة لسواحله ، « يعني بذلك أرض اليمن » وأجبر ملوك الـ«Arhabite»[3] والـ«Kinaidokolpite» ، على دفع الجزية . ويرى بعض العلماء والمهتمين بشؤون هذه الشعوب القديمة ، أن المقصود بهذين الاسمين « بدو الحجاز وكنانة »[4] .

لقد كان اتصال الأحباش بالعرب اتصالاً شبه دائم كما ذكرنا أيضاً في القرون الخمسة الأولى للميلاد . عندما كان الحبش عبدة أوثان وبعد تنصرهم . فقد دخل مبشرو النصرانية الحبشة وتنصّر ملكهم « عيزانا » بتأثير « فرومنتيوس » المبشّر الذي أرسله « قسطنطين » امبراطور بيزنطية عام 350

---

(1) جواد علي 3 / 451 عن Handbuch I, S. 34.

(2) جواد علي 3 / 451 وما بعدها عن Le Muséon 3-4. p. 498

(3) مخلاف باليمن معجم البلدان 1 / 644

(4) جواد علي 3 / 453 عن Beiträge . 119

م ، والذي جعل النصرانية الديانة الرسمية لمملكته وللعربية الجنوبية[1] .
ولكن بعضهم يرى أن الذي نصّر عرب اليمن ، هو « ثيوفيلس » عام354 م ، والذي أنشأ كنيسة في ظفار وأصبح رئيس أساقفتها ومشرفاً في الوقت نفسه على جميع الكنائس المنشأة والتي هي قيد البناء في اليمن والعربية الجنوبية والخليج ومن ضمن هذه الكنائس كنيسة نجران[2] ، التي عُرفت فيما بعد بـ« كعبة نجران » لما كان لها من تأثير على النصارى العرب والتي قال فيها الأعشى[3] :

وكعبة نجران حتمٌ عليـ ... ـك حتى تناخي بأبوابها
نزورُ يزيدا وعبد المسيح ... وقيسا هُم خيرُ أربابها

إن كعبة نجران هذه بيعة بناها بنو عبد مدان بن الديّان الحارثي وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها « كعبة نجران » وكان فيها اساقفة معتمون وهم الذين جاؤوا إلى النبي للمباهلة[4] .

أما تدخل الأحباش في اليمن على زمن « ذي نوّاس » ملكها اليهودي المتعصب ، الذي سار إلى نجران ودعا أهلها الى اليهودية وخيّرهم بين دينه والقتل ، فاختاروا القتل فأحرق من أحرق وخدّ الأخدود[5] وفي ذي نواس وأصحاب الأخدود نزلت الآية الكريمة : **﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النارِ ذاتِ الوقودِ إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودٌ ﴾**[6] .

---

(1) نفس المصدر عن Handbuch 1,5,35
(2) نفس المصدر عن Grahman 5, 29
(3) معجم البلدان 5 / 268 (صادر)
(4) نفس المصدر
(5) نفس المصدر
(6) سورة البروج آية 2-6

إن الأحباش أتوا اليمن بحملة عسكرية كبيرة ، قوامها سبعون ألف رجل ، بقيادة « أرياط » ومعه أبرهة الأشرم كجندي مقاتل ، والذي عُرف فيما بعد بـ« صاحب الفيل » وبحملته على مكة لهدم الكعبة [1] . وفيه وفي أصحابه نزلت « سورة الفيل » :

﴿ ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول ﴾ [2] .

إن أكثر المؤرخين يرون أن حملة الأحباش النصارى على اليمن كانت أبَّان حكم الامبراطور البيزنطي« يوستنيانيوس » .كما يرون أن سبب هذه الحملة كان تعذيب ملك حمير « ذي نواس » لنصارى نجران [3] . ولا أظن أن هذا هو السبب الوحيد لتجنيد سبعين ألف مقاتل وإرسالهم الى ما وراء البحر بل لا بُدَّ أن يكون هناك سبب أهم هو السيطرة على الشواطىء الشرقية للبحر الأحمر مما يؤدي الى التحكم بالطرق التجارية البحرية والبرية ، والتي كانت العربية الجنوبية آنذاك عقدتها لا بل ركيزتها .

وقد ذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أن الذي حكم حمير بعد مقتل ذي نواس على أيدي الحبش هو « السميفع أشوع » نصَّبه النجاشي ملكاً على حمير من نصارى حمير ولكن جنود الحبشة ثاروا عليه وخلعوه وعينوا مكانه « أبرهة الأشرم » [4] . لقد وجد العالم البلجيكي « ريكمنس » ذكراً لهذا الملك

---

(1) الأزرقي أخبار مكلة تحقيق رشدي الصالح ملحس دار الأندلس I / 176,148,136

(2) سورة الفيل اية 1 -5

(3) جواد علي 3 / 462 عن Gosmas p. 141

(4) نفس المصدر عن 20 / Procopuis 1

النصراني عند ترجمته لنص محفوظ في متحف استانبول والموسوم بـ«Osma. Mus N. 281» جاء فيه :

« نفس قدس سميفع أشوع ملك سبأ » و « بسم رحمن وبنهوكر شتش غلبن »[1] ومعناه : « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب » .

إن هذا النص يعود بنا إلى نصارى عرب الجنوب وبالتحديد الى نصارى حمير وسبأ فنرى أن أحدهم قد وصل الى رتبة ملك وهوالسميفع أشوع وإن كان بإرادة خارجية فلا يمكن أن يكون راعياً بدون رعية ولا ملكاً بدون شعب والعرف التقليدي المتبع قديماً وحديثاً ، هو : الناس على دين ملوكها . وهذا ما يؤكد أن النصرانية قد أصبحت في العربية الجنوبية عميقة الجزور . كما يرينا هذا النص ايمان هذا الملك وايمان شعبه من ورائه ، حيث يقول : بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب . لقد ذكر هذا النص صفة من صفات الله « الرحمن » ولم يذكر اسمه كما ذكر الاقنوم الثاني وهو الابن المسيح وأعطاه صفة الغالب ، ومعناه المنتصر على الخطيئة والذي غلب الموت والجحيم وقام من القبر . و « المسيح الغالب » شعار لا يزال المسيحيون يستعملونه حتى اليوم وخاصة « الأرثوذكس حيث يوجد على خبز التقدمة «القربان» . وإني أرى أن هذا النص ربما يكون قد كُتب بعد المجمع الكنسي الأول المنعقد في مدينة نيقية[2] ووضع فيه دستور الايمان من : أومن بإله واحد . . . وحتى . . . الذي لا فناء لملكه» ونوقش فيه الايمان بالمسيح . وقبل المجمع الثاني[3] الذي عالج

---

(1) نفس المصدر 3 / 477 عن Le Muséon LIX

(2) انعقد هذا المجلس عام 325 م بدعوة من الامبراطور قسطنطين الكبير وحضره 318 اسقفاً للنظر في ولادة الابن وخلقه وجوهره وللرد على آريوس القس الاسكندري . راجع قصة الحضارة « ول ديورانت » ترجمة محمد بدران ج 11 ص 394

(3) انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية سنة 385

قضية الروح القدس . لأن النص المذكور يذكر الله الأب والمسيح الابن ولا يذكر الروح القدس الأقنوم الثالث في العقيدة المسيحية المشرقية « الأرثوذكسية » . إيمان آباء الكنيسة في ذلك التاريخ .

كما نلاحظ في النص لفظة « كرشتش » وهي لفظة يونانية «Xpistos» « خريستوس » وتعني المسيح . مما يظهر أن هذه اللفظة دخلت في لغة الأحباش « لا زالوا يستعملونها » ومنهم انتقلت الى مملكة سبأ .

إن أبرهة الملقب « أبويكسوم » قد ملك مكان « السميفع أشوع » على حسب رأي « بسروكوبيوس » وبأبرهة هذا ضرب الشاعر « لبيد بن ربيعة العامري » ، المثلَ في الاتعاظ بهذه الدنيا الفانية :

لو كان حيٌ في الحياة مخلّدا   في الدهر ألقاه أبو يكسوم
والتبّعان كلاهما ومحرّق   وأبو قبيس فارس اليحموم(1)

إن أبرهة هذا قد ترك نصاً طويلاً ومهماً وُسم بـ«Glasser 618» (2) افتتح : « بخيل وردا ورحمت رحمنن ومسحو ورح قدس سطرو ذن مزندن . إن إبره عزلى ملكن أجعز بن رمحز زبيمن ، ملك سبأ وذ ريدن وحضرموت ويمنت وأعربهمو طودم وتهمت »(3) . أي : « بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزيين رمحز زبيمان ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وأعرابها في النجاد وفي تهامة » .

---

(1) جواد علي 3 / 483 عن الاكليل 2 / 159

(2) نفس المصدر عن . Die Araber 1, S. 587

(3) جواد علي 3 / 483 عن Die Araber 587

نرى في هذا النص ذكرا للروح القدس لم يرد في نص السميفع أشوع وكأني به قد كتب بعد المجمع الثاني[1] الذي اعترف بالروح القدس مساوياً للأب والابن في الجوهر . . . كما نرى أن حكم الأحباش لم يقتصر على اليمن وحسب بل تعداه إلى ذي ريدان وحضرموت وإلى الأعراب في النجاد وتهامة . . . وقد ورد في النص أيضا أن أبرهة أمر باعادة ترميم سدّ مأرب بعدما سمع بتهدمه وافتتح كنيسة في مدينة مأرب يخدمها جماعة من متنصرة سبأ . ونلاحظ كذلك أن أبرهة الحبشي قد لقّب نفسه بألقاب ملوك حمير . . . ولأبرهة هذا ، نص ثانٍ لا يقل أهمية عن الأول . عثرت عليه بعثة (ريكمنس) مدوناً على صخرة بالقرب من بئر (مريغان)[2] ويشير هذا النص الى اتصال الحبش بملوك الحيرة وإلى بسط سلطانهم على القبائل العربية ككندة ومعد وسعد[3] . . . وينتهي النص بانتصار (أبرهة) ورجوعه من (حلبان) بحول الرحمن . بتأريخ اثنين وستين وست مائة (حميري) . وهذا التاريخ يوافق سنة (547) أو(535) م على حسب رأي العلماء . وحلبان هذه موضع باليمن قرب نجران ، أوموضع ماء في أرض (بني قُشَير)[4] وقد روى أهل الأخبار شعرا للمخبل السعدي يذكر فيه أبرهة وحلبان :

صرمُوا لأبرهة الأمور ،محلُّها حلبانُ ، فانطلقوا مع الأقوال[5]

إن أبرهة هذا هو (صاحب الفيل) المشهور في التاريخ والذي نزلت فيه

---

(1) الذي ناقش قضية الروح القدس وأكمل دستور الايمان (وبالروح القدس . . . الخ .)

(2) راجع النص وترجمته جواد علي3 / 494 ،95

(3) راجع النص

(4) معجم البلدان2 / 281 (صادر)

(5) اللسان1 / 334 (صادر)

الآيات الكريمة[1] عندما قصد مع جنده مكة المكرمة ليهدم الكعبة ويكره الناس على الحجّ إلى « القُلَّيْس » الكنيسة التي بناها في صنعاء والتي كتب إلى نجاشي الحبشة عندما انتهى من بنائها ما يلي :

« إني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبن العرب ولا العجم مثله . ولن انتهي حتى أصرف حاج العرب إليه ويتركوا الحج إلى بيتهم . . . »[2] وقد ذكر ياقوت الحموي القليس والكتابة على بابها : « **بنيت هذا لك من مالك ليذكر فيه اسمك وأنا عبدك** »[3] . ولكن أبرهة فشل في مشروعه الرامي إلى هدم الكعبة فعاد أدراجه إلى صنعاء وهلك فيها عام570 م تقريباً .

إن الأحباش طوال مدة مكثهم في اليمن سعوا إلى نشر عقيدتهم بين الناس . فكانت النصرانية دائبهم وديدبهم يعملون جاهدين لترسيخها في نفوس العرب . وما تركوا وسيلة الا اتبعوها . فالمبشرون يجوبون الأصقاع والبناؤون يشيدون الكنائس بأمر من ولاة الأمر وبمساعدة أناس سخروا لهذا العمل طوعاً كان أوكرهاً . فاشتهرت كنائس (نجران) و (صنعاء) و (ظفار) وأقيم عليها الأساقفة فكثر عددهم بين الحميريين والنبط[4] ، أشهرهم كان أسقف ظفار « جرجنسيوس » الموقّر من النجاشي والمساعد الأكبر في تنصير الحميريين[5] .

إن جواد علي يذكر أن القيصر « يوسطين » قد أرسل من الاسكندرية أسقفاً هو « كريكنتيوس » ليرعى نصارى (ظفار) وقد تناظر هذا الأسقف

---

(1) سورة الفيل آية1 -5

(2) أخبار مكة « الأزرقي »1 / 138 وما بعدها . دار الأندلس .

(3) البلدان4 / 394 (صادر)

(4) النصرانية1 / 65

(5) نفس المصدر1 / 64

عند قدومه مع حبر يهودي فيها فغلبه [1] .

لا شك أن الأحباش دخلوا العربية الجنوبية الغربية ومنها توغلوا في قلب الجزيرة وكادوا يصلون إلى مكة لولا تدخل العناية الإلهية [2] وارتدادهم عن كعبة ابراهيم أقدس مقدسات العرب قديماً وحديثاً أي في العصر الجاهلي وفيما بعد عند ظهور الإسلام وبعده .

إن حملة أبرهة على مكة ، كانت على حسب الرأي الغالب قبل مبعث الرسول العربي محمد بن عبد الله (ﷺ) بزهاء أربعين سنة أو في عام ميلاد الرسول وهذا ما يوافق عام 571 م تقريباً ، وكان ذلك أيام عبد المطلب جدّ الرسول الذي قال قوله الشهير عندما لم يستطع اقناع أبرهة بعدم هدم البيت العتيق :

« إن للبيت ربّـاً سيمنعه » [3] وتوسّـل عبد المطلب شريف مكة ، إلى ربّـه وناجاه ، عندما قرب أبرهة من مكة ، أن يحمي بيته بقوله :

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا — يا رب ، فامنع منهم حماكا
إن عدوّ البيت من عاداكا — إمنعهم أن يخربوا قراكا [4]

ويقول أيضاً وهو يمسك بحلقة باب الكعبة :

يا رب إن المرءَ يمنع رحله فامنع حلالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك
ولئن فعلت فإنّه أمر يتم به فعالك [5]

---

(1) Bury 11, p. 327. عن 3 / 506

(2) الفيل آية 1-5

(3) الأزرقي « اخبار مكة » 1 / 144 (الأندلس)

(4) جواد علي 3 / 516

(5) الأزرقي 1 / 145

لقد بقي الأحباش في اليمن والعربية الجنوبية حتى أخرجهم عنها « سيف بن ذي يزن » وهو « معد يكرب بن أبي مرّة » بمساعدة الفرس وقائدهم « وهرز »[1] ومما يُروى عن « سيف » هذا أنه تربّى عند أبرهة مع أمّه ريحانة التي انتزعها أبرهة من زوجها « أبي مرّة » الذي فرّ تاركاً « سيف » مع أمه والزوج المغتصب[2] .

لقد دام حكم الأحباش في اليمن زهاء خمسين عاماً أو أكثر . اتصل هؤلاء بالقبائل العربية وتدخلوا في شؤونها وعزلوا وأمّروا عليها من شاؤوا . فقد رأينا أن « كندة » و « سعد » و « معد » كانوا معهم في حربهم ضدّ « بني عامر »[3] كذلك سعى الأحباش جهدهم لتنصير القبائل العربية ، فشادوا الكنائس في ظفار وصنعاء ومأرب وغيرها وزينوها بالفسيفساء والذهب ليبهروا أنظار العرب . . . . وقد تنصّر الكثير من العرب وبقوا في المدن العربية الجنوبية وفي مكة نفسها حتى البعثة النبوية والفتح الاسلامي وقد روي عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت في حداثة سنّها : « **لقد رأيت قايد الفيل وسايسه أعميين ببطن مكة يستطعمان** »[4] . كما ذكر القرآن الكريم[5] أن الرسول كان يدخل على قين نصراني فاتهمه أبناء عشيرته أنه يتعلم من هذا القين : ﴿ **ولقد نعلم أنّهم يقولون إنما يُعلّمه بشرٌ لسان الذي يُلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبين** ﴾.

---

(1) جواد علي3 / 522 وما بعدها .

(2) نفس المصدر .

(3) راجع نص أبرهة جواد علي3 / 495

(4) الأزرقي1 / 154

(5) النحل 103

6 – بالرومان :

إن الامبراطورية الرومانية قد سادت العالم القديم وورثت املاك الامبراطورية اليونانية « امبراطورية الاسكندر وخلفائه » .

إستولى الرومان أبَّان ضعف خلفاء « ذي القرنين » على بلاد الاسكندر الأم ، وعلى اليونان وآسيا الصغرى وبلاد الشام وشمالي وشرقي القارةً الافريقية وأصبحوا على اتصال مباشر بالعرب .

ففي سنة (64 ق . م) شخص الامبراطور الروماني « بومبيوس » إلى سوريا وأخضع جميع أجزائها تقريباً ، وأرسل حملة الى أرض(Aretas) الحارث ملك العرب النبط(1) فكان نتيجة ذلك اتصال الرومان بالعرب .

لقد كان العرب في بادىء حكم الرومان لبلادهم خير معين لهم في حروبهم ضد (الفرث) . فقد ساعدوا (كاسيوس) و (كراسوس) سنة (53 ق . م)(2) لقد نصَّب الرومان ، والروم من بعدهم ، ملوكاً وأمراء ورؤساء قبائل من العرب ليكونوا عمالهم في أرض العرب وحماة الحدود لصد هجمات الفرس من الشرق .

ففي سنة (47 ق . م) عيَّن يوليوسُ قيصرُ (انتيباتر) ، والدَ الملك هيرودس الكبير والذي وُلد السيد المسيح في أواخر أيامه(3) ، بمنصب على اليهودية . وانتيباتر هذا هو من أصل أدومي عربي(4) . إن الملك (مالك

---

(1) ج . علي2 / 39 عن Dubnow. II, S. 154

(2) نفس المصدر عن.Arabian S. 23

(3) متى2 : 1 ولوقا1 :5

(4) قاموس الكتاب المقدس ص1008 وج . علي2 / 40

الأول بن عبادة) قد انقذ (يوليوس قيصر) من مأزقه الحرج عند استيلائه على الاسكندرية[1] . كما أنجد العرب (هيركانوس) الذي فرَّ من القدس إلى بطرا حينما هاجمه الفرس[2] .

ولم يكتفِ الرومان بشمالي جزيرة العرب وبسط سلطانهم عليها بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، فقد نزعت نفس « أغسطس قيصر روما » لغزو جزيرة العرب في داخلها فأوعز الى واليه على مصر (آليوس غالوس) بتجريد حملة عليها واحتلالها وبسط نفوذهم على شعبها والاستيلاء على طرق النقل التي احتكرها العرب وخاصة عرب الجنوب . ودخلت هذه الحملة الرومانية والتي انطلقت من مصر عام24 ق . م[3] أرض الجزيرة بمساعدة الأنباط العرب[4] ، ووصلت الى نجران ومريابا[5] ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً ، وعادت تجر أذيال الخزي والخيبة ، بدل الاستيلاء على أرض الطيب والبخور . إن « سترابون » مؤرخ تلك الحملة وصديق قائدها ، يقسم هذه الأرض إلى أربعة أقسام : معين وعاصمتها«Carna» وسبأ وعاصمتها « ماريابا » و « قتبان » وعاصمتها « تمنع » وحضرموت وعاصمتها « شبا »[6] . ولكن اخفاق حملة الرومان على قلب جزيرة العرب لم يصرف نظرهم عنها ، فما لم يستطيعوا تحقيقه براً سعوا إليه بحراً . وقد احتلوا ميناء عدن وأقاموا فيه حامية دائمة لما كان لهذا الميناء من أهمية لا تزال قيمتها الاستراتيجية حتى يومنا هذا . ولعلَّ أهميته هذه هي التي

---

(1) ج . علي2 / 42 / عن Murry, p. 102
(2) نفس المصدر عن Dubnow 11, S, 250.
(3) حتي 77
(4) راجع مملكة الأنباط- فيما بعد .
(5) حتي 77
(6) ج . علي : 2 / 59 عن 190 / Straho 3

حملت قيصر بيزنطة (356 م) فيما بعد « قسطنطين الثاني » على إرسال بعثة نصرانية تبشر بالدين المسيحي وربما بالسياسة في « عدن »[1] .

ولم ييأس الرومان من فشل حملة ايليوس غالوس فقد أرسل القيصر « سبتيموس سفيروس » حملة عسكرية ثانية (201 م) يقودها ابنه بالذات مما يظهر مدى اهتمامهم بجزيرة العرب . وتوغلت الحملة في العربية السعيدة وأنزلت الضربات بعرب البادية ، سكان الخيام ، ولكنها لم تحقق حلمها المنشود[2] .

إن هدف هذه الحملات جميعاً هو الاستيلاء على أرض البخور واللبان التي يقول عنها هيرودتس[3] **بلاد « السبأي » أخصب تلك الأراضي « ثمارها المر واللبان والقرفة »** . وقال عنها سترابو[4] : **ولقد أصبحت « السبأي » و« الجرعاء » بما لهما من نصيب في تجارة الطيوب أغنى القبائل عامة** . وقد روى بلينوس[5] عن آيليوس غالوس ما يلي : **« فاقت « السبأي » الجميع ثروة لما في ارضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب وهي تنتج العسل والشمع . . . وإنها أغنى بلدان الأرض قاطبة »** .

هذا عن اتصال الرومان بعرب الجنوب أما عن اتصالهم بعرب الشمال وخاصة عرب الشأم فيمكننا الاستدلال على ذلك من الآثار التي تركها الرومان من بعدهم والتي لا تزال شاهداً حياً على وجودهم في هذه الديار . لقد ساد الرومان على هذه الأرض مدةً طويلة من الزمن وبنوا القلاع والحصون

---

(1) نفس المصدر : 2 / 63 عن Sanger p. 203

(2) نفس المصدر 2 / 67 عن Die Araber I,44

(3) حتي 77 عنه 25 / BK. XVI 4

(4) حتي 78 عن BK. XVI CH 19

(5) نفس المصدر عن 32 / BK 6

والمعابد في مدينة جرش « شرقي الاردن » ومدينة بعلبك « لبنان » ودير البلمند قرب طرابلس في شمالي لبنان أيضاً[1] . ورب سائل يقول : هل كان سكان منطقة جرش والبقاع وشمالي لبنان آنذاك من العرب ؟ إن الجواب على ذلك نستخلصه من أقوال المؤرخين . فجواد علي يقول : كان العرب يقيمون في لبنان وسوريا قبل الميلاد بزمن طويل . اشتغل قسم منهم بالزراعة فاستوطنوا وتولى قسم منهم حماية الطرق وحراسة القوافل وخاصة طريق الشأم ـ تدمر ـ العراق[2] . كما يؤيد ذلك اسم حاكم دمشق تحت امرة (الحارث) ، العربي ، على زمن بولس الرسول والذي سعى للقبض عليه ، فدلوه من كوة في زنبيل من السور ، لا يزال مكانها محجاً يزوره الناس[3] .

كما أن في تاريخ الامبراطورية الرومانية اسماء رجال يرى بعض الباحثين من المؤرخين أنهم كانوا من أصل عربي منهم : الكسندر سيفيروس وفيليب العربي اللذان توليا عرش روما ، وعدد من أسرة « الزباء » ملكة تدمر وقد نالوا مراكز مرموقة في روما[4] .

لقد كان لوجود الرومان في ديار العرب وخاصة في بلاد الشأم وحملاتهم المتواصلة على العربية السعيدة تأثير كبير في مجالات شتى وخاصة في طرق العبادة .

---

(1) زيارة شخصية لجرش عام1967 مع دليل وزارة السياحة الأردنية

ـ زيارات متعددة لهياكل بعلبك ومشاهدة الآثار مع دليل وزارة السياحة اللبنانية

ـ مقابلة مع بطريرك الروم الأرثوذكس (الكسندر طحان) عام1958 وتحدثه عن تاريخ دير البلمند بحضور ملك اليونان بول والرئيس كميل شمعون .

(2) ج . علي2 / 38

(3) 2 كورنثوس : 11 :32

(4) ج . علي : 2 / 68 عن.Die Araber 1, S. 4

لقد عبد الرومان الأصنام وألهوا الشمس وغيرها وربما تكون عبادة الشمس قد انتقلت الى العرب عن طريقهم .

7 ـ باليونان :

في أواخر القرن الرابع ق . م . شهدت بلاد العرب ، وخاصة الشمالية منها ، زحفاً عسكرياً غربياً ، على رأسه رجل جبار غريب الأطوار هو الاسكندر الكبير الذي قضى وبسرعة البرق على الامبراطورية الفارسية زعيمة بلاد الشرق واستولى على ارض واسعة مؤسساً امبراطورية يونانية تضم بلاد الرافدين ومصر والهلال الخصيب وتنفذ من خلال هذه الأرض على البحر الأحمر والخليج العربي ومن ثم على أرض الجزيرة العربية .

إن الدراسات تشير إلى أن أول يوناني اتصل بالعرب وكان له علاقات معهم هو الاسكندر الكبير[1] ، الذي ، وبعد أن تخلص من الامبراطورية الفارسية ، أراد احتلال جزيرة العرب . إما طمعاً بالتوسع والسيطرة على بلاد الطيوب لما كان قد سمعه عنها ، أو ليجعل نفسه إلهاً ثالثاً للعرب كما يقول « أريان »[2] حيث أن العرب كانوا يتعبدون لإلهين : « أورانوس » و « ديونيسوس » بالإضافة الى جميع الكواكب وخاصة الشمس . وقد بادر الاسكندر بارسال قواده وخبرائه لاستكشاف أحوال الجزيرة ، وخاصة سواحلها ، ليتمم مشروعه ، فوصل بعضهم الى جزر « البحرين » والبعض الآخر الى « السويس » ولكن المنية عاجلته وهو في شرخ شبابه فتوفي عام323 ق . م . قبل أن يحقق هدفه .

---

(1) ج . علي : 2 / 5 وما بعدها عن Anabasis 5 / 19 ,Book VII للكاتب . F. Arrianus

(2) نفس المصدر

إن « أريان » يذكر مقاومة العرب للاسكندر فيقول : عندما أراد هذا الفاتح احتلال غزّة وهو في طريقه الى مصر قاومه رجل اسمه « باتس » ، ربما يكون في العربية ، باطش أي الفاتك ، مقاومة شديدة مدة خمسة شهور ، مستعيناً بجيوش عربية[1] . ويذكر المؤرخ هيرودوتس أن قبائل عربية كانت تحل ما بين غزّة و « جانبسيس » ويحكمها ملك عربي[2] وهذه القبائل على اتصال بطور سيناء منذ القديم . لقد كان الاسكندر رجلاً عمرانياً محباً للبناء ، وقد بنى وهو في بلاد المشرق عدة مدن منها : «Charax» على ملتقى نهر (كارون) بدجلة[3] . وأسكن هذه المدينة اتباعه وجنوده ومواطنيه . ويظن المؤرخ (بلينيوس)[4] أن « شاركس » هذه ربما تكون « المحمّرة » الواقعة في النهاية القصوى من الخليج العربي على تخوم العربية السعيدة وقد عرفت باسم « كرخا » ومن الممكن أن يكون سبب بنائها ليس لسكنى الجنود والأتباع وحسب ، بل لتزاحم « جرها » في التجارة تستقبل بضائع افريقيا والهند والعربية الجنوبية ، وتعيد تصديرها بواسطة القوافل البرية عن طريق حائل ـ تيماء الى موانىء المتوسط ومصر ، أو الى العراق ومنه إلى الشأم[5] .

و « جرها » هذه رجّح بعض الباحثين أنّها « الجرعاء » لسبب ورود اسم «Thaémon» وهو تميم معها[6] . وقد ذكرها الهمداني فقال : « ثم ترجع الى البحرين والاحساء لتجد منازل ودوراً لبني تميم ثم لسعد من تميم ،

---

(1) نفس المصدر عن Arrianus: 1, p. 219.

(2) نفس المصدر عن Herodotus 1, p. 212

(3) ج . علي 2 / 12

(4) نفس المصدر عن Persian. Gulf. p. 30

(5) نفس المصدر عن Cornwall بكتابه Ancient Arabia p. 30

(6) نفس المصدر 2 / 18 عن Forster II, p. 209

وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع عليه العرب »[1] .

وإلى جانب هذه المدينة فقد بنى الاسكندر عدة مدن وأسكنها اتباعه ، كما حمل الفرس عدداً من أسرى اليونان وأسكنوهم في ساحل الخليج وأماكن أخرى . ومن الطبيعي لا بل من البديهي أن تترك سكنى هؤلاء أثراً في الشرق وأبنائه ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وحضارياً .

لم ينته أثر اليونان في المشرق بموت الاسكندر ، وقد انقسمت امبراطوريتهم الى شقين السلوقيون في الهلال الخصيب والبطالمة في مصر . وفي الحرب التي دارت بين (أنطيوخوس الثالث) ملك المشرق و « بطليموس » ملك مصر نرى العرب يساعدون انطيوخوس فقد اشترك في القتال(218) قبيلة عربية إلى جانبه[2] . وعشرة آلاف عربي بإمرة « زبدايل » حاصروا معه مدينة غزة .

لقد كانت بعض أجزاء جزيرة العرب مسرحاً لجيوش المملكتين اليونانيتين تتسابقان لاحتلالها أو على الأقل للسيطرة على طرق القوافل والتجارة[3] . ويحدثنا المؤرخون والكتاب أن ملك مصر من البطالمة « بطليموس ساطر » أرسل جيشاً لمحاربة نده السلوقي « سلوقي نيقاطور » فاجتاز هذا الجيش سيناء الى غزة ومنها إلى « بطرا » قاطعاً بادية السماوة الى العراق[4] .

إن البطالمة اليونان قد حذوا حذو الاسكندر الكبير ، فأسكنوا مواطنيهم أماكن متعددة من السواحل العربية لحماية سفنهم التجارية ، كما فعل هو من

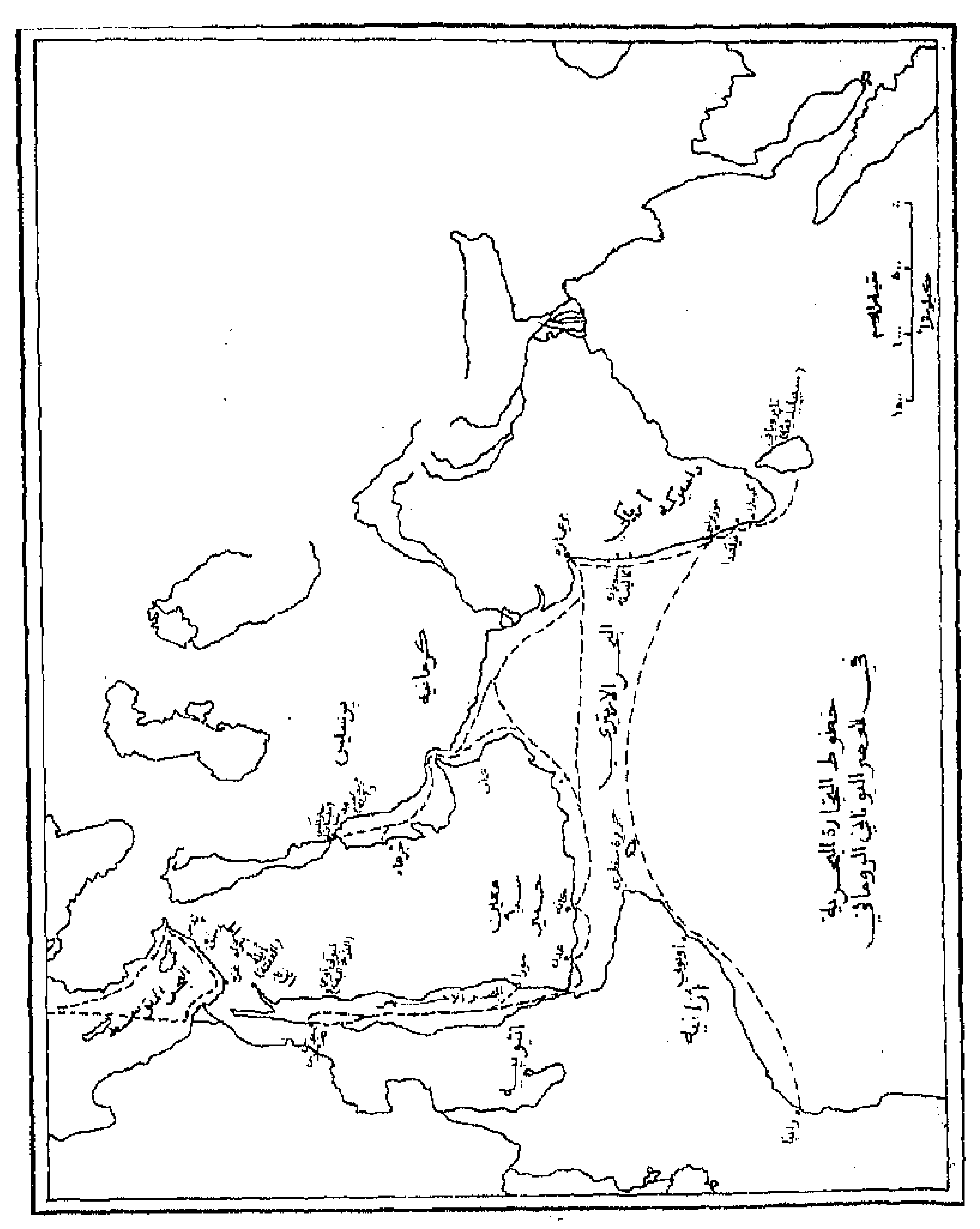
---

(1) نفس المصدر 2 / 18 عن الصفة 173

(2) ج . علي 2 / 21 عن Araber: I, S: 24

(3) انظر خريطة رقم(5) على الصفحة التالية .

(4) نفس المصدر عن الطبري 1 / 703 « ليدن »



خارطة رقم(5)

قبل حيث اسكن اليونـان ، « كرخـا » وجـزيرة « سُقطـري » بتأثـير معلمـه أرسطاطاليس ، الذين طردوا الهنود منها حاملين معهم صنمهم العـظيم إلى بلادهم وبقي اليونانيون في سُقطرى حتى مجيء المسيح فتنصروا جميعهم[1] .

لقد حمل اليونان معهم الى بلاد العرب ثقافتهم وفلسفتهم ومعتقداتهم الدينية ، وحضارتهم . ولقد عُثر في خرائب « تمنع » على تماثيل وفخار . وفي مواضع أخرى عُثر على ضرب من النقود صُك بعضـه على زمـن الاسكنـدر والبعض الآخر على أيام خلفائه[2] . كما وُجدت في جزيرة « فيلكا » الكويتية كتابة يونانية على حجر ، احتفظ بها أحد الانكليز ، تشير إلى تقدمة من أحد اليونانيين واسمه « سوتيلس » ومن رفاقه الجنود الى آلهتهم « زيوس المخلص وأرتيمس المخلصة وبوزيدون »[3] .

كما عثرت بعثة دانمركية على كتابة مدونة على حجر مؤلفة من(44) سطراً تحمل اسراراً تاريخية مهمة ، منها رسالة من الملك السلوقي حوالى سنة 239 ق . م . إلى سكان جزيرة « فيلكا » الكويتية من اليونان تبـين موافقتـه على رسالتهم في شأن عزمهم على اقامة معبد لهم وتعيين كهان لهذا المعبد[4] .

من هذه الآثار التي عثر عليها المنقبون والعلماء ومن آثار عثروا عليها في الجزيرة بمصر ترجع بتاريخها الى عهد البطالمة بمصر ، ومن وجود كتابات المسند في مصر ، نستدل على الصلات الوثيقة التي كانت بين العرب واليونان من جهة وبين العرب والمصريين من جهة ثانية وقد يرى الباحث إحدى هذه الكتابات

---

(1) البلدان : 3 / 227 صادر

(2) جواد علي : 2 / 31 / عن.Boasoor 119

(3) نفس المصدر عن تقرير آثاري من وزارة التربية الكويت ص27, 9

(4) نفس المصدر عن Die Arabier 4, S, 68

وقد دوّنها رجل اسمه « زد ال بن زد » زيد ايل بن زيد من « آل ظرن » وقد كان كاهناً في معبد مصري ، يعترف بوجود دين عليه وواجب لتزويد بيوت آلهة مصر بالمرّ وقصب الطيب الذي كان يحرق في مذابح الهياكل[1] .

(1) ج . علي2 / 36

الفصل الرابع

العرب والنصرانية

لقد عُرف « اتباع المسيح » بالمسيحيين والناصريين « النصارى » في كل الأجيال . فلماذا دُعوا كذلك ؟ ومن أين واتتهم هذه التسمية ؟

لا شك أنهم سُموا « مسيحيين » نسبة الى المسيح « له المجد » . والمسيح سُمي كذلك لأنه مُفرز ومكرّس للخدمة والفداء[1] ودُعي المسيح « ناصرياً » لأن الملاك بشرَّ به ، مريمَ أمَّه ، في مدينة الناصرة[2] ، وإلى هذه المدينة عاد يسوع مع مريم أمِّه ويوسف خطيبها من مصر[3] . وفيها صرف يسوع القسم الأكبر من الثلاثين سنة الأولى من حياته[4] ، ولهذا لُقّب ناصرياً ، نسبة إليها[5] ، ولهذا لُقّب تلاميذه بالناصريين ومن بعدهم وإلى يومنا هذا عُرف المسيحيون بهذا الاسم . إن بطرس دعا يسوع ناصرياً[6] ، وكذلك بولس[7] ، وكُتب فوق رأسه على خشبة الصليب « **يسوع الناصري ملك اليهود** »[8] . هذا عن تسمية اتباع المسيح كما ورد في الكتاب المقدس .

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص860

(2) لوقا 1: 26

(3) متى : 2: 23

(4) لوقا : 3: 23 ومرقس 1: 9

(5) متى : 21: 11 ومرقس 1: 24

(6) اعمال : 2: 22

(7) متى : 26: 9

(8) يوحنا 19: 19

أما القرآن الكريم فقد سمّاهم النصارى ، وقد ذُكر اسمهم في سورة البقرة[1] ثماني مرات ، وفي سورة المائدة[2] خمس مرات ، ومرة واحدة في سورتي التوبة والحج[3] ، ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾[4] .

إن المدن التي عاش فيها المسيح وجاب شوارعها ووُلد ومات فيها بعد أن أتمّ ما قد جاء لأجله ، كالناصرة وبيت لحم وأورشليم وأريحا وصور وصيدا ، هي مدن كان يسكنها ويقيم في جوارها عرب كما بيّنا وسنبين فيما بعد . ونستنتج من هذا أن أول اتصال للنصارى بالعرب تم بمؤسس المسيحية « يسوع الناصري » . والذي يتتبع أحداث العالم المسيحي من بعد ارتقاء السيد المسيح الى السماء يرى « صفا » « بطرس » « الصخرة »[5] وفي يوم الخمسين ، لصعود المسيح إلى السماء ، يتكلم بلغة العرب الى رجال عرب أتوا من كل حدب وصوب الى أورشليم بمناسبة العيد[6] وربما كانوا عرباً من اليهود ،فيقبل بعضُهم كلامه بفرح ، ويعتمد وينضم إلى اتباع الديانة الجديدة[7] . وهكذا نرى أن أساسات النصرانية قد وُضعت وبدأ اليهود بالتنصُّر وكذلك الأمم[8] . وتولى بولس « شاول »[9] الرسول توصيل بشرى

---

(1) البقرة : 2 :62 و111 و113 و120 و135 و140

(2) المائدة : 5 :14 ,18 -51 -69 -82

(3) التوبة9 :30 الحج22 :17

(4) المائدة 5 :82

(5) متى : 16 :18 يوحنا : 1 :42

(6) أعمال2 :1 -12

(7) أعمال2 :41

(8) المقصود بالأمم كل انسان غير يهودي من أي جنس أو عرق أو نسب كان .

(9) شاول اسم بولس الرسول قبل تنصره . أعمال8 :3

النصرانية الى أمم الأرض المعروفة آنذاك وبعد أن تحوّل بولس من مضطهد للمسيحيين[1] إلى مدافع عنهم من بعد تنصره[2] قصد العربية وأقام فيها ثلاث سنوات[3] ، ولم يُحدد الكتاب المقدس في أي منطقة من العربية أقام بولس ، أفي شمالها حيث كانت مملكة الأنباط تسود أم في عمقها . . . والمهم هو أن بولس الرسول اتصل بأناس عرب لدى انتقاله من دمشق الى أورشليم ، ولا شك أنه كان يبذر بذاره ، الذي تلقاه من سيده « المسيح » ، ومن معلمه النصراني الدمشقي « حنانيا » ، في نفوس من اتصل بهم وصادفهم في مسيرته هذه . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن مقام حنانيا لا يزال معروفاً في دمشق حتى الآن والكوة التي أنزل منها بولس في « زنبيل » لا تزال أيضاً معروفة في سور دمشق[4] .

ولكن انتشار النصرانية لاقى من الصعوبات ما يحده عن سرعة التقدم ، فسار سير السلحفاة في القرون الثلاثة الأولى للميلاد . وما ذلك إلا لوقوف الوثنيين من جهة وعلى رأسهم أباطرة روما ، والعبرانيين ، من جهة ثانية ، وتعصبهم ليهوديتهم . وكلا الفريقين رأى في الدين الجديد انهياراً لمعتقدات آبائه وأجداده . ولكن قطار النصرانية لم يتوقف في هذه القرون الثلاثة ، وإن كان يسير ببطء فقد انتشرت النصرانية في كل أنحاء المملكة الرومانية في آسيا وافريقيا وأوروبا[5] . وقد ساح أحد معلمي كنيسة الاسكندرية في النصف

---

(1) أعمال 8 :3

(2) أعمال 9 :3 وما بعدها .

(3) غلاطية 1 :16-22

(4) كنيسة القديس حنانيا حيث كان يقيم والكوّة ، قرب « باب شرقي » في سور دمشق قمت بزيارتها عدة مرات آخرها عام 1979 م .

(5) تاريخ الكنيسة ص 38-39 عرّبه عن الروسية . الكسندروس مطران حمص

الأول من القرن الثالث واسمه « أوريجان » في العربية واعظاً ومبشراً ، ومن جملة من وعظهم أحد امراء العرب[1] . ولما استتب الأمن والسلام للنصرانية وأخذت حرية تحركها بمرسوم امبراطوري من قسطنطين الكبير عام313 م[2] بدأت تقيم لها مراكز دينية ثابتة ينتشر منها المبشرون الى من جاورهم من الأمم . وقد كان هناك ثلاثة مراكز نصرانية مجاورة لبلاد العرب ، هي : سورية في الشمال الغربي ، والعراق في الشمال الشرقي ، والحبشة في الغرب والجنوب[3] . فمن بيت المقدس ودمشق وانطاكية انطلق المبشرون إلى حيث العرب ، وبدأنا نسمع عن أساقفة بصرى وتدمر ، وذلك قبل نهاية القرن الثالث الميلادي[4] وانتشرت النصرانية بين العرب المقيمين في بلاد الشام ، عمال بيزنطية ، عنيت بهم الغساسنة والذي قال في مدحهم حسان بن ثابت :

لله درُّ عصابة نادمتُهُم يوماً بجلّق في الزمان الأول[5]

وفي الشمال الشرقي من الجزيرة العربية ، تأصلت المسيحية في الرها ونصيبين واربل وجنديسابور وسلوقية طيسفون التي أصبحت مركزاً لبطاركة « النساطرة »[6] . ومن هناك انتشرت في بلاد البحرَين وعمان ، وتحوّل الكثير من عرب الحيرة الى النصرانية وعُرفوا بالعباد[7] وقد دان بالنصرانية بعض قبائل

---

(1) نفس المصدر40

(2) نفس المصدر64

(3) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ص482 . عبد العزيز سالم

(4) تاريخ العرب في العصر الجاهلي د . عبد العزيز سالم ص482

(5) البلدان2 / 154 صادر .

(6) نسطور بطريرك القسطنطينية قال بالطبيعة الواحدة الانسانية للمسيح حكم عليه بمجمع افسس عام431 م .

(7) أديان العرب في الجاهلية 204
محمد نعمان الجارم ، القاهرة1923

العرب النازلة بجوار الحيرة وبلاد الشام . منهم : غسّان وتغلب وتنوخ ولخم وجذام وسليح وعاملة [1] .

لقـد كان للهاربـين من المملـكة البيزنـطية بسبـب الاضطهـاد « الهرطقي » ، فضل كبير في نشر المسيحية في البلاد العـربية ، وفي القرنـين الرابع والخـامس للميلاد امتـدت جذور المسيحية الى أقصى جنوبـي غربـي الجزيرة ، الى العربية السعيدة ، فقد أشار تاريخ الكنيسة الى أن الامبراطور « قسطنطـين » قد أرسـل في عام320 م تيوفيل الهنـدي ، الـذي تربـى في القسطنطينية تربية مسيحية آريوسية [2] بعد أن سيم أسقفـاً ، الى اليمـن إلى « الحميريين» القبيلة المتحضرة ، وذلك لتأمين حرّية المعتقد للتجار المسيحيين وقـد نجـح هذا الرسـول واستطـاع أن يُنصِّـر رئيس القبيلـة على الطريقـة الآريوسية [3] . أما النساك ساكنو القفار ، والرهبان ، فقد استطاعوا تنصير الكثير من القبائل العربية البدوية نذكر منهم الناسك موسى الذي نصّـر بعض البدو حتى إنّ ملكة إحدى القبائل « ما في » والتي كانت بحروب مع الرومان طلبت تنصيبه أسقفاً عند عقد الصلح معهم عام372 م . وكذلك فعل البار افتيموس في بداية القرن الخامس الميلادي فقـد نصّـر قائـد إحـدى القبائـل العربية ، وعمل على سيامته أسقفاً تحت اسم بطرس « للكنائس الحربية » [4] والمقصود بالكنائس الحربية القبائل الغازية وغير المستقرة . هذا فضـلاً عن رهبان جبل سيناء وما قاموا به من بشارة بين من جاورهم من القبائل العربية

---

(1) ج . علي6 / 599

(2) نسبة الى آريوس الذي لم يقتنع بان الآب والابن من جوهر واحد إذ أن المسيح مخلوق وقد حكم عليه في مجمع نيقية عام325 م قصة الحضارة11 / 395

(3) تاريخ الكنيسة المسيحية ص194 قصة الحضارة11 / 395

(4) تاريخ الكنيسة المسيحية195

وسمعان العامودي ناسك حلب أدهش البدو بورعه وتقواه فنصّر الكثيرين [1] .

وقد وصلت النصرانية الى بلاد الحبشة في افريقيا . والحبشة جارة الجزيرة من الغرب ولها صلات قديمة بها [2] ومن الحبشة انتقلت المسيحية اليها ، كما وردها بعض المبشرين من الشمال للتبشير فيها ، نذكر منهم فيميون الراهب الذي حمل أهل نجران على النصرانية وأسس بها كنيسة يعقوبية [3] . وقد تركزت النصرانية في نجران وصنعاء وخاصة عند الغزو الحبشي الثاني لليمن عام 525 م . ولقد أراد أبرهة الحبشي أن يجعل من كنيسة نجران كعبة يحج إليها العرب ليصرف أنظارهم عن كعبة ابراهيم في مكة [4] . وفي هذه الكعبة يقول الأعشى :

وكعبة نجران حتمٌ عليـ ـكِ حتى تناخي بأبوابها
نزورُ يزيداً وعبد المسيحِ وقيساً همُ خيرُ أربابها [5]

والسبب المباشر لمجيء حملة أبرهة إلى اليمن فيما يبدو هو قتل أهل نجران النصارى ، الذين بشّرهم فيميون ، على يد ذي نوّاس الحميري اليهودي المتعصّب صاحب الأخدود ، الذي ذكره القرآن الكريم **﴿قُتل أصحابُ الأخدود . النّارِ ذاتِ الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . . .﴾ الخ الآية** [6] .

---

(1) نفس المصدر

(2) انظر صلة العرب بالحبشة فيما تقدم

(3) سيرة ابن هشام1 / 33 وما بعد .

(4) انظر صلة قدامى العرب بالأحباش .

(5) البلدان : 5 / 268 صادر .

(6) البروج 4-8

وقد روى « ابن هشام » أنّ ابن اسحاق قال : كان فيمن قَتل ذو نوّاس عبدُ الله بن الثامر ، رأسُهم وإمامُهم . وقد وجدت رفات ابن الثامر هذا في خربة من خرب نجران زمن عمر بن الخطاب والرجل قاعد يضع يَده على ضربة في رأسه ، فإذا أزيحت يده سال الدم من موضع الضربة ، وإذا تركت أمسك الدم ، وفي يده خاتم مكتوب فيه « ربـي الله » ، وكتب الى عمر في أمره ، فأمر أن يقرّوه على حاله ويردّوا عليه الدفن كما كان عليه[1] .

وبقصة عبد الله بن الثامر وإيجاد جسده بعد زمن ولم يَبْلَ وبروايات أخرى رواها الأخباريون عن حمزة بن عبد المطلب وغيره ، قورن القول في القرآن الكريم عند بعضهم ،**﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءً عند ربِّهم يُرْزقون ﴾**[2] .

وهـكذا نرى أن النصرانية بدأت تتسرَّب من الشمال ، والجنوب الغربي ، إلى أواسط الجزيرة العربية عن طريق من ذكرنا من المبشرين والرهبان والتجار النصارى . وهذه هي « دومة الجندل » في عهد محمد (ﷺ) الذي تصالح مع أميرها « الأكيدر » النصراني على الجزية بعد أن افتتحها خالد بن الوليد[3] .

أما مدينة « أيلة » الواقعة على ساحل بحر « القُلْزُم »[4] « الأحمر » فقد كان اسم صاحبها على زمن الرسول « يوحنا بن رؤبة » ومن اسمه يُستدل على نصرانيته ، وقد تصالح يوحنا هذا مع الرسول على الجزية[5] . وقد ورد اسم

---

(1) السيرة النبويّة 1 / 36

(2) سورة آل عمران 3 / 169 والسيرة 1 / 37

(3) البلدان 2 / 487

(4) البلدان 1 / 292

(5) نفس المصدر

يوحنا في بعض المجامع الدينية على أنه اسقف أيلة والشراة [1] .

وقد كان في وادي القرى جماعة من الرهبان نستدل على وجودهم من شعر جعفر بن سراقة أحد بني قرة الذي يقول :

فريقان : رهبان بأسفل ذي القرى   وبالشأم عرافون فيمن تنصّرا [2]

أما قبيلة طيء فقد وجدت النصرانية اليها سبيلاً ، وقد كان عدي بن حاتم الطائي نصرانياً ، ولما جاء الاسلام دخل في الدين الجديد [3] .

ومدينة يثرب ! ألم تدخل النصرانية إليها ؟ إنه كان يسكنها بعض المسيحيين وبقوا فيها حتى الهجرة وبعد موت الرسول وهذا ما نفهمه من شعر لحسان بن ثابت الشاعر المخضرم في رثائه للنبي :

فرحت نصارى يثرب ويهودُها   لما توارى في الضريح الملحدِ [4]

وكان من بين سكان مكة ، عند ظهور الاسلام ، غرباء مستوطنون بعضهم من النصارى ، ومن المرجّح أنهم دخلوا هذه المدينة تجاراً ومبشرين وحرفيين وأيضاً أرقاء ، وكان بعضهم يعرف القراءة والكتابة ولا يستبعد أن يكونوا قد أثروا في محيطهم ونصّروا البعض من أهل مكة . فقد كان الناس يختلفون إلى مجالسهم ومساكنهم لسماع قصص الأقدمين من الأنبياء ومن المرجّح أن الرسول كان يُعرّج على منازل بعضهم كما يروي ابن هشام « وكان رسول الله (ﷺ) ـ فيما بلغني ـ كثيراً ما يجلس عند المَرْوة الى مبيعة غلام

(1) النصرانية 448

(2) الأغاني 7 / 101 دار الفكر بيروت

(3) المشرق : السنة الثامنة العدد 11

(4) ديوان حسّان ص 64 دار احياء التراث العربي « بيروت » .

نصراني ،يقال له : جَبْرٌ ،عبد لبني الحضرمَــي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلِّــم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جَبْرُ النَّـصراني »[1] وقـد اتُّهـم من أهـل مكة ، إنما يتلقى رسالته من جبر هذا الذي سمَّاه بعضهم سلمان ، ويسار ، ويعيش وبلعام[2] وقد ردَّ القرآن الكريم على القُرشيين بقوله : **﴿ ولقد نعلم أنَّــهم يقولون إنما يعلِّــمه بشر ،لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ،وهذا لسان عربيٌّ مبين ﴾**[3]

وأيضاً :

﴿ وقال الذين كفــروا :«إن هذا إلا إفــك افتــراه وأعانــه عليه قوم آخرون ﴾[4]

لقد كانت مكة عند ظهور الإسلام تحتوي على عدد كبير من العبيد من جملتهم الأحباش النصارى وقد ترك هؤلاء أثراً في لغة أهل مكة تدل على أثرهم في المجتمــع . وقــد أشــار العلماء الى ورود بعض ألفاظهــم في القــرآن والحديث[5] . ويقول ابن هشام : إن شماساً قدم مكّـة في الجاهلية فعجـب الناس منه[6] .

وكان في مدينة الطـائف نفـر من الموالي النصـارى منهـم « عـدّاس » النينوي الأصل والذي كان مملوكاً لعتبة بن ربيعة ، والذي قابل الرسول عند

---

(1) السيرة النبوية1 / 393
(2) ج . علي6 / 603
(3) سورة النحل16 / 103
(4) الفرقان25 / 4
(5) ج . علي6 / 606 عن المعرّب202
(6) السيرة1 / 326

ذهابه الى ثقيف[1]

أما اليمامة والتي عدَّها ياقوت من نجد وسمَّاها (جوًّا)[2] فقد دخلتها النصرانية ووصلت الى حكامها ونستدل على ذلك من شعر للأعشى يمدح فيه (هوذة بن علي) حاكمها الذي مَنَّ على الشاعر ففكَّ وثاق قوم من تميم يوم الفصح تقرباً لإلهه .

بهم تقرَّب يومَ الفصح ضاحية ، يرجو الإله بما سدّى وما صنعا[3]

أما العربية الشرقية فقد دخلتها النصرانية من الشمال من « الحيرة » ومن البحر من تجار الروم ، فوجدت سبيلاً الى البحرين وقطر وهجر وبعض جزر الخليج وكانت النصرانيةفي هذه البلاد على المذهب النسطوري ، مذهب نصارى العراق وفارس . والذي كان منتشراً في تلك البقاع ، وكان لأتباعه عدة أساقفة في مواقع من الخليج العربي[4] .

أما العربية الجنوبية فقد رأى بعضهم أنَّ « ثيوفيلوس » رسول قسطنطين الكبير ملك بيزنطية ، هو صاحب الفضل الأكبر بحمل رسالة النصرانية الى تلك البقاع .فقد نصَّر هذا الأسقف عرب اليمن وأنشأ كنيسة في ظفار وأصبح رئيس أساقفتها مما يوحي بأنه أقام أساقفة آخرين للاهتمام بشؤون الكنائس المنشأة ومن ظفار كان يشرف على كنائس اليمن والعربية الجنوبية والخليج ومن ضمنها كنيسة نجران[5] .

---

(1) السيرة 2،1 / 421 دار الكنوز الأدبية .

(2) البلدان 5 / 442

(3) الديوان 110 المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت

(4) ج . علي 2 / 648 عن Belgrave p. 61

(5) ج . علي 3 / 457 عن Grohman S, 29.

وقد ترك النصارى بصمات عديدة تدل على وجودهم في أرض العرب الجنوبية مدة طويلة من الزمن[1] . كما أن آثار الكنائس لا تزال موجودة هناك وفي أماكن أخرى كمدينة جرش[2] الواقعة اليوم في شرقي الأردن . وهي إحدى مدن الكورة العربية على زمن الرومان والتي كانت مركزاً لأسقفية معروفة قبل الإسلام[3] .

قلنا سابقا أن النصرانية وجدت سبيلاً الى عدة قبائل عربية كانت تقيم في نجد والحجاز وقرب الحيرة وبرِّ الشام ، نذكر منها على سبيل المثال قبائل بكر وتغلب[4] وكندة . فمن بكر كان جسّاس ومن تغلب كليب وأخوه المهلهل وجسّاس وكليب هما سبب حرب البسوس التي عملت على تفتح عبقرية المهلهل الشعرية فكان كما قيل عنه أول من قصَّد القصائد وأطالها . . . وإذا صحّت هذه الرواية فيكون المهلهل الشاعر النصراني من أقدم شعراء العربية الذين طبقت شهرتهم الآفاق

أما كندة فقدأنجبتنا امرأ القيس أمير شعراء الجاهلية والذي قال فيه الفرزدق : « امرؤ القيس أشعر الناس »[5] .

وعنترة العبسي ويظهر أنه انتمى الى النصرانية[6] فقد خلدت ذكره

---

(1) راجع صلة قدامى العرب بالأحباش .

(2) قمت بزيارة المدينة عام1967 وشاهدت كنيستها البيزنطية « القالب » والتي لا تزال سمات النصرانية في أرض الكنيسة بين احجار الفسيفساء .

(3) ج . علي 3 / 67 عن Ency I, p. 1017

(4) حتي131

(5) أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي جهرة أشعار العرب ص80 دار بيروت

(6) حتي140

ملحمته التي لا يزال العرب وعلى مر عصورهم يتناشدونها وهي نموذج البطولة والفروسية .

إن هؤلاء الشعراء وغيرهم كعدي بن زيد العبادي وورقة بن نوفل ، إن صحت نصرانيتهم فيكونوا قد وضعوا مع غيرهم أسس التراث العربي وبذور حضارتهم ألا وهو الشعر العربي ديوان علوم العرب ومرآة حياتهم وسجل أعمالهم الخالد . وسوف نرى في فصول لاحقة مدى تأثير النصرانية على نفوس العرب من خلال شعر هؤلاء الشعراء وغيرهم وكما يُعرف عن الشاعر القديم إنه لسان القوم وناقل أحاسيسهم ومشاعرهم ومصور حياتهم . ولننظر إلى بعض قول ورقة بن نوفل[1]:

لقد نصحتُ لأقوام وقلت لهم	أنا النذير فلا يغرركم أحد[2]
لا تعبدون إلهاً غير خالقكم	فان دعوكم فقولوا بيننا جُدد
سبحان ذي العرش سبحاناً نعوذ به	وقبلُ قد سبَّح الجودي والجمد
مسخّر كل ما تحت السماء له	لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغنِ عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدو[3]

(1) هو ابن عم خديجة ، زوجة الرسول ، أخي أبيها . وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يقرأ و يكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء . الأغاني 3 / 14 دار الفكر للجميع (بيروت) .

(2) كلمة أحد كان يرددها بلال قبل الاسلام عندما يعذبه أهل مكة برمضاء مكة .
نفس المصدر

(3) الأغاني 3 / 14 دار الفكر للجميع بيروت .

ويقول أيضاً

أدينُ لربٍّ يستجيب ولا أرى أدين لمن لا يسمع الدهرَ داعيا
أقول إذا صليتُ في كل بيعة تباركتَ قد أكثرتُ باسمك داعيا [1]

وعدي بن زيد الذي قال فيه الأصمعي وأبو عبيدة « إنه في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها » [2] قال وهو في سجنه الذي وضعه فيه النعمان ملك الحيرة .

سعى الأعداء لا يألون شرا عليك وربِّ مكةَ والصليبِ
فإني قد وكلت اليوم أمري إلى ربٍّ قريب مستجيبِ [3]

ويقول أيضاً يعاتب النعمان ويعتذر :

أبلغ النعمان عني مالِكاً قول من قد خاف ظناً فاعتذر
إنني والله فاقبل حلفي لأبيل كلما صلّى جأر [4]

وهكذا نرى عديا بن زيد يشير في شعره إلى عقيدته بوجود رب واحد مستجيب مسبِّح « هو الله » فيقول أيضاً مشيراً إلى الموت الذي لا يبقي ولا يذر والى الجنة والنار ذاكراً أبليس ولأول مرة في الشعر الجاهلي وربما قد عرف هذه التسمية للشيطان من الروم عندما كان رسول كسرى إليهم « هرمر بن أنو شروان » [5] وإبليس في اليونانية « ديابولس » وقد ترجمت الى العربية بكلمة إبليس [6] .

---

(1) الأغاني 3 / 16 دار الفكر للجميع بيروت .
(2) الأغاني 2 / 18
(3) الأغاني 2 / 24
(4) الأغاني 2 / 25 أبيل « اسم للمسيح » .
(5) ج . علي 6 / 663
(6) قاموس الكتاب المقدس ص 15

وهــكذا وردت في انجيل متــى[1] : إبليس - الــروح - المجــرِّب - شيطان ،

إن عدياً بن زيد يقول :

وأهبــط الله إبليســـا وأوعده   نارا تلهَّــبُ بالأسعـــار والشرر[2]

كما يذكر عدي كتابه الذي يؤمن به فيسميه كتاب الله .

ناشدتنـــا بكتـــاب الله حرمتنا   ولـــم تكن بكتـــاب الله تقتنع[3]

ويروي لنا حكاية الخلق كما عرفها من التوراة ولم ينفِ المسيحيون يوما من الأيام ما جاء في التوراة من أمور إلهية . فيقول :

كانـــت رياحـــا ومـــاء ذا عُراثية   وظلمـــة لم يدع فتقـــا ولا خللا
فأمـر الظلمـة السـوداء فانكشفت   وعـــزُل الماء عما كان قد شغلا
وبســـط الأرض بسطـــا ثم قدرها   تحـــت السماء سواء مثـــل ما فعلا
وجعـل الشـمس مصرا لاخفـــاء به   بـين النهـار وبـــين الليل قد فصلا
قضى لستـــة، أيام خلائقه   وكان آخـــر شيء صوَّر الرجلا
دعـــاه آدم صوتـــاً فاستجـــاب له   بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا[4]

وهـذا الـكلام نراه موافقـاً لما ورد في الكتـاب المقـدس[5] . والقـرآن الكريم[6] وإذا وافقت كلمات الشاعر ما ورد في القرآن الكريم ، فلا يعني

---

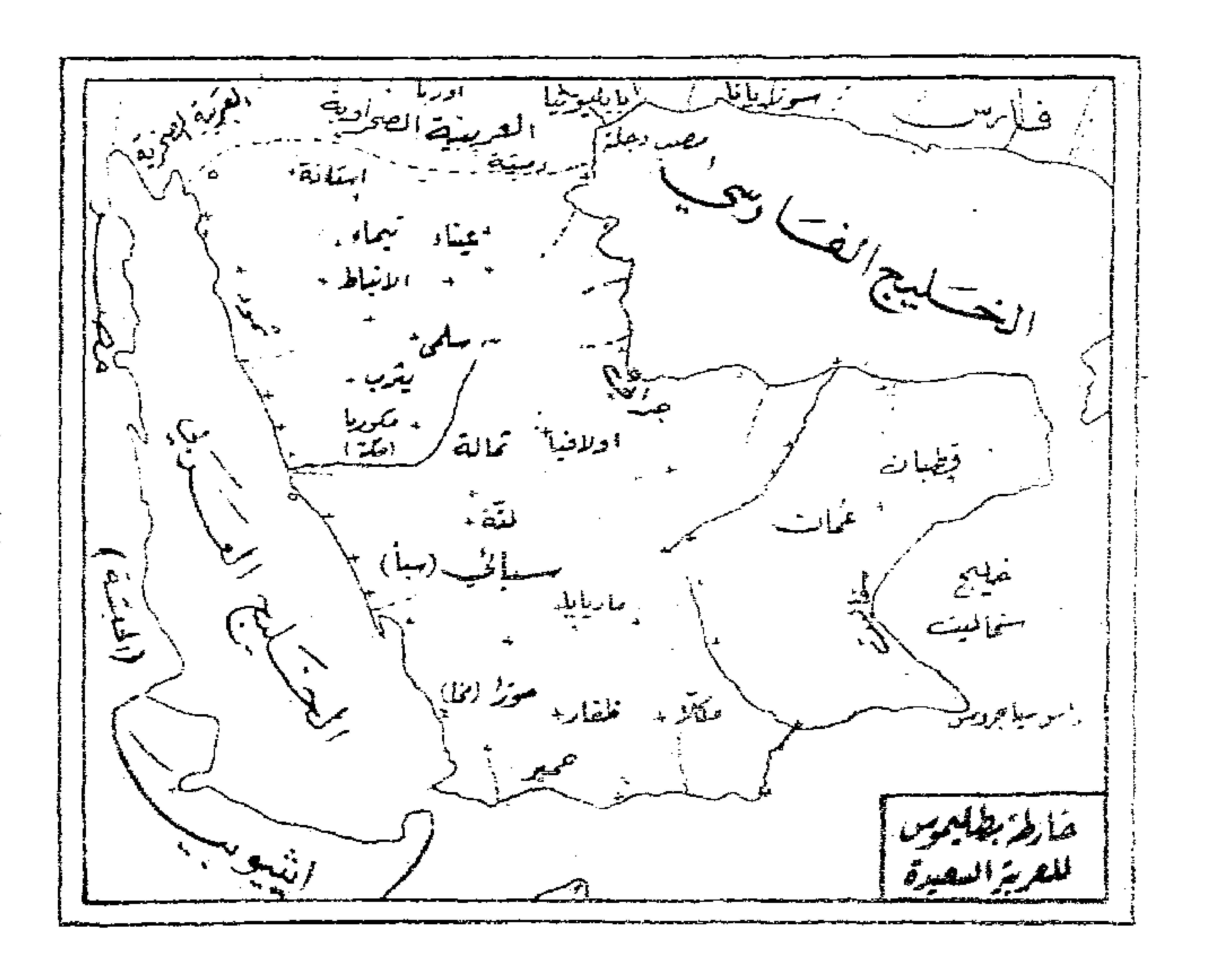
(1) متى 4 :1- 11
(2) النصرانية(168)
(3) شعراء النصرانية 472
(4) النصرانية(254)
(5) تك 2 / 7
(6) أنظر مادة « بَسَطَ » في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

هذا بنظرنا أن هذا الشعرمنحول وقد قيل بعد الاسلام. فسؤالنا على هذا. ما الغاية من نحله ونسبه الى عدي بن زيد ؟ ألأن الشاعر كان على مذهب القائلين بالقضاء والقدر ؟ ان هذا لا ينفي نسبة الشعر إليه فبعض النصارى على زمن عدي وقبله وبعده وحتى يومنا هذا يعتقدون بالقضاء والقدر استنادا الى قول السيد المسيح ، « شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة »[1] « ولكنْ شعرة من رؤوسكم لا تهلك »[2] إلا بإذن أبيكم الذي في السماوات .

---

(1) لوقا 12 / 7

(2) لوقا 21 :18


خارطة بطليموس للعربية السعيدة
فارس
الخليج الفارسي
العربية الصحراوية
مصر
(الحبشة)
اثيوبيا
تيماء
الانباط
سلمى
يثرب
تمالة
لقة
سبا
موزا
عمان
قطبان
حمير

خارطة رقم(6)

الفصل الخامس :

دول نشأت في شبه جزيرة العرب ما قبل الاسلام

1 ـ السبئيون :

إن كلمة سبأ قد وردت في القرآن الكريم في موضعين : أ ـ ﴿فمكث غيرَ بعيد فقال أحطتُ بما لم تُحطْ به ، وجئتُك من سبأ بنبأ يقين﴾[1]. ب ـ ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آيةٌ جنتّان عن يمين وشمالٍ كلوا من رزق ربِّكم واشكروا له بلدةٌ طيّبة وربٌّ غفور﴾[2].

كما وردت في الكتاب المقدس بمواضع كثيرة . وقد عزا نسب « سبأ » الى كوش بن حام بن نوح[3] . وذكر أن بلاد سبأ واقعة في جنوب جزيرة العرب وقد ورد ذكرها مع مصر والحبشة . وقد حكى الكتاب المقدس أن ملكة سبأ قد زارت الملك سليمان بعدما سمعت عن حكمته وسماها ملكة التيمن أي ملكة الجنوب . والتقاليد العربية تسميها بلقيس وتولدها ابناً من سليمان كما يرجع التقليد الحبشي سلسلة ملوك الحبشة الى سليمان عن طريق هذه الملكة[4] .

لقد كان سكان سبأ أهل حضارة وما بقاياهم[5] إلا دليلنا القاطع على

---

(1) س النمل27 :22

(2) س سبا34 / 15

(3) تك10 :7

(4) قاموس الكتاب المقدس ص452 وما بعدها

(5) آثار سد مارب وآثار الهياكل

ذلك اشتغلوا بتجارة الذهب والعطور وحاصلات الهند والحبشة وانتشروا في الأراضي المحيطة بهم فوصلوا شمال غربي بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد ووصلوا الى شمال الصحراء الى بلاد الشام(1) في أيام الأشوريين .

لقد عبد السبئيون الشمس وأقاموا بعاصمتهم مأرب سداً عظيماً ذا شهرة واسعة وبنوا بعاصمتهم هيكلاً للأله « المقه » أي القمر . وقد اكتشف هذا الهيكل حديثاً ووجدت فيه أعمدة ضخمة وأسوار منيعة وتماثيل رائعة وأشياء تدل على بدائع الفن(2) ، مما يشهد على عِظَمِ حضارة هذا الشعب .

(ح) « وسبأ عند الاخباريين هو « سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان » ومن أولاده قبائل كثيرة انتشرت في كل مكان من جزيرة العرب قبل الاسلام وبعده ، وقد قالوا : إن اسمه الحقيقي عبد شمس وأما سبأ فلقب له ، لأنه أول من سبا ، وأدخل السبايا اليمن . وقد روى الأخباريون شعراً على لسان علقمة بن ذي جدن في هذا المعنى :

ومنا الذي لم يسبِ قبل سبائه   سباء ، ومن دان الملوك مرارا(3)

ومما جاء في « اللسان » عن سبأ : أنها حيٌّ من اليمن واسم لقبيلة . وضرب المثل بتفرقهم بعد سيل العرم فقيل : ذهبوا أيدي سبأ وقد قال ذو الرمة :

فيا لكِ من دارٍ تحمَّل أهلُها   أيادي سبا بعدي ، وطال اجتنابُها(4)

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص453 وملوك أول10 :1

(2) نفس المصدر

(3) تاج العروس10 / 169

(4) اللسان14 / 37 مادة (س ب ي) صادر

إن سبأ كانت مملكة في جنوبي الجزيرة العربية وقد حكمها ملوك تلقبوا بـ(مكرب سبأ) و (ملك سبأ) وقد توسَّع حكمهم وامتد ويفسر هذا التوسع لنا النقوش التي دلت على ألقاب ملوكهم : « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن وأعرابها في المرتفعات وفي التهائم » .

كما تدلنا الكتابات التي عثر عليها المنقبون أن ملوك سبأ كانوا على علاقة ما بملك أشور وخاصة « سرجون الثاني » الذي تسلم هدايا من عدد من الملوك ، من جملتهم الملك « يثع أمر » السبئي والملكة « شمس » ملكة (عريبي) ربما كانت علاقات صداقة وحسن جوار وربما كانت علاقات رهبة وخوف . ومثال ثان على علاقة السبئيين بملوك أشور وخاصة سنحاريب ، تسلم هذا الأخير أحجاراً كريمة وعطوراً من « كرب إيلو »[1] .

إن أهم الوثائق التي تتعلق بأخبار سبأ والتي تُعد من أهم ما وصلنا عن أخبار الحكام الجاهليين ، هي الكتابة التي عُثر عليها في مدينة « صرواح » وتتعلق بأعمال المكرب (كرب ايل وتر) ، بدأها بذكر الآلهة والثناء عليها وذكر تقديم الذبائح لها واكساء الأصنام ثم ذكر الأعمال العمرانية والحربية[2] .

من أشهر مدن السبئيين بعد مأرب مدينة « صرواح » التي أصبحت عاصمتهم ومقر سكن ملوكهم . . . فيها معبد الإله « المقه » القمر إله سبأ .

وقال « أبو الدمينة » سعد بن خولان منشداً لبعض أهل خولان :

وعلى الذي قهر البلاد بعزّة ... سعد بن خولان أخي صرواح

---

(1) جواد علي : 2 / 280 عن Ency. Brita . Vol: 19.

(2) نفس المصدر 2 / 287 عن النص .

وقال عمرو بن زيد الغالبي :

أبونا الذي أهدى السروح بمأرب فآبت الى صرواح يوماً نوافلُهْ
لسعد بن خولان رسا الملك واستوى ثمانين حولاً ثم رجّت زلازله

وقال آخر فيهم :

تشتوا على صرواح خمسين حِجَّة ومأرب صافوا ريفها ، وتربعوا[1]

٢ ـ مملكة حضر موت :

لقد ظهرت هذه المملكة ، قبل الميلاد ، في العربية الجنوبية معاصرة مملكتي معين وقتبان ، وما زال اسمها حياً يطلق على مساحة واسعة من الأرض و « حَضرْ مَوت » اسم عبري معناه « قرية الموت » وحضر موت ولد لـ« يقطان » « بن عابر » بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح[2] وقد سكن أبناء يقطان مقاطعة في الجزيرة العربية يكثر فيها اللبان والمرّ لكن هواءها ليس صحياً ، لذلك سميت بهذا الاسم[3] .

وقد عرف الرومان واليونان بها فوردت عند مؤرخيهم بـ(Hadramyta)[4] و (Chathramétae)[5] وقال مؤلف كتاب « الطواف حول البحرالاريتيري» إن في حضر موت مناطق موبوءة يتجنبها الناس[6] .

---

(1) البلدان 3 / 403
(2) تك 10: 26
(3) قاموس الكتاب المقدس : 310
(4) ج . علي 2 / 129 عن (تيوفراستوس)
(5) نفس المصدر عن بطليموس .
(6) نفس المصدر عن Beiträge S. 87

وقد قال ياقوت عنها أنها ناحية واسعة في شرقي عَدَن بقرب البحر ، وبها قبر « هود » وفيها يقول عمرو بن معدي يكرب :

والأشعثُ الكنـديُ ،حـينَ إذْ سَمالنا   من حضر موتَ ، مُجَنَّب الذِكْران
قاد الجياد ، علَى وجاهـا أشرِيا   قُبٌ البطـونِ نواحِـل الأبدانِ[1]

وعند ظهور النبـي (ﷺ) دخـل أهـل حضر موت في طاعتـه ولـكن بعضهم ارتد عن الاسلام بعد موت النبي بقيادة حارثة بن سراُقة بن معـدي مكرب الذي قال :

أطعنـا رسـول اللهِ ما دام بيننا   فيا قومُ ما شأنـي وشـأنُ أبـي بكر ؟
أيورِثُهـا بكرا ، إذا مات ، بعده   فتلك ،لعمرُ اللهِ ، قاصمـةُ الظهر[2]

عاصمة حضر موت مدينة « شبوة » وربما أتت هذه التسمية من « شبا » وهو أحد أبناء يقطان[3] . وقد ذكرها الشاعر بشر بن أبي خازم بقوله :

ألا ظعَـن الخليطُ غداة ريعوا   بشبـوة ،والمطِـيُ لنـا خضوع[4]

لقد كان أهـل حضر موت تجـاراً ماهـرين ، وكان لمينائهـم البحـري (Cana) (قنا) شهرة واسعة ، فيه يُجمع اللبان والبخور وترسو فيه السفـن الآتية من مصر والهند ومنه تنطلق القوافل البرية المتجهة الى الغرب والشمال وقد سماه بعضهم اليوم بحصن غراب .

---

(1) البلدان 22 / 270 صادر
(2) البلدان 2 / 271
(3) تك 10 / 26
(4) البلدان 3 / 323

لقد عُثر على كتابات تدل على اسماء ملوك حكموا حضر موت منهم (صدق آل) و (معد يكرب) و (أب يزع) ، كما ذكرت بعض هذه الكتابات اسم إحدى مدنهم وهي « حصن أنود » وأن الملك (العزيلط) المقيم في هذه المدينة قد استقبل ضيوفاً وفدوا عليه من (هند) و(تدمر) ، وآراميين جاءوا من (كشد) فاستقبلهم ومعه عشر نساء قرشيات في الحصن[1] .

والمتبصر بهذه الكتابة يستخلص دروساً وعبراً كثيرة ، ويرى مدى أهمية هذا النص من حيث اتصال شعب حضر موت بسكان الهند وتدمر والآراميين .وهل يعقل أن تكون هناك علاقات بشرية بين شعب وشعب هدفها التجارة للتجارة فقط ؟ أم لا بُدَّ أن تترك هذه العلائق بصمات انسانية في طرق العيش والعادات والتقاليد وطقوس العبادات وغيرها ؟

لا شك أن عرب الجاهلية بجملهم كانت لهم مثل هذه العلاقات فأثروا وتأثروا وإن كان الجواب عن أسئلتنا بلا فلماذا يحتضن قصر هذا الملك عشر نساء قرشيات ؟ وما هو عمل أولات النساء ؟

لقد نشأت مملكة حضر موت في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وانتهت بنهاية القرن الأول للميلاد[2] .

3 ـ دولة قتبان :

لقد ظهرت هذه الدولة في القرن الرابع قبل الميلاد (400-350 ق . م) ولم تعمِّر طويلاً وقد عاصرت مملكة معين وكان موطنها في نواحي عدن[3] .

---

(1) ج . علي2 / 145 عن.Le Muséon 1964
(2) حتي : 89
(3) البلدان : 4 / 310 صادر

كما يقول ياقوت الحموي ، وفي القسم الغربي من العربية الجنوبية ، وغرب وجنوب مملكة سبأ[1] ، وشرقي عدن على حسب رأي فيليب حتي[2] ، الذي حدّد مدة وجودها بخمسين عاماً وذكر عاصمتها تمنع (كحلان اليوم) التي قال عنها ياقوت أنها من أشهر مخاليف اليمن وفيها « بينون ورُعين » وهما قصران عجيبان . وقد ذكر امرؤ القيس قصر رُعين في شعره إذ قال :

ودار بنـــي سَوَاسَـــةَ في رُعين   تخُـــرُّ على جوانبـــه الشمالُ[3]

وإلى جانب تمنع العاصمة التي طبقت شهرتها الآفاق ووصلت أخبارها الى اليونان والرومان ، هناك مدينتا « شور » و « حريب »[4] .

لقد عثر المنقبون على رسوم وتماثيل في مدينة تمنع تشبه إلى حد بعيد تماثيل الآلهة اليونانية[5] . وهذا دليلنا على أن العرب كان لهم صلات وعلاقات بالشعوب القديمة « اليونان والرومان » وغيرهم ، مما يشير على تأثرهم بعبادات تلك الشعوب وتأثيرهم فيها .

لقد تلقب حكام قتبان ، كحكام سبأ ، بلقب « مكرب » وتترجم هذه الكلمة إلى « مقرب » في عربيتنا الحاضرة ، وتعبِّر عن التقرّب الى الآلهة والهياكل . وما المكرب سوى الكاهن الحاكم باسم الآلهة[6] . وقد عبد

---

(1) ج . علي2 / 171 عن Ency: 2-810

(2) تاريخ العرب89

(3) البلدان : 4 / 439 صادر

(4) ج . علي : 2 / 223 عن Ency : 2-811

(5) قارن ذلك بين لوحات8 أ و8 ب و8 ج و8 د في كتاب العرب في العصور القديمة للطفي عبد الوهاب يحيى .

(6) ج . علي2 / 172 عن Handbuck

القتبانيون الإله « عم » الذي عبده أيضاً المعينيون والسبئيون الذين انتسبوا إليه فسموا أنفسهم بـ« ولد عم » كما عبدوا آلهة أخرى عُرفت اسماؤها من النقوش المتبقية من آثارهم وهي : « أبنسي » و « ذات صنتم » و « ذات ظهران »[1] .

لقد كان للقتبانيين شأن كبير في تنظيم تجارة الأفاوية التي أوصلوها الى شمالي الجزيرة وإلى الحبشة .

4 - الدولة المعنية :

تُعد هذه الدولة من أقدم الدول في العربية الجنوبية التي بلغنا خبرها (1300 -630 ق . م) على رأي بعض العلماء وما جاء في كتابات المسند والكتب الكلاسيكية[2] . نشأت وازدهرت في جوف اليمن ، وغطت سلطتها في أوج عزّها معظم أرض الجزيرة الجنوبية . وقد حدّد موقعها « سترابون »[3] فهي بنظره تقع شمالي بلاد سبأ وأرض (قتبان) وغربي حضرموت وذكر عاصمتها «Karna» التي سماها فيليب حتي « قرناو » حيث يقول : « أما قرناو العاصمة المعينية التي زارها هاليفي سنة 1870 م فهي معين في جنوبي الجوف الى الشمال الشرقي من صنعاء »[4] . وقد حصل هاليفي هذا على عدد كبير من الكتابات أثناء سياحته في الجوف[5] كما صوّر بعض هذه الكتابات « محمد توفيق » مندوب جامعة فؤاد الأول المصرية ، ومواطنه أحمد فخري من

---

(1) نفس المصدر عن Handbuck S: 660.

(2) ج . علي2 / 73 عن Background.

(3) نفس المصدر عن Strabo 16: 768

(4) تاريخ العرب ص88

(5) ج . علي2 / 75

بعده . وربما دلتنا هذه الكتابات وغيرها في المستقبل عن أهمية معين والدول التي نشأت في الجوف وزالت ، وعلاقتها بالعالم الخارجي الى جانب علاقة مأرب عاصمة سبأ التي بلغ صيتها اليونان والرومان كما ذكرنا عند كلامنا عن دولة سبأ . وقد ذكرت معين في الكتاب المقدس تحت اسم « معون » ومعين ومعونيون [1] وقال الأزهري معين مدينة باليمن تذكر في براقش ، يقول عمرو بن معدي كرب :

ينـادي من براقش أو معين ، فأسمَـعَ واتـلأبَّ بنـا مَليعُ [2]

وبراقش ومعين حصنان باليمن بناهما أحد التبابعة كما يروي ياقوت وقد قال فروة بن مُسَيْك المُرادي :

أحُـلُ بحاجـر جدّي غُطيفاً ، معـين الملك من بـين البنينا
وملّكنـا براقش دون أعلى وأنعـمَ إخوتـي وبنـي أبينا

وفيهما يقول علقمة :

وهل أسوى براقشُ ،حين أسوى ، ببلقعـةٍ ومُنبَسِـط أنيقِ
وحلّـواْ من معـينٍ يومَ حلّـوا لعزّهـم لدى الفـجِّ العميقِ [3]

وربما تحدَّر اسم معين الى بلدة معان الحديثة الواقعة جنوبي شرقي البتراء ومعان هذه مدينة في طرف بادية الشام لجهة الحجاز وصلتها الجيوش الاسلامية على عهد الرسول (ﷺ) وفيها زيد بن حارثة وجعفر ابن أبي طالب

---

(1) قضاة 10 :12 وقاموس الكتاب المقدس 909
(2) البلدان 5 / 160 صادر
(3) البلدان 1 / 364 صادر

وعبد الله بن رواحة الذي نهى زميليه في الكتابة الى الرسول ، عندما رأوا تجمّع جيوش الروم والعرب المشركين وقد روا عددها بمائتي ألف مقاتل ، وقال : إنما هي الشهادة أو الطعن ، ثم قال :

جلَبْنا الخيلَ من أجإٍ وفرعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العكومُ
أقامت ليلتينِ من مُعَانٍ ... فأعقبَ بعد فترتها جُمومُ
فلا وأبي مآب لآتيَنْها ... وإن كانت بها عربٌ ورومُ[1]

إن الرقم المعينية تحتوي على نقوش قتبانية ملكية ، وبعض نصوص حميرية كما تمثل الرسوم المحفورة في هيكل « الحظم »[2] حاضرة الجوف ، الكثير من عادات وتقاليد وطرق عبادة شعب معين . فهناك تقدمات خمر ، وحيوانات كالغزلان وغيرها للقرابين ، وأفاعي هي رموز إلهية ، ونساء راقصات كُنّ خادمات الهيكل وصور حدائق مقدسة تحيط بالهيكل تسرح فيها طيور النعام .

إن مثل هذه الرسوم لعلى جانب كبير من الأهمية فهي وأمثالها مما سيعثر عليه الباحثون في المستقبل تعطينا صورة حية عن ديانة عرب معين في زمن الجاهلية . . .

لقد كان للمعينين علاقات بالعالم الخارجي ربما كانت تجارية وخير دليل على قولنا هذا الكتابات التي عُثر عليها في الجوف وفي مدينة ديدان وفي الجيزة « مصر » وجزيرة (ديلوس) من جزر اليونان ، وفيها أسماء ملوك مَعين منهم

---

(1) البلدان 5 / 153

(2) حتي : 89

« أليفع وقه » و« يتع ايل صديق » و « اليفع يشـع » ومعد يكرب [1] .

وهناك نص كتابة آخر عُثر عليه في « السـوداء » والسـوداء هي مدينـة « نشن » في الكتابات المعينية [2] ، يذكر الملك « أليفع وقه » ويقول النص : **إن الملك « اليفع وقه » ملك معين ، وشعب معين ، قدما بأيديهم الى معبد الإله (عم) نذوراً وهدايا وقرابين ، تقرباً اليه ، وقد تسلَّـم الـ(رشو) ، أي الكاهن تلك الهدايا** وهذا ما يوحي الينا أن المعينين كباقي الشعب الجاهلي قد تعبدوا للأصنام فبنوا لها الهياكل تخدمها الكهنة ونذروا لها وحملوا الهـدايا والقرابين تيمّناً وتعبداً .

إن معين الدولة العربية الجنوبية قد ورد ذكرها في القرآن ا لكريم في اربعة مواضع [3] .

5 ـ دولة حمير :

إن حمير من القبائل العربية المعروفة في العربية الجنوبية عند الميلاد وقد وصل خبرها إلى اليونان والرومان فسموها «Homeritai» , «Omyritai» [4] وقد ذكرهم « بليني » وذكر عاصمتهم «Sapphar» « ظفار » [5] وقـد جاء في « اللسان » أن حمير هو أبو قبيلة من اليمن ، وهو « حمير بن سبأ بن يشجب بن

---

(1) ج . علي2 / 86 عن Background P. 141
(2) ج . علي2 / 83 عن تاريخ اليمن القديم لزيد علي عنان ص97
(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : 671
(4) جواد علي2 / 510 عن Pliny 6: 28
(5) نفس المصدر 6: 104

يعرُب بن قحطان »[1] واسم حمير العرنجج [2] .

إن أهل الأخبار يطلقون لفظة (تبَّـع) على الملوك الذين حكموا اليمن سمُّوا بذلك لأنه يتبع بعضُهم بعضا . وقد ذكرهم الشاعر أبو ذؤيب :

وعليهما ماذيّتـــان قضاهُما داودُ ، أو صنـــعُ السّوابـــغِ تبّـعُ [3]

وقد أشار القرآن الكريم الى التبابعة في آيتين فقط :

1 ـ ﴿أهم خير أم قوم تبّـع والذين من قبلهم﴾ [4]

2 ـ ﴿ وأصحاب الأيكة وقوم تبَّـع كل كذب الرسل فحقّ وعيد﴾ [5]

وقد قال ياقوت الحموي عن ظفار عاصمة التبابعة : إنها مدينـة قرب صنعاء ، مسكن ملوك حمير وقد قيل ان اللبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبالها [6] وأورد الأخباريون كثيراً من قصص التبابعة وديانتهم وقالوا : إن أحد ملوكهم « التبع أسعد أبو كرب بن ملكيكرب » ، آمن بالرسول قبل مبعثه فقال :

شهـــدت على احمـــد أنه رســـول من الله باري النسم

فلـــو مدَّ عمـــري الى عمره لكنـــت وزيرا له وابـــن عم

وجاهـــدت بالسيف أعداءه وفرّجـــتُ عن صورة كل هم [7]

---

(1) اللسان 4 / 215 دار صادر مادة « حمر » .

(2) اللسان 2 / 323 دار صادر مادة « عرج » وجمهرة انساب العرب ص329 تحقيق عبد السلام هارون .

(3) اللسان 8 / 31 دار صادر مادة (ت ب ع) .

(4) الدخان 44 / 37

(5) ق . 5 / 14

(6) البلدان 4 / 60 صادر

(7) أخبار مكة للأزرقي ص(84)

لقد حكم الحميريون في جنوبي غربي العربية الجنوبية وسواحلها . كما سيطروا على ظفار وجعلوها عاصمتهم في زمن مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الاريتيري) .

لقد أبان لنا « فوز ويزمن » أن حكم الحميريين قد بدأ بملكهم « ياسر يهصدق » عام75 ب . م وانتهى بملكهم « شرحب آل يعفر » [1] ويقول (فوزويزمن) أيضا أن ملكهم (ذمر علي يهبر) وابنه « ثارن يهنعم » قد بشرهما (تيوفيلوس) ودخلا في النصرانية وذلك في منتصف القرن الرابع ب . م [2] .

6 ـ مملكة لحيان :

لم تكن لحيان كنظيراتها من ممالك الجنوب في العظمة والاتساع بل انها كانت مملكة صغيرة تقع أرضها جنوب أرض حكومة النبط ومن أشهر مدنها (ددان) و (الحجر) . وددان هذه هي خرائب (العلا) في الزمن الحاضر [3] . وقد وردت في الكتاب المقدس أنها اسم لشعب كوشي سكن في جنوبي الجزيرة العربية ، وهم من نسل إبراهيم من زوجته قطورة [4] . وشعب هذه المدينة ، كان له مكانة مرموقة في تجارة العاج والأبنوس والطنافس في العالم القديم [5] .

---

(1) جواد علي2 / 529 عن Le Muséon 1964. 3-4

(2) نفس المصدر .

(3) ج . علي2 / 244 عن Die Araber 1,S,94.

(4) تك10 :7 وتك25 :3

(5) حزقيال : 27 :15 ,20 ,38 :13

إن شعب لحيان كان يقيم على الساحل على مقربة من (دَدَن) . وكان لهذا الشعب صلات وثيقة بمصر وقد تأثر بالثقافة اليونانية (1) . وددن هذه قال عنها ياقوت أنها موضع في قول ابن مقبل :

يثنيـن اعنــاق أدم يختلــين بها حبَ الأراك وحبَّ الضَـال من ددن (2)

ويرى (كاسكل) أن هذه المملكة قد استقلت عند ضعف المعينيين ، وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد (3) .

لقد كان لشعب لحيان علاقات تجارية هامة مع المصريين والأحباش ومع اليونان « البطالمة » . ولما لا ! ومدينتهم « ددان » العُلا حديثا ، تقع في طريق القوافل الآتية من جنوبي ووسط الجزيرة ، ومن اليمـن والهنـد إلى سواحـل المتوسط (4) . كما كان لهم علاقات سياسية بالرومان ليحموهم من (النبـط) جيرانهم (5) . مما يوحي بالتأثير المتسبب من علاقة اللحيانيين بالمصريين والهنود واليونان والرومان في شتى مجـالات الحياة . لقـد عبـد اللحيانيون الأصنـام وقدموا لها النذور والقرابين البشرية وتعبدوا للإله « ذو غابة » وها هو ملكهم (شامت جشن بن لذن) يقدم أحد الأشخاص ذبيحة للصنم المعبود (6) .

ولقد أشـار مؤلف كتـاب «Lihiyaniseh» إلى بعض اسماء ملوكهـم

---

(1) ج . علي : 2 / 244 عن Die Araber I,S- 102.

(2) البلدان : 2 / 446

(3) ج . علي2 / 245 عن Die Araber: 1,S. 94

(4) قاموس الكتاب المقدس : 370

(5) ج . علي2 / 246 عن Die Araber 104

(6) نفس المصدر عن Lihyanisch. S, 88- 89

« هانوس بن شهر » و (ذ شفعن تخمي بن لذن) و (شامت جشن بن لذن) .

إن النبط قضوا على اللحيانيين في القرن الأول ق . م فاستولوا على « الحجر » ثم وصلوا منها إلى تيماء(1) . وبنو لحيان هم : « بني لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر » عدنانيون كانوا ينزلون في شمالي شرقي مكة(2) . وبقوا حتى ظهور الاسلام قبائل غير قوية وقد غزاهم الرسول (ﷺ) (غزوة بني لحيان) وهجاهم حسان فرماهم بالغدر ، حيث يقول ذاكراً موضعهم الرجيع :

إنْ سرَّك الغدرُ صِرْفاً لا مِزاجَ له   فأتِ الرجيعَ وسَلْ عن دارِ لحيانِ

قومٌ تواصَوْا بأكل الجارِ كلُّهمُ   فخيرهُم رَجُلاً والتيسُ مِثلانِ(3)

والحجر التي ذكرنا قال عنها ياقوت انها قرية صغيرة قليلة السكّان ، وهي من وادي القرى على يوم بين الجبال بها عيون وآبار وفيها قبر هاجر أم اسماعيل . وهي التي عناها جميل بقوله :

أقولُ لداعي الحبِّ ، والحِجرُ بيننا   ووادي القِرَى ، لبّيك ! لما دَعانيا(4)

وقد ذكرها القرآن الكريم في ثلاثة مواضع(5) منها قوله تعالى : ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ .

---

(1) نفس المصدر 2 / 249 عن Lyhianisch. 5. p. 40-42

(2) تاج العروس 10 / 324 مادة (ل ح ي)

(3) الديوان ص 253 دار احياء التراث العربي .

(4) البلدان 2 / 221 . صادر

(5) أنعام 138 والحجر 80 والفجر (5)

7 ـ مملكة ديدان :

كانت ديدان مستوطنة معينية في الأصل ثم استقلت عند ضعفهم . وقد لفت الأنظار الى هذه المملكة السائح (جارلوس مونتاكو دوتي)(1) وديدان هذه هي ددن(2) ، والعُلا حالياً وتقع خرائبها في وادي العلا . كانت « الخريبة » مركزاً لهذه الدولة التي لم تعمر أكثر من نصف قرن (160 -115 ق . م)(3) . وقد عُثر على كتابة تدل على اسم أحد ملوكها وهي (كهف كبرال بن متعال ملك ددن) ومعناها : « قبر كبرايل بن متع ايل ملك ديدان »(4) .

8 ـ مملكة النبط :

نشأت هذه الدولة ، قبل الميلاد ، في شمالي غربي جزيرة العرب وفي شرقي الأردن . وكان لموقعها الجغرافي المهم أثر كبير في نموها وتطورها وازدهارها ، حيث استغل الأنباط هذا الموقع كممر تجاري تعبره قوافل التجار من العربية الجنوبية الى بلاد الشام . وقد اتصل الانباط بالبحر المتوسط لستهيل أعمالهم التجارية فكان ميناء غزة ميناءهم المفضّل(5) . وقد برع الأنباط بأعمالهم التجارية وكانت لهم علاقات طيبة بالعالم المحيط بهم ، ومما يثبت وجود مثل هذه العلاقات العثور على كتابات نبطية ليس في « بطرا » البتراء عاصمتهم ، وهذا شيء مألوف ، بل في « العلا » و « تيماء » و « خيبر » و « صيدا » و « دمشق » و « حوران » و « طور سينا » و « الجوف » و « مصر » وفي ايطاليا أيضاً(6) .

---

(1) ج . علي 2 / 241

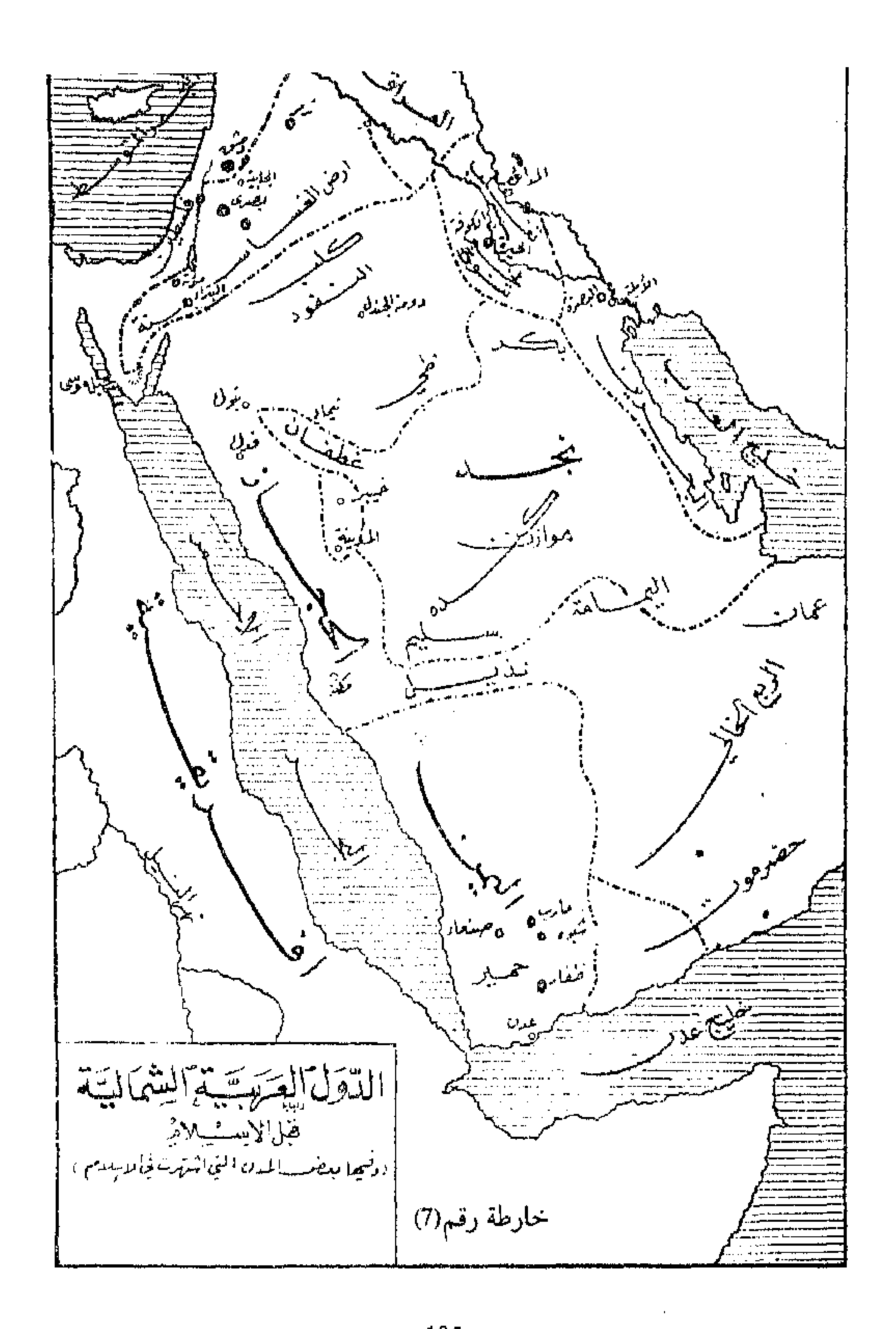
(2) البلدان 2 / 446 صادر

(3) جواد علي 2 / 243 عن Lyhianiseh S 37.

(4) نفس المصدر S. 78

(5) جواد علي 3 / 6

(6) ج . علي 3 / 7 عن Musil Deserta p. 471



الدول العربية الشمالية
قبل الإسلام
(وفيها بعض المدن التي اشتهرت في الإسلام)
العراق
أرض الغساسنة
بصرى
كلب
النفود
دومة الجندل
بكر
تبوك
تيماء
فدك
غطفان
خيبر
المدينة
نجد
هوازن
اليمامة
سليم
هذيل
مكة
عمان
الربع الخالي
حضرموت
مأرب
صنعاء
شبوة
ظفار
حمير
عدن
خليج عدن

خارطة رقم(7)

إن الرأي السائد عند أكثر العلماء هو أن النبط عرب بدليل أسمائهم ، ولغتهم لغة « بني إرم » وقد كتبوا بالقلم الإرمي الذي أطلق عليه المستشرقون اسم « القلم النبطي » [1] .

لقد كان الأنباط يتفاهمون باللغة العربية ويكتبون باللغة الإرمية التي أخذوها عن جيرانهم في الشمال [2] . ويقول الدكتور فيليب حتي : إن الخط النبطي الذي نقل عن الإرمي قد أصبح في القرن الثالث للميلاد الخط المألوف في لغة عرب الشمال أي لغة القرآن الكريم ولغة العصر الحاضر [3] .

لقد كانت مملكة الأنباط مملكة ذات قوة في القرن الثاني قبل الميلاد ، وقفت في وجه حملة « انتفونس » خليفة ذي القرنين في سورية [4] وقد بلغت هذه المملكة « بلاد العرب الصخرية » كما يسميها فيليب حتي ، أوج عزها في أيام ملكها الحارث الرابع (9 ق . م إلى 40 ب . م) وامتدت هذه المملكة شمالاً إلى دمشق في عصر السيد المسيح وإلى سهل البقاع في لبنان أيضاً ، وإن حاكم دمشق الذي أراد القبض على بولس الرسول هو عامل لحارثة الرابع [5] .

أما كلمة « نبط » فقد اختلف العلماء في تعليلها . فمنهم من ردَّها إلى « نبيط » أو « نبايوت » وهو الابن البكر لاسماعيل بن إبراهيم الخليل من زوجته هاجر [6] أو لكثرة النبط عندهم وهو الماء [7] . ويقول الدكتور جواد علي

---

(1) نفس المصدر عن الطبري 1 / 220 ، ليدن .

(2) فيليب حتي 105

(3) نفس مصدر : 105

(4) نفس مصدر 104 عن Diodoross

(5) 2 كورنثوس 11 :32

(6) تك 28:9، 36:3، 25: 13 -16 . أخبار أيام أول 1 :29

(7) اللسان مادة (ن ب ط) . 7 / 410 صادر

في أصل الأنباط : « **وعندي أن النبط عرب ،بل هم أقرب الناس إلى قريش من العرب الجنوبيين . فهم يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ويشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام** . ذي الشرى واللات والعزى **وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي**[1] .

لقد كان للأنباط علائق حسن جوار مع جيرانهم العبرانيين[2] ، وعلائق سياسية ظهرت بحبهم للتوسع والسيطرة فضموا إلى مملكتهم دمشق والبقاع وحوران وجنوبي وشرقي فلسطين وأدوم ومدين إلى « ددن » وسواحل البحر الأحمر ، وقد ثبت وجودهم أيضاً في شرقي دلتا النيل[3] .

إن النبط كانوا في بادىء أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافل تجارية يستخرجون الاسفلت من شواطىء البحر الميت الشرقية ويحملونه الى مصر لاستعماله في (المومياء) ، وهذا العمل قد درّ عليهم ربحاً مادياً وفيراً[4] .

إن التاريخ يذكر لنا علاقة النبط بجيرانهم العبرانيين . وقد كانت هذه العلاقة بين مد وجزر فتارة هي حسنة وطوراً في حرب طاحنة . ومن أمثلة العلاقة الطيبة بين الشعبين زواج الملك العبراني « انتيباتر » من امرأة عربية من أسرة كبيرة وهذا ما يوطّد العلاقة الحميمة بين الملك المذكور وبين ملك النبط مالك[5] . أما العلاقة السيئة فقد سادت بينهما زمن هيرودس انتيباس

---

(1) المفصل 3 / 14
(2) مكابيون أول 5: 25, 9: 35
(3) ج . علي : 3 / 15 عن Ency: 3: 801.
(4) نفس مصدر: عن Die Araber 1: 34.
(5) جواد علي عن يوسيفوس 146

ملك اليهود الذي ترك زوجته العربية ابنة ملك النبط (الحارث) وتزوج زوجة أخيه « هيروديا » (1) . وربما يكون هذا « الحارث » هو الذي ذكره بولس الرسول (2) والذي كانت دمشق آنذاك تتبع له . وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية نراه يقول : « ولم أصعد من دمشق إلى أورشليم بل انطلقت الى ديار العرب . . »(3) فربما كانت هذه الديار هي ديار مملكة الأنباط أو ربما كانت البادية .

إن البتراء الواقعة اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية والتي لا تزال آثارها تشهد بعظمة تلك الدولة كانت عاصمة النبط وتعني « الصخر » وقد سماها الكتاب المقدس « يقتيئيل » (4) . ومن مدنهم مدينة « الحجر » . وهي مدينة مهمة تقع على شريان التجارة . أشار إليها « سترابو » وهو يذكر حملة « آليوس غالوس » (5) على العربية . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه المدينة بقوله : **﴿ ولقد كذّب أصحابُ الحِجْرِ المرسلين ﴾**(6) وقد انتهت هذه المملكة كدولة مستقلة ذات سيادة وضُمت أرضها الى الكورة العربية كولاية رومانية عام 105 م (7) . ومن مدن الكورة العربية « أذرعات » وهي مشهورة عند العرب في الجاهلية والاسلام وقد وردت في التوراة تحت اسم « أذرعي » نعرفها اليوم باسم درعا (8) .

---

(1) جواد علي 3 / 39 عن يوسيفوس 283 وانجيل مرقس 6 / 17 وما بعدها
(2) 2 كور 11 :32
(3) غلاطية 1 / 17
(4) قاموس الكتاب المقدس ص 1080
(5) ج . علي : عن 291 Musil
(6) الحجر 15 / 79
(7) جواد علي 3 / 57
(8) البلدان 1 / 130 وقاموس الكتاب المقدس 42

ما دمنا في ذكر « اذرعات » فقد ورد اسمها في الكتاب المقدس تحت باشان أكثر من ستين مرة[1] . وذُكر اسم ملك لها « عوج » جعلها عاصمة له وكان ملكاً على الأموريين قتله بنو اسرائيل[2] . وجاء في اللسان أن أذرِعات بلد يُنسب إليه الخمر . ويقول الشاعر في ذلك :

تنورتُهـا من أذرعـاتٍ ، وأهلُها بيثـربَ أدنـى دارهـا نظـرٌ عالي[3]

وقيل أيضاً : أذرعات موضعان ينسب اليهما الخمر ، وقيل موضع بالشام . قال أبو ذؤيب

فما إن رحيقٌ سَبَتْها التجا رُ مِن أذرعـاتٍ ، فـوادي جَدَرْ[4]

ومن المدن أيضاً مدينة « بصرى » وهي عاصمة الكورة العربية ، على أيام الامبراطور الروماني « ديوفليتيان » 286-337 م ، ومركز هام من مراكز النصرانية وكانت على طريق القوافل من مكة إلى أرض الشام وبها كان يقيم الراهب « بحيري » عندما خرج « أبو طالب » عم الرسول بتجارته الى الشام ومعه الفتى محمد[5] .

ومدينة جرش الاثرية والتي لا تزال الأعمدة الرومانية قائمة فيها إلى يومنا هذا وتقع اليوم في المملكة الأردنية ولا تبعد كثيراً عن عمّان العاصمة . ومن يتفحص آثار هذه المدينة يجد أيضاً بقايا البيزنطيين موسومة في أرض

---

(1) قاموس الكتاب المقدس159
(2) نفس المصدر646
(3) اللسان8 :97 « صادر » .
(4) نفس المصدر .
(5) السيرة لابن هشام1 / 180-81 دار الكنوز الأدبية

كنيسة تزيّنها أحجار الفسيفساء . وقد نسب ياقوت هذه المدينة الى جرش بن عبد الله بن عُلَيم بن جَناب . . . بن كليب بن وبرة [1] . وقال فيها تليد الضبي الذي اتهم باللصوصية على أيام عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي :

يقولـــون جاهرنَـــا تليد بتوبة ،	وفي النفس منـــي عودة سأعودُها
ألا ليت شعــري ! هل اقــودنَّ عُصبة	قليلٌ لـــربِّ العـــالمين سجودُها
وهـل أطردنَّ الدهـر ،ماعشتُ،هجمة	معرَّضـــة الأفخـــاذ سُجحـا خدودُها
قضـــاعيّـة حُمَّ الـــذُّرى ،فتربعت	حمــى جرش قد طار عنهـا لبودُها [2]

لقد كان في جرش اسقفية معروفة قبل الاسلام ولا تزال آثار الكنائس تشاهد فيها حتى يومنا هذا [3] .

ونستدل من كل ما تقدم أن مملكة النبط قد كان لشعبها علاقات انسانية مع العبرانيين والرومان واليونان وسكان العربية الجنوبية وبلاد مصر . وهذا ما بسبب تأثر النبط بعبادات وأديان تلك الشعوب . وقد رأينا فيما سبق أن النبط قد عبدوا « ذو الشرى » واللات والعزى وان منهم النصارى وربما يكون آخرون قد تهودوا .

9 ـ دولة تدمر

تدمر مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام قيل سُميت بـ« تدمر بنت حسّان ابن أذينة بن السميدع . . . ابن سام بن نوح » [4] وزعم قوم أنها مما بَنَتْه

---

(1) البلدان 2 / 127 « صادر »
(2) نفص مصر
(3) جواد علي 3 / 67 عن Ency: 10: 7
(4) البلدان 2 / 17

الجنُّ لسليمان بن داود ، ويقول النابغة الذبياني في ذلك :

إلا سليمان ، إذ قال الالــــه له : قمْ في البــرية فاحددْهــا عن الفندِ
وخيِّـسِ الجــنَّ ، إنـي قد أذنـت لهم يَبْنـون تدمُـر بالصفّـاحِ والعمدِ (1)

وقد ورد ذكرها في التوراة التي نسبت بناءها الى سليمان (2) . كانت تدمر مستقلة جزئياً من سنة 251 م إلى 273 م ثم بعد وقت استقلت استقلالاً تاماً ، وقد سمّاها الاسكندر « بالميرا » أي مدينة النخل عندما احتلّ بلادنا (3) .

لقد كانت غالبية أهل تدمر ، رغم كتابتهم بالإرمية ، من العرب على رأي أكثر الباحثين (4) . ويرى هؤلاء الباحثون أن القبائل العربية ، التي هاجرت شمالاً ، وسكنت الأماكن الخصبة ، في شرقي أرض كنعان ، بعد زوال الدولة البابلية ، قد كتَبَت بالإرمية لغة الكتابة آنذاك (5) وثقافة تدمر هي خلاصة عدة ثقافات : عربية وإرمية ويونانية ولاتينية . وقد عُثِر حتى الآن على أقدم كتابة فيها يعود تاريخها للعام 9 ق . م . وقد دلت الكتابة على أسماء أصنام عربية مع أسماء أصنام إرمية (6) .

كانت تدمر ذات أهمية كبيرة بالنسبة لموقعها الجغرافي المميَّز . فهي عقدة مواصلات هذه المنطقة في القرون الأولى للميلاد ، تصل أسواق العراق وما يصلها من الهند وايران والعربية الشرقية ، ببلاد الشام ومصر والعربية الجنوبية

---

(1) البلدان 2 / 17
(2) 2 أخبار 8 :4 و امل 9 / 18 تحت اسم عبري (تامار)
(3) قاموس الكتاب المقدس ص 213
(4) ج . علي : 3 / 80 وعدنان البني . تدمر والتدمريون
(5) ج . علي عن Ency. Britania 17- 161
(6) ج . علي 3 / 81 عن كتاب Syria لـ « نولدكه »

والغربية . فلهذا الموقع الممتاز ولأعمالها التجارية كونت تدمر علاقات حسنة سياسية واقتصادية واجتماعية مع الفرس والرومان والروم[1] ، وسكان تدمر كانوا خليطاً من تجار ومزارعين ، أما سكان الضواحي والأطراف فكانوا أعراباً ورعاة[2] بالاضافة الى جاليات رومانية ويونانية وكذلك اليهود الذين قدموها للتبشير فتهود أناس منها ورحل بعضهم الى القدس قبل خراب الهيكل عام72 م[3] . وإلى جانب مركز تدمر التجاري فقد أصبحت ، وسكانها هذه هويتهم بعد هذا الاختلاط ، مركزاً دينيا مهما عُبدت فيها الأصنام وحجَّ اليها أعراب البادية[4] ولثقلها السياسي في عالم الرومان زارها الامبراطور « هدريانوس » بعد استيلائهم عليها ، واعتنى بها عناية فائقة وقد منحها درجة مستعمرة رومانية .

أول من عرفنا من ملوكها هو « أذينة » من « بني السميدع » من العماليق[5] . الذي حارب الفرس بقيادة ملكهم « سابور » وانتصر عليه ، وكان حليفاً للرومان . وخلفته زوجته الزباء وقد كانت وصيّة على ابنها « وهب اللات » الصغير السن ، التي ذهبت الروايات الى أنَّ هذه الملكة كانت يهوديّة[6] ، وربما عزوا ذلك لحمايتها لأحبار اليهود[7] . ولماذا تحمي الزباء أحبار اليهود ؟ وممن ؟ .

لقد كان اليهود أصحاب قلاقل للدولة الرومانية وقاموا بعدة ثورات ،

---

(1) نقسر مصن عن Die Araber II. S. 61
(2) ج . علي د / 83
(3) ج . علي3 / 84 عن Jewish Ency. 8- 381
(4) ج . علي3 / 84 عن162 Ency Brita. 17 /
(5) تاريخ الطبري1 / 354 « ليدن » ومروج الذهب1 / 206 دار الرجاء .
(6) مجلة المشرق204 / 924
(7) ج . علي : عن468 / 8 . Talmud Jeru. Ter .

أهمها على أيام القائد الروماني « تيطس » الذي ضرب اليهود ضربة قاضية وشتتهم في أنحاء المعمورة وقوّض أركان هيكل أورشليم عام70 م[1] . وبذلك تمّ قول السيد المسيح « **الحق أقول لكم : إنه لا يترك ههنا حجر على حجر إلا يُنقض** »[2] وأيضاً : **يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرّة أردت أن أجمع بينك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا . هوذا بيتكم يُترك لكم خرابا**[3] .

وبقي اضطهاد الرومان لليهود زمناً بعد ذلك فربما حمت الزباء أحبار اليهود لكونها يهودية أو لأنها أرادت أن تستقل بمملكتها تُعتق من تشاء وتستعبد من تشاء وتقدم وتبعد الحماية لمن تشاء .

ولم تكن تدمر محل اقامة لجالية يهودية وحسب بل كان هناك الكثيرون من المسيحيين يقيمون فيها وفي جوارها وقد ترك لنا التاريخ الكنسي أسماء أساقفة تدمريين حضروا مجمعي نيقية وخلقدونية المسكونيين . كالأسقف « مارنينوس » الذي حضر مجمع نيقية عام325 م[4] ويوحنا الذي حضر المجمع الخلقدوني المنعقد عام 451 م[5] ويوحنا الثاني الذي قال بطبيعتين في السيد المسيح عام518 م[6] . ولا ريب أن تدمر قد عبدت الأوثان وإن آثار هيكل الشمس فيها لا تزال الى يومنا هذا . وقد ذكرت الكتابات التي عُثر عليها بين

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص135

(2) متى 24 / 2

(3) متى 23 / 27-28

(4) المشرق 23 / 1063

(5) ج . علي : 3 / 130 عن Oberdiek 117

(6) المشرق 23 / 1063

أنقاضها أسماء « للآلهة « شمش » شمس و« بل » أي بعل و« الت » أي اللات و« استر » أي عشتر .

وقد عُرفت هذه الآلهة جميعها عند العرب وتعبدوا لها وسوف نرى ذلك وطرق التعبد للآلهة في فصل لاحق ."[1]

10 ــ مملكة كندة :

كندة قبيلة عربية كما يعرفها النسابون ، وهي من عرب الجنوب ، عُرفت بكندة الملوك لأن أبناء كندة ملكوا على قبائل عدنانية وأخرى قحطانية [2] . وقد ورد في النص الموسوم بـ(Janne 635) والمدون في أيام الملك « شعر أوثر » ملك سبأ وذي ريدان ما يلي : **وكان يحكم (كدت) أي كندة ، في ذلك الوقت « ربعت » أي ربيعة من « ذثورم » أي من ال ثور وأنه ملك على (كدت) و (قحطن) أي كندة وقحطان [3] .**

كان ملوكهم عمالاً للتبابعة على الحجاز ، ومن ثم نراهم على علاقة طيبة مع الفرس إذ يذكر ابن الأثير : ان الملك قباذ طلب من ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء الدخول في مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع المنذر ، فاغتاظ قباذ منه وعزله مستعملاً بدله ملكا على الحيرة الحارث الكندي بعد أن أجابه الى دعوته [4] . وانتشر بعد ذلك ولده فملكوا على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد [5]

---

(1) عدنان النبيّ : تدمر والتدمريون . دمشق 1977 ص152 وما بعدها .

(2) عبد الرحمن بن خلدون المغربي . تاريخ ابن خلدون أو كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان 1971 ج2 ص257

(3) جواد علي 3 / 316 عن السطر 27 من النص .

(4) ابن الأثير . الكامل في التاريخ . دار الكتاب العربي بيروت 1 / 243 وما بعدها

(5) تاريخ ابن الأثير 1 / 305

وأشهر هؤلاء الأولاد حجر والد الشاعر أمرىء القيس الذي ملك على بني أسد فقتلوه ، فقام ابنه امرؤ القيس يطالب بدمه . وحجر هذا هو الملقب باكل المرار (1) .

إن امرأ القيس الفتى الذي طرده والده من حجره لأنه قرظ الشعر ، يتبلغ خبر مقتل أبيه فيقول قولته الشهيرة : « **ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيراً لا صحو اليوم ،ولا سكر غدا ،اليوم خمر ،وغدا أمر** » فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي ،لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يُشرب (2)

إن كندة الملوك القبيلة العربية المعروفة كان لها علاقة بالتبابعة ، وأيضاً بالفرس وحكموا قبائل عدة فاتصلوا بالحيرة وغسان ومن المرجّح أن يتأثروا بمذهب من ولّوهم ومن والوهم فترى آخر ملوكهم ذا القروح وقد كان على أغلب الظن نصرانياً . . .

11 ـ « مملكة الحيرة »

إن للعلماء آراء كثيرة في مصدر اسمها . فابن منظور يقول : « **والحيرة بلد بجنب الكوفة ينزلها نصارى العبّاد** » (3) . وياقوت الحموي يقول : « والحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة . . وبها الخورنق والسدير . وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ، ثم من لخم ، النعمان وآبائه . ويقال لها الحيرة الروحاء . . . ويقول فيها عاصم بن عمرو » :

---

(1) الأغاني 8 / 62 انظر سبب تسميته بآكل المرار .

(2) اغاني / 8 / 68 .

(3) اللسان مادة « حير » 4 / 225 صادر

«صبحْنـا الحـيرة الروحـاءَ خيلاً ورَجْـلاً ، فوق أثـباج الركاب
حَضرنّـا في نواحيهـا قصورا مشرِّفـةً كأضراس الكلاب[1]»

وقيل سُميت الحيرة لأن تبَّعاً الأكبر لما قصد خراسان خلَّف ضعاف الجنود فيها قائلاً لهم حَيِّروا بها ، أي أقيموا بهذا الموضع . وفي ذلك يقول كعب بن جُعَيل :

وغزانـا تُبَّـعٌ من حِمْـيَر ، نازل الحـيرة من أرض عدن[2]

ويتابع ياقوت فيقول : وصار في الحيرة من جميع القبائل ، من مذحج وحمير وطيء وكلب وتميم ، ونزلت تنوخ الأنبار والحيرة . وأول ملوك الحيرة من تنوخ ، مالك بن فهم أبو جذيمة الأبرش المشهور وصاحب الزّباء ملكة تدمر . . . وبعد هلاك جذيمة ملك ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر اللخمي وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من الملوك . ويقول ابن رومانوس الكلبي في ذلك :

ما فلاحـي بعـد الألى عمـروا الـ ـحـيرة ما أن أرى لهـم من باق
ولهـم كان كل من ضرب العَيـ ـرَ بنجـد إلى تخـوم العراق[3]

وقد ذكر اسـم الحـيرة المؤرخ « يوحنـا الأفسسي » المتوفي عام 585 م فيقول :

« حير تود نعمان دبيت بورسوبي » . أي « حيرة النعمان التي في بلاد

(1) البلدان 2 / 328 (صادر)
(2) البلدان 2 / 330 (صادر)
(3) البلدان 2 / 331 (صادر)

فارس »(1) كما ورد اسم الحيرة في المجمع الكنسي المنعقد عام410 م حيث وقّع قرارات هذا المجمع الأسقف « هوشع » تحت اسم « أسقف حيرته »(2) .

والحيرة هذه ، التي لم يبق منها الآن سوى اطلال دارسة كان لها في الأدب العربي الجاهلي شهرة واسعة بحسن هوائها وطيب مناخها حتى قيل عنها : « **يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة** »(3) . وقد عُرف ملوك الحيرة بـ « آل لخم وآل نصر والنعامنة والمناذرة وآل محرّق » . وفي آل محرّق يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمّلُ بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم ، وبعد إيادِ
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سندادِ(4)

ومن العلماء والمؤرخين والأخباريين من يرجع عهد بنائها الى بختنصر(5) وبعضهم يرجع ذلك إلى النبط وآخرون يقولون أن بانيها هو تبّع الذي حيّر بها بعضَ ضعافِ جنده(6) .

إن جواد علي في مؤلفه « المفصّل في تاريخ العرب » يرى أن أهل الحيرة عرب ، قسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ ، العِبَاد ، والأحلاف(7) .

---

(1) ج . علي3 / 157 عن J. Obereyer 234.
(2) نفس المصدر عن Musil p. 20
(3) نفس المصدر 3 / 158 عن المسالك(82)
(4) المعارف لابن قتيبة 647 دار المعارف طبعة ثانية منقحة (مصر) 1969
(5) تاريخ الطبري : 1 / 558 وما بعدها دار المعارف
(6) البلدان : 2 / 330 « صادر »
(7) ج . علي3 / 166 عن حمزة66

والعباد هم عباد المسيح أو عباد الله وهم النصارى ومن قبائل مختلفة .

إن حمزة الأصفهاني يقول : أن « مالك بن فهم » أول من تملك على تنوخ في العراق . ومالك هذا هو القائل عندما رماه ابنُه « سليمة » بالسهم :

جزانـــي ، لا جزاه الله خيرا سليمـــةُ ، إنـــه شرا جزاني
أعلّمــه الرمـــاية كل يوم فلما اشتـــدّ ساعـــدُه رماني [1]

ثم تملك من بعده جذيمة المعروف بالأبرش وقصته مع الزباء معروفة . فإبن أخته عمرو بن عدي . . . بن لخم . ثم ابـن عمـرو « امـرؤ القيس الأول » على حسب رواية حمزة . وربما كان هذا صاحب كتابة « النمارة » .

وكتابة النمارة هي شاهد قبر ملك عربي يدعى « امرؤ القيس » ، عُثر عليها في موضع النمارة في الحرَّة الشرقية من جبل الدروز ويرجع تاريخها الى اليوم السابع من شهر ك1 عام328 م [2] دُوِّنت على ضريح الملك وتتألف من خمسة أسطر :

أ ـ تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر اتج .
ب ـ ملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدي وجا .
ج ـ يزجى في صبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
د ـ الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
هـ ـ عكدى . هلك سنة223 يوم بكسلول بلسعد ذو ولـده [3] .

---

(1) نفس المصدر عن حمزة64

(2) نفس المصدر عن3 / 191 عن Rep. Epig I-7p. 36

(3) ج . علي3 / 191 عن جرجي زيدان ؛ العرب قبل الاسلام ، 203

وهذا معنى النص في عربيتنا اليوم .

1 ـ هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ، ملك العرب كلهم الذي نال التاج ،
2 ـ وملك الأسدين ونزار وملوكهم . وهزم مذحجا بقوته وقاد ،
3 ـ الظفر إلى أسوار نجران ، مدينة شمر . وملك معدا واستعمل أبناءه على ،
4 ـ القبائل ، ووكلهم لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه ،
5 ـ في القوة . هلك سنة223 يوم7 بكسلول . ليسعد الذي ولده (1) .

إننا إذا تبحَّرنا قليلا في هذا النص نجد أن « امرأ القيس » هذا قد ملك على قبائل عربية كثيرة وقد وصلت سلطته الى قلب اليمن وقد استعمل التاج ، وكانت علاقته وصلة أبنائه بالفرس والروم صلة قوية .

ومن ملوك الحيرة العظام النعمان ابن امرىء القيس وهو صاحب الخورنق بناه ليستضيف ابن ملك الفرس « بهرام جور » لما لملوك الفرس من احترام وبجلة في نفوس ملوك الحيرة ولما كان بين التاجين من صلة دامت سنين طويلة . . .

كما نُسب بناء « السدير » للنعمان هذا وفي هذين القصرين يقول المنخل :

وإذا صحوت فإنني رب الشريهة والبعير
وإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير

إن قصر الخورنق المشهور كثيراً في الشعر العربي « تراث العرب الكبير » قد بناه سنمار الرومي الى النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن . . . بن

(1) إن ترجمات النص تختلف قليلا عن بعضها بسبب اختلاف قراءات العلماء .

سبأ بن يعرب بن قحطان في ستين سنة[1] . وقصة النعمان وسنمّار بانيه مشهورة[2] . وفي الخورنق وسنمّار يقول الشاعر : .

جزاني ، جزاه الله شرَّ جزائه ، جزاء سنمّار ، وما كان ذا ذنب
سوى رمّه البنيان ، ستين حجّة ، يعِلُّ عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان وتمّ سحوقُه ، واض كمثل الطَّودِ والشامخ الصعب
فظنَّ سنمّارٌ به كلَّ حبوة ، وفاز لديه بالمودّة والقُرْب
فقال : أقذفوا بالعلجِ من فوق رأسه ! فهذا لعمرُ الله ، من أعجب الخطْب[3]

وقد لقِّب النعمان بالسائح لما رواه عنه الأخباريون لسماعه من وزيره عندما سأله وهو على شرفة الخورنق : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال الوزير : لا ، لو كان يدوم ! قال الملك : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة . قال : فيمَ يُنال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك النعمان ملكه ولبس المسوح وساح في الدنيا[4] . وفي ذلك يقول عدي بن زيد :

وتبيَّن ربُّ الخورنق ، إذ أشرف يوماً ، وللهدى تفكيرُ
سرَّه ما رأى وكثرةُ ما يمـ لكُ ، والبحرُ ، معرضاً ، والسديرُ
فارعوى قلبُه وقال فما غبـ طةُ حيٍّ إلى الممات يصيرُ !
ثم بعد الفلاح والملك والإمـ مةِ وارتْهُمْ هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفـ ـفَ ، فألوتْ بهِ الصَّبا والدَّبور[5]

---

(1) البلدان 2 / 401 « صادر »
(2) راجع البلدان 2 / 401-2
(3) نفس المصدر 2 / 402
(4) البلدان 2 / 402
(5) نفس مص 2 / 402

وهذا الشاعر عبد المسيح بن عمرو يبكي ملوك الحيرة وقصورهم وقد دخل خالد بن الوليد مدينة المناذرة فيقول :

أبعـد المنـذرين أرى سَوَاما ... تُرَوَّحُ بالخورنـق والسدير
تحامـاه فوارسُ كلِّ حيٍّ ، ... مخافـة ضَيْغَـمٍ عالي الزئير
فصرنـا ،بعـد هُلْكِ أبـي قُبَيْس ، ... كمثـل الشـاء في اليوم المطير
تقسَّمنـا القبائـلُ من مَعدٍّ ... كأنّـا بعضُ أجـزاء الجزور[1]

إن الأب لويس شيخـو يعـزو تنصّر النعمان إلى قديس حلب الشهير « سمعان العمودي »[2] . ولا شك إن الحيرة كانت مربعاً من مرابع النصارى . وقد رأينا سابقاً أسقفها « هوشع » يمثلها في المجمع الكنيسي المنعقد عام410 م . وهل يعقل أن يكون هناك أسقف بدون رعية وكنائس وأديرة ورهبان . إن التاريخ يذكر لنا « هنداً » والدة الملك « عمرو بن هند » وقد بنت ديراً وتنسكت فيه وعمّرت حتى أدركت الاسلام . وما دامت امهات الملوك نصرانيات ، فلما لا يكون الملك نصرانياً . إن شاعراً متأخراً ، هو علي بن محمد العَلَوي الكوفي المعروف بالحمّاني ، يحكي لنا حكاية الحيرة ونصرانيتها فيقول :

كم وقفـةٍ لك بالخوَرْ ... نق ما تُوازي بالمواقف
بـين الغـدير إلى السديـ ... ـدِ إلى ديارات الأساقف
فمـدارج الرهبـان في ... أطمـار خائفـة وخائف
دِمَـنٌ . كأنّ رياضها ... يُكسَـيْنَ أعـلامَ المطارف[3]

---

(1) نفس مص 2 / 402
(2) النصرانية وأدابها ص82
(3) البلدان2 / 403

وربما كان بعضهم مجوسياً أو يهودياً . فها هو المنذر بن ماء السماء يكتب له « ذو نوّاس » ويحثه على أن يفعل بالنصارى كما عذّب هو نصارى نجران . . . ولكن ربما يكون هذا الالتماس لكون الملكين يتعاملان مع ملك وامبراطور واحد هو كسرى فارس ومما يؤيد رأينا هذا ما كان بين المنذر ملك الحيرة والحارث بن جبلة ملك غسان من مواقع عديدة وغزوات كثيرة ينتصر فيها الحارث عليه ويقتله في قنسرين(1) وكلا الملكين عربيان وأعتقد أن كليهما نصرانيان .

إن المنذر هو صاحب يومي البؤس والسعد ، واليه يُنسب بناء الغريينْ على جسدي نديميه . ويُقال إنه تنصَّر في آخر أيامه لوفاء الرجل النصراني الذي أتى يطلب الموت(2) .

ويملك بعد المنذر عمرو بن هند (بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار) وإليه يُرجع الأخباريون مقتل الشاعر الفتى « طرفة بن العبد » عندما كتب إلى عامله بالبحرين ليقضي على طرفة وعلى خاله المتلمس ويفض هذا الأخير صحيفته ويُقرئُها الى فتى من الحيرة ثم يلقيها في الماء ويقول :

وألقيتها بالثني من جنب « كافر »	**كذلك ألقي كلَّ رأيٍ مُضلَّلِ(3)**
رَضيتُ لها بالماءِ لما رأيتُها	**يجُولُ بها التيَّارُ في كلِّ جدولِ**

ويرجع غضب عمرو بن هند على طرفة لهجائه له حيث يقول :

---

(1) ج . علي : 3 / 223 عن أمراء غسّان18

(2) لويس شيخو شعراء النصرانية مطبعة الأباء المرسلين بيروت1926 ص89

(3) شرح المعلقات السبع للزوزني (58) دار الجيل بيروت

فليت لنــا مكان الملكِ عمرو رغوثــا حول قُبَّتنــا تخُورُ
لعمْــرُك ! إن قابــوس بن هند ليَخْلِــطُ مُلــكه نوكٌ كثيرُ[1]

وقد قُتل عمرو هذا على يد عمرو بن كلثوم التغلبي حفيد المهلهل من جهة أمه ليلى بقصة (خدمة أمه ليلى بنت المهلهل وصياحها : واذلاه ! يا آل تغلب !)[2] وإلى أم الملك ، عمرو ، هند يُنْسب الدير المشهور في الحيرة وقد بُني على عهد الأسقف « مار افرايم »[3] .

وما دمنا في ذكر ملوك الحيرة فلا بُد من ذكر ملك آخر هو النعمان بن المنذر صنيعة عدي بن زيد الشاعر الجاهلي النصراني المعروف[4] والذي لاقى جزاء صنعه الموت الزؤام فكان جزاؤه كجزاء سنمار . ولكن ابنه زيداً أخذ بثأره إذ أوغر قلب كسرى على قاتل أبيه فاستدرجه وقتلـه حبسـاً أو تحـت أرجـل الفيلة[5] .

ويقـول الأخبـاريون أن النعمان كان في أول أمـره عابـد وثـن يتعبَّـد « للعزّى » ويذبح للأوثان ، ولكنَّـه غيَّـر دينه وتنصَّـر وطرد اليعاقبـة وحمـى النساطرة . ومما يُذكر عنه ، أنه خرج ذات يوم راكباً ومعـه عدي بن زيد ، فوقف على مقابر بظاهر الحيرة . فقال له عديٍ : أبيت اللعـن ، أتـدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

أيهــا الــركب المخبّو ن على الأرض المجدّون
فكما أنتــم كنّــا وكمــا نحــن تــكونــون

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني (58) دار الجيل بيروت
(2) انظر الأغاني 9 / 182 طبعة بولاق .
(3) ج . علي 3 / 257 عن الحيرة ص 47
(4) أغاني 2 / 18 بولاق
(5) اغاني 2 / 18 بولاق

ثم قال :

ربَّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماءِ الزلال
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالا بعد حال

فأثَّر هذا القول بالنعمان فارعوى وتنصَّر(1) حوالى سنة 593 م وأصبح من حماة المذهب النسطوري . وصارت الحيرة منذ ذلك التاريخ معقلاً من معاقل هذا المذهب ومنها خرج المبشرون ينشرون تعاليم نسطوريوس ، التي تنفي ألوهية الروح القدس ، ومنهم (سرجيوس) الذي توجه الى نجران في اليمن في أواسط القرن السادس الميلادي حيث بشَّر ومات هناك(2) .

ويُنسب إلى الملك النعمان دير اللج . كما يَنسب إليه حمزة(3) ، أربع بنات ، هن : حرقة وحريقة وعنفقير وهند التي عاشت وأدركت الاسلام وكانت مترهبة وماتت فدفنت بديرها الى جانب قبر والدها . وحرقة هي التي تقول بعد أن عدا عليها وعلى أهلها الزمان :

فبينا نسوس الناس ،والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصَّف
فأف لدنيا لا يدومُ نعيمُها تقلَّبُ تاراتٍ بنا وتصرَّفُ

وبعد النعمان هذا ملك أياس بن قبيصة الطائي الذي وجهه كسرى أبرويز لقتال الروم(4) .

---

(1) الأغاني 2 / 18 بولاق .
(2) ج . علي 3 / 285 عن Die Araber I, S. 198
(3) ج علي 3 / 285 عن حمزة 74 .
(4) البلدان 3 / 169 انظ (سانيدما) .

12 ـ مملكة الغساسنة

لقد حكم عربَ الشأم عربٌ عُرفوا بـ« آل غسان » و « آل جفنة » ، وقد استمر ملكُهم إلى الإسلام . وكلمة « غسان » على حسب رأي الإخباريين أتت من اسم ماء نزل عليه القوم ، وهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن فسموا « غسان »[1] قال حسان :

إمـــا سألـــت ، فإنـــا معشرٌ نُجُبٌ ، الأزدُ نسبتُنــا ، والماءُ غسانُ[2]

وقد نسبهم بعض الأخباريين لجدّ اسمه « جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر »[3] فسموهم آل جفنة . وفيهم يقول حسان[4] .

لله درُّ عصابــة نادمتُهم يومــا بجلّــق في الزمـــان الأولِ
أولادُ جفنـــة حول قبـــر ابيهم قبـر ابـن مارية الـــكريم المُفْضِلِ

وعمرو هذا أبو جفنة ، رُبَّما سُمي مزيقيا لأن العرب في زمنه وعند سيل العرم تمزّقوا شرَ ممزّق ، وساحوا في الأرض . وقد يوافق هذا الرأي رأي (نولدكه)[5] الذي رأى من الآية ﴿ **فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزّق، إن في ذلك لآيات لكل صبّـار شكور** ﴾[6] .

ويظهر من كتابات بعض الأخباريين أن عرباً حكموا ، بلاد الشأم ،

---

(1) ج . علي 3 / 387 عن حمزة (ص67)
(2) اللسان مادة (غ . س . ن) 13 / 313 صادر
(3) اللسان مادة (ج ف ن) 13 / 90 صادر
(4) الديوان 183 دار احياء التراث العربي .
(5) ج . علي : 3 / 391 عن امراء غسان ص3
(6) سبأ 34 / 18

قبل آل جفنه وهم (الضجاعمة) . ومن هؤلاء داود اللثق ، الـذي اعتنـق النصرانية ، ونُسب إليه دير داود . كما يظهر أيضاً أن ضجعم أمير الضجاعمة لم يكن منجباً وليس له من ولد وريث فدعا النساك النصارى لإلهم من أجل الأمير فُرزق ولداً ولأجل هذا الحدث تنصَّر وقبيلته[1] .

ولقد أشار المؤرخون اليونان والسريان إلى ملكة عربية دعوها(Mauia) (ماوية) حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشام وقد حاربت الروم مراراً وانتصرت أكثر من مرَّة ثم تصالحت معهم شرط تولية الراهب (موسى) الأسقفية على عربها . وكان هذا الراهب معارضاً لمذهب آريوس ، ونشيطاً في نشر النصرانية بين صفوف عرب الشأم والجوار[2] ولعـلَّ (مـاوية) هذه هي مارية أم جفنة والتي ذكرها حسَّـان في شعره سابقاً وقد أصـاب الكلمة بعض التحريف لانتقالها من لغة الى أخرى . لقد كان ملوك الغساسنة نصـارى ، وقد كان الحارث بن جبلة من أنصار « المنوفسيتـين »(Monophysites) أي القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح ، وقد قيل عن هذا الملك أنه سعى لدى الامبراطورة « تيودورة » لتعيين « يعقوب البرادعي » ، ورفيقه « تيودورس » اسقفين على المقاطعات السورية العربية الخاضعة لنفوذ الروم وقد كلل مسعاه بالنجاح . وكان ذلك عام542 للميلاد[3] . والحـارث هذا هو صاحـب يوم حليمة الذي انتصر فيه على ملك آل لخم ملك الحيرة المنذر وقتله[4] . وهـو الذي قصده ذو القروح امرؤ القيس الكندي ، طالب ثأر والده ، ليوصله الى القيصر ليشكو ظلامته ويطلب مساعدته . ولما قُتل امرؤ القيس في برِّ الأناضول

---

(1) ج . علي3 / 395 عن33 .Die Araber 2. S وعن امراء غسَّان (ص3)

(2) مجلة المشرق السنة العاشرة عدد11 حزيران1907 ص524

(3) ج . علي : 3 / 408 عن52 .François Nau: Les A. Chres: p

(4) انظر مملكة المناذرة . (الحيرة) سابقاً .

أو مات ، سار هذا الحارث إلى تيماء ليطلب وديعة امرىء القيس من السموأل ، ويقول السموأل بذلك . بعد أن يرفض تسليم الوديعة وهو ينظر الى إبنه وقد شطره سيف الحارث الى نصفين :

بنى لي عاديا حصنا حصينا وعينا كلما شِئْتُ استقيتُ
واوصى عاديا قِدماً بأنْ لا تُهَدِّمْ يا سَمَوْألُ ما بَنَيْتُ
وفيتُ بأدْرُعِ الكِنْدي ، إني إذا ما خان أقوامٌ وَفيْتُ[1]

وربما كان طالب الوديعة شخصاً آخر اسمه الحارث بن ظالم رسول ملك الحيرة المنذر والذي كان يتعقب الشاعر والملك الطريد ليقتله .

يتبين لنا مما تقدم أن الغساسنة العرب كانوا على علاقة وثيقة بالامبراطورية البيزنطية المغايرة لهم في العرق واللسان ، كما كانوا على علاقة سيئة بملوك الحيرة أبناء بجدتهم وهؤلاء كانوا بدورهم على علاقة طيبة بملوك فارس . وربما كان ذلك سببه العصبية القبلية والتنافر القبلي تغذيه القوى الخارجية لتوقع بين أبناء الأمة الواحدة وتجد بذلك سبيلاً لبسط نفوذها وسيطرتها . وهذا هو ديدن الممالك الكبيرة في المتقدم من التاريخ والمتأخر منه . . . والملاحظ أن الغساسنة كانوا نصارى والمناذرة كذلك فلماذا لا تجمعهم رابطة الدين مثلاً ، إن لم نقل رابطة العرق فيتحدون بدل تخاصمهم ويتآلفون بدل تباغضهم ، وآل ساسان مجوسٌ وعبدة نار والبيزنطيون قومٌ غرباء .

أنا لا أرى أن العنصر الديني هو السبب في ميل الغساسنة الى بيزنطة بل السبب الأهم والرئيسي هو النزاع القبلي المتأصل وحب التسلط

---

(1) ديوان السموأل (المقدمة) ص69 صادر بيروت

والظهور . . . . وشاهدي على ذلك أن المناذرة باعتراف أكثر المؤرخين كانوا نصارى وإن اختلفوا مذهبياً بعض الشيء عن الروم ، فلماذا يتقربون من الفرس المجوس ويبتعدون عن الروم المسيحيين لولا احتضان الروم للغساسنة في بلاد الشأم . وقد رأينا في كتابتنا عن المناذرة والغساسنة حروباً طاحنة نشبت بينهما وذهب ضحيتها أحياناً الملوك .

نعود لنتتبع تاريخ مملكة غسان فنرى أن المنذر بن الحارث ملك بعد أبيه وكان كأبيه مذهبياً من أصحاب الطبيعة الواحدة . اهتم بالكنائس فبنى أو رمّم كنيسة القديس « سرجيوس » في الرصافة ومن هذه الكنيسة أخذ التغالبة صورة هذا القديس عند غزوهم للمدينة[1]

يقول الأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ومار سرجيس وموتا ناقعا

إن آخر ملوك الغساسنة ، كما هو معروف ، جبلة بن الأيهم الذي اسلم ثم ارتد وقصد القسطنطينية ومات فيها . وفيه يقول حسّان بن ثابت :

إنّ ابن جفنة من بقيّة معشرٍ لم يغذُهُم اباؤهم باللّوم
لم ينسني بالشام ،إذ هو ربُّها ، كلا ولا مُتنصرا بالرُّوم[2]

وفي مدح حسّان لآل غسان يقول :

« قدمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص الوصول إليه ، فقلت للحاجب بعد مُدّة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم ، فأذن لي ، فدخلت عليه ، فوجدت عنده النابغة ، وهو جالس عن

---

(1) ديوان الأخطل(309) طبعة الصالحاني

(2) الديوان ص235 دار احياء التراث العربي / بيروت /

يمينه ، وعلقمة بن عبدة ، وهو جالس عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريعة ! قد عرفت عيصك ونسبك في غسان ، فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية ولا احتاج إلى الشعر ، فإني أخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول : الشعر للنابغة في مدحهم .

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم ، يُحَيّون بالرّيحان يوم السباسب[1]

فأبيت وقلت : لا بد منه ، فقال عمرو : هات يا ابن الفريعة ، فانشأت :

أسألت رسم الدار أمْ لم تسأل	بين الجوابي ، فالبُضيْع ، فحَوْمل
لله درُّ عصابة نادمتُهم ،	يوماً بجلّق في الزمان الاوّل
أولادُ جفْنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المُفْضل
يغشَوْن ، حتى ما تهرُّ كلابهُم	لا يسألون عن السواد المُقْبل[2]

ويقول النابغة الذبياني في مدح الحارث الأعرج الغساني :

لهم شيمةٌ لم يُعْطِها الله غيرهم	من الجُود ، والأحلامُ غيرُ عوازب
محلتُهم ذاتُ الإله ودينُهم	قويمٌ فما يرْجُون غير العواقب
رقاقُ النّعال طيّبٌ حُجُزاتهم	يُحَيّون بالرّيحان يوم السباسب[3]

من شعر حسّان ومن شعر النابغة نرى أن الغساسنة هم عرب نصارى وربما يكون اتصالهم الوثيق بالروم هو سبب تنصُّرهم أو لعلّهم قد أخذوا

---

(1) ديوان النابغة الذبياني - ص 12 .

(2) الديوان ص 179 ، صادر ، بيروت

(3) الديوان ص 47 دار المعارف .

هذا المذهب من المبشرين النصارى الذين انطلقوا من جوارهم من فلسطين مهد المسيحية يحملون تعاليم السيد المسيح الى « الأمم » ومن ضمنهم العرب[1] .

---

(1) اعمال الرسل 2 / 11

الفصل السادس

التراث الديني والفكري والاجتماعي لهذه الشعوب

1 ـ التراث الديني

كان أكثر العرب في جاهليتهم وثنيين يؤمنون بقوى (إلهية) « متعددة تشمل الكواكب ومظاهر الطبيعة » . كما كانوا قريبين جدا من المذهب الطوطمي[1] ، نستدل على ذلك من أسماء بعضهم ومن أسماء قبائلهم كمثل : بنو أسد ، بنو فهد ، بنو كلب ، ثور ، ذئب ، عقاب ، نسر ، قريش ، حنظلة ، صخر ، حيّة ، وحنش. مما يشير إلى أن العرب تفاءلوا وتشاءموا بالحيوان والنبات والجماد فقدسوها لتحصيل البركة ولاعتقادهم أن الطوطم يحمي أهله عند الخطر المداهم ، وقد حمل العرب معهم هذه الطواطم إلى ساحات الوغى كما فعل أبو سفيان قبيل اسلامه عندما حمل « اللات والعزى » يستنصرهما في أحُد على المسلمين . وها هو الشاعر العربي يذكر أن « يغوث » يدافع عن قبيلته في ساحة القتال :

وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح[2]

لقد تفاءل العربي بالحمامة من الطيور ، وبنباح الكلاب من الحيوانات

---

(1) احد الكائنات يحترمه الناس ، ويعتقدون بعلاقة نسب بينهم وبينه ، وهو يحمي صاحبه ويدافع عنه ، ويكون حيوانا او نباتا .

تاريخ العرب في العصر الجاهلي / 457 د . عبد العزيز سالم .
دار النهضة بيروت

(2) الأصنام ، لابن الكلبي ص 10

لاستجلاب الضيوف . وتشاءموا من الثور المكسور القرن ومن الغراب الذي لا يزال بعضنا حتى اليوم يتشاءم من صوته . وضربوا المثل في الشؤم منه . فقالوا : أشأم من غراب البين . ويذكر الألوسي أن الاسم لزمه لأنه لا يعتري ديار القوم إلا اذا بانوا عنها[2] . وكان العرب يحرمون لمس الطوطم[1] خوفاً ورهبةوهذاما يجعلنانعتقد بتواتر هذه العادةأو الإعتقاد بها حتى يومناهذا حيث يمتنع الناس عن لمس الأشجار، أو قطعها، القائمة قرب أماكن العبادةوأضرحة الأولياء وتطورت وثنية العربي الى عبادة الكواكب والجماد . ويقول شوقي ضيف إن عبادة النجوم والكواكب دخلت إليهم من قديم وجاءتهم من الصابئة وبقايا الكلدانيين[3] وربما صحّ كلامه ولكن العرب في جاهليتهم اتصلوا بأمم وشعوب كثيرة وكان لهم علاقات معها من بينها الصلات الدينية . وقد رأينا ذلك في فصول سابقة ، وكما سنبين لاحقاً عندما نتكلم عن ديانات الجاهليين بالتفصيل . لقد عرف عرب الجنوب التثليث بعبادتهم للآلهة الثلاث : « ود » القمر ، « اللات » الشمس ، « العزى » الزهرة . فالقمر والشمس والزهرة ثالوث مقدس لدى عرب الجنوب الجاهليين[4] وهذا الثالوث هو نفسه عند البابليين : الاله (سين) ، القمر و(شمش) الشمس ، و(عشتر) الزهر [5] . وقد قدم العرب القمر على الشمس وهذا ما فعله البابليون والكلدان . لقد كانت عبادة الأصنام[6] منتشرة بين عرب الجاهليين انتشاراً واسعاً وهي أحجار وأشجار وحيوانات وكواكب منها عبادة العزى « شجرة

---

(1) تاريخ العرب في العصر الجاهلي سالم عن لألوسي 2 / 235

(2) نفس المصدر عن الأساطير ص78

(3) تاريخ الأدب العربي 1 / 89

(4) ج . علي الجزء السادس

(5) انظر فيا بعد (فصل الأصنام)

(6) سنبين فيا بعد الفرق بين الصنم والوثن وكيف عبدها العرب وأين .

بوادي نخلة شرقي مكة » التي قطعها خالد بن الوليد وهو يقول :

يا عُزّ كُفرانك لا سبْحانك إنـي رأيت الله قد أهانك[1]

ومما يرويه العرب أن الذي أدخل عبادة الأصنام الى بلاد العرب هو : عمرو بن لحي . منها ود وسواع[2] الذي تعبدت له هذيل وفي ذلك يقول الشاعر :

تراهم حول قيلهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع[3]

ولا مجال في هذا الفصل لذكر جميع أصنام العرب التي سنوردها مفصلة في فصول لاحقة .

هذا عن الوثنية أما عن النصرانية فقد دخلت « بلاد العرب منذ أن نادى بها مؤسسها « يسوع الناصري »[4] وانتشرت بين الكثير من قبائل العرب والشعر الجاهلي يتضمن الشواهد العديدة على مدى انتشارها . من ذلك قول عدي بن زيد العبادي :

سعى الأعداء لا يألون شرا عليَّ وربِّ مكة والصليب[5]

وقول امرىء القيس[6] :

يُضيء سناه أو مصابيح راهب أهان السليط في الذُّبال المفتّل

---

(1) الأصنام 9-11
(2) الأصنام 51
(3) نفس المصدر 57
(4) انظر صلة العرب بالنصرانية
(5) الأغاني 2 / 111 دار الكتب
(6) الديوان : 60 دار صعب « صادر » بيروت

وقول المرقّش الأكبر يذكر النواقيس وهي تقرع في أواخر الليل تدعو الناس إلى الصلاة :

وتسمعُ تزقاءً من البوم حولنا كما ضُرِبت بعد الهدوّ النواقسُ[1]

وقول النابغة الذبياني وهو يذكر عيد الشعانين عند بني غسّان منوها بما اعتاد الناس على فعله في هذا العيد وهو حمل الريحان وتحية الملوك به وبالطبع عند سيرهم مارّين بالناس لتأدية صلاة العيد :

رقاق النّعال طيّب حُجُزاتهم يُحَيَّوْن بالريحان يوم السباسب[2]

وقول أوس بن حجر ذاكراً عيد الفصح وكيفية احتفال المسيحيين به إذ يوقدون المشاعل ويضيئون الكنائس بالقناديل والمصابيح ، بالشموع وهو تقليد لا يزال قائماً حتى إذٍ :

عليه كمصباح العزيز يَشبُّهُ لفصح ويحشوه الذُّبال المفتّلا[3]

إن أشهر من أفصح عن عقيدة العرب النصارى ، الذين قال لهم سيدهم ، « **أحبُّوا أعداءكم أحسنوا الى مبغضيكم ، باركوا لاعنيكم ، من ضربك على خدّك فأعرض له الآخر أيضاً** »[4]

هذه العقيدة التي لا تأمر بالقتل،هو جابر بن حُنّي الذي نستدل من اسمه على نصرانيته : والذي يقول :

---

(1) مفضليات ص225 ، دار المعارف مصر ، تحقيق شاكر وهارون الطبعة الخامسة

(2) ديوان النابغة الذبياني . المؤسسة العربية / بيروت / ص12

(3) ديوان أوس بن حجر تحقيق محمد يوسف نجم ص84 / صادر / بيروت

(4) لوقا6: 27-38

وقــــد زعمــــت بهــراء أن رماحنا رمــاح نصــارى لا تخــوض إلى دم[1]

إن وجود النصرانية ما بين ظهراني العرب قد أثَّر فيهم أي « بالنصارى العرب » أثاراً مختلفة ، ولم يقتصر هذا التأثير عليهم فقط بل ربما تعداهم الى الوثنيين ولنسمع زهير بن أبي سلمى يقول :

فلا تكتمــنَّ الله ما في نفوسكم ليخفــى ومهما يكْتــم اللهُ يعلم
يُؤخَّــر فيوضــع في كتــابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحســاب أو يُعجَّــل فيُنقم[2]

من شعر زهير نتساءل . هل آمن هذا الشاعر الحكيم بالآخرة ؟ ومن أين تعلمها لا شك أنه اختلط ببعض النصارى أو ببعض اليهود وسمع منهم ايمانهم وأعجبته عقيدتهم فتغنى بها .

إن لأديرة[3] العرب وبيعهــم المنتشرة في أكثر من مكان في بلاد عرب الجاهليين من أرض غسَّان الى الحيرة الى اليمن وظفار والبحرين[4] دور كبير في إيصال العقيدة المسيحية الى العرب الجاهليين ، ونقلهم من الوثنية « عبادة الصنم والوثن » إلى عبادة الله . .

أما اليهودية فقد انساحت في ديار العرب ابتداء بابـراهيم[5] وأكثر ما عرفناها في اليمن والحجاز وفي المناطق الشمالية . وربمـا هاجـر اليهـود إلى الأرض المجاورة لفلسطين في القـرون الأولى للمسيحية وخاصـة في أواخـر

---

(1) النصرانية 171
(2) شرح المعلقات للزوزني 110 دار الجيل بيروت
(3) انظر ماده « دير » في معجم البلدان 2 / 495 وما بعدها « دار صادر »
(4) انظر العرب والنصرانية فيما سبق .
(5) انظر العرب واليهود فيما سبق أيضا .

القرن الأول الميلادي (70 م) أثناء تدمير الهيكل « هيكل سليمان » من قبل الامبراطور تيطس الروماني ، هذا في الأزمنة المتأخرة وقبيل ظهور الإسلام إذا جاز لنا أن نقول ذلك .

ولا شك أن اليهود قد تركوا بصماتهم في نفوس العرب . فأيوب النبي الذي انتجت قريحته من القريض بأنفس ما انتجته قريحة البشر كان عربياً يهودياً باعتراف فيليب حتي[1] فإذا صحّ ذلك يكون أيّوب قد اتحفنا وخلّف لنا كنزاً ثميناً من آداب عرب الشمال ، وتراثهم الديني .

ولنسمع ما يقول الشاعر اليهودي السموأل : [2]

نُطفــــة ما مُنيتُ يوم مُنيتُ	أُمــرتْ أمرهـــا وفيهـــا بُريت
كنَّهـــا اللهُ في مكانٍ خفي	وخفـــيٌّ مكانهُـــا لو خَفيتُ
ميت دهـــر قد كنـــتُ ثم حَييتُ	وحياتـــي رهـــن بأن سأموت
وأتانـــي اليقـــين أنـــي إذا مُـ	ـــتُ وإن رمَّ أعظمـــي مَبْعوثُ

وهذا الشعر إن صحّ أن قائله السموأل نراه موافقاً لما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وتخرج الميّـت من الحيّ ﴾[3] .

أما الحنفاء وهم ليسوا باليهود ولا النصارى[4] بل جماعة من العرب لم تعبد الأصنام وإنما اعتقدت بوجود إله واحد وقد عُرفوا بالأحناف أو الحنفاء

---

(1) تاريخ العرب ص74

(2) الديوان ص182 « صادر » .

(3) آل عمران 3: 27

(4) ج . علي 6 / 449

وهي جمع الحنيف « صفة ابراهيم »[1] الواردة في القرآن الكريم : ﴿ **وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا . قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ﴾[4] .

ولقد كان لأفكار الأحناف أثر في تقويض أركان الوثنية في شبه جزيرة العرب من ذلك ما فعله أمرؤ القيس عندما استقسم عند الصنم « ذي الخلصة » وخرج السهم ينهاه عن ذلك فسبَّ الصنم ، وكسر القداح ، وضرب بها وجه الصنم وقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا[1]

وامرؤ القيس أول من أخفر الصنم فلم يستقسم به بعد[4] . والرجل الكناني الذي ورد بإبله إلى صنم يقال له « سعد » ليتبرك به فتنفر الإبل وتتفرّق ، فيأسف الرجل ويتناول حجراً ويرمي الصنم به وهو يقول : **لا بارك الله فيك إلها ، أنفرت عليَّ إبلي** ثم ينشد :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعى لغيّ أو رشد[5]

---

(1) تاريخ العرب في العصر الجاهلي عبد العزيز سالم486
(2) البقرة : 2 :135
(3) الأصنام35
(4) نفس المصدر
(5) نفس المصدر37

وعما يشير إلى عبادة الأحناف أيضاً قول زيد بن عمرو بن نفيل :

أربـــاً واحـــداً أم ألف ربٍّ أدين إذا تقسمـــت الأمور
تركت الـــلات والعـــزى جميعاً كذلك يفعـــل الجلـــد الصبور
فلا العـــزى أدين ولا ابنتيها ولا صنـمـــيْ بنـــي عمـــرو أزور
ولا هبـــلا أزور وكان ربّاً لنـــا في الدهـــر إذ حلمـــي صغير[1]

ولقد آمن الأحناف بالله وبيوم الحساب نستدل على ذلك من قول علاف بن شهاب التميمي :

ولقـــد شهـــدت الخصـــم يوم رفاعة فأخـــذتُ منـــه خطـــة المغتال
وعلمـــت أن الله جاز عبده يوم الحســـاب بأحســـن الأعمال[2]

إن للأحناف فضل كبير لتهيئة العرب واعدادهم لاستقبال الدين الجديد « الاسلام » ولنبذ الوثنية وإضعاف مُثلها الدينية :

2 ـ التراث الفكري

بعد أن بيَّنّا بعضاً من التراث الديني لعرب الجاهلية ، وأوردنا بعض شذراتٍ من الأشعار التي قالوها للإبانة والإفصاحٍ عما تجيش به نفوسهم من إلهيات وطرق عبادة ، لا بُدَّ لنا أن نتوقف ولو قليلاً عند التراث الفكري لهؤلاء الناس لنرى مدى صحة قول من نعتهم بالجاهليين ، ومن نفى عنهم صفة الجهالة في القول والمعرفة وأثبتها من الناحية الدينية فقط ، ومن قال أن لفظة جاهلية هي مجاز للقول وليست حقيقة . . .

---

(1) نفس المصدر 22

(2) عبد العزيز سالم ص490 عن الألوسي ص276

لقد ذهب الباحثون الى القول : بأن الجاهلية هي « عصر الجهل والهمجية » بَيْدَ أن الحقيقة خلاف ذلك . فالجاهلية بالواقع هي ذلك الزمن « ما قبل الاسلام » الذي لم يكن فيه لأكثرية شعب بلاد العرب ناموس وازع ، ولا نبيٌّ مُلهم ولا كتابٌ مُنزل[1] . ولكن هذه الجاهلية لا تصل الى ثقافة وحضارة هذا الشعب[2] . إن حياة العرب في الجاهلية لبعيدة كل البعد عما يتوهمه البعض من أنهم قوم بدائيون يعيشون في معزل عن غيرهم من أمم الأرض . لقد كانوا اصحاب حضارات نشأت وتعاقبت في معين وسبأ وبين الأنباط والتدمريين وفي الحيرة والشام[3] وكذلك في مدن الحجاز وخاصة مكة محجّ العرب الجاهليين وقبلة العرب المسلمين . . صحيح أن العرب لم يبدعوا أو ينشئوا فناً عظيما خاصا بهم كما فعل اليونان والرومان والفراعنة والكلدانيون « سكان ما بين النهرين » ، ولكنهم عبروا عن غريزتهم الفنية بصورة واحدة هي « الكلام » . وقلما نجد بين أمم الأرض شعباً كالعرب ـ قديماً وحديثا ـ في شدة اعجابهم بالأدب وتأثرهم بالكلام الأنيق ، شعراً كان أم نثراً فسيطر « اللسان » واستولى على العقول والأفئدة . ومن أمثال العرب ما يؤكد هذا الكلام : « جمال المرء في فصاحة لسانه » . ولقد قالت العرب أيضاً : إن الحكمة وقعت على ثلاث : عقل الأفرنج وأيدي أهل الصين ولسان العرب[4] .

لقد كانت مزايا انسان الجاهلية تشمل الفصاحة أي المقدرة على الكلام والاجادة فيه نثراً وشعراً[5] فانقادت اللغة واحتبك الكلام معبراً عن الأفكار

---

(1) حتي 128

(2) انظر العرب في العصور القديمة للطفي عبد الوهاب يحيى ص 121 وما بعدها دار النهضة / بيروت /

(3) انظر ما كتبناه عن هذه الدول فيما سبق .

(4) حتي 133 عن الجاحظ مجموعة رسائل القاهرة .

(5) حتي 133

وجاء أنيقاً رائعاً . وجاء القرآن الكريم في لسان عربي مبين وجمع ما في اللغة من بيان رائع وما في أفكار العرب من نضوج وذكاء . ولذا كان اعجازا وحجة يتمسك به المسلمون العرب في الدفاع عن صحة القرآن .

إن الأدب العربي برز إلى الوجود بانفجار شعري ، لأن العربي وكما عرفنا لم يتفوّق في العصر الجاهلي إلا في ميدان القريض ، وفي القريض عبَّر الشاعر للملأ عن أفكاره وأفكار قومه . فجاء الشعر الجاهلي بقصائده الرائعة والتي لم يأت العرب ، على مرّ عصورهم ، بمثلها ، جاء تراثا لهم ، كما أن القرآن هو تراث الاسلام الأول والأهم .

لقد كان الشعر في العصور الجاهلية ، « عصور البطولة والفروسية » ، السبيل الوحيد للتعبير عن أفكار القوم ، كما كانت القصيدة تُعتبر الطراز الأمثل في الفنّ الشعري . وفي رأيي أن القصيدة لم تولد هكذا فجأة بل بلت بها قريحة العربي لا تسعة أشهر وحسب بل أعواما عديدة ثم انجبتها وتعهدتها بالإرضاع ، ورافقتها وهي تدب وتنمو حتى عهد الفطام ، فجاءت على هذه الصورة التي ألفناها وعرفناها .

لقد عرفنا من هذه القصائد ، التي هي وليدة أفكار الجاهليين ، المعلقات وأشهرها معلقة أمرىء القيس أمير شعراء الجاهلية [1] ، والمجمهرات ، والمنتقيات ، والمذهبات والمراثي ، والمشوبات [2] . أما الأفكار التي حوتها هذه القصائد فأشهرها الوصف والمدح والرثاء والهجاء والفخر والغزل والخمر والزهد والحكمة .

---

(1) نفس المصدر136

(2) جمهرة أشعار العرب (دار بيروت)

لقد كان لأشعار العرب ولا يزال ، قيمة عظيمة ، فهي من أهم وثائق تاريخ تلك الأعصر ، لأنها تجمع لنا من المعارف ما يجعلنا نسميها بحق « ديوان العرب » . إنها المرآة التي تعكس لنا أحوال الجزيرة الطبيعية وجغرافيتها ، وأحوال العرب الاجتماعية والعقلية باسطةً لنا أخلاقهم وأنسابهم ومآثرهم وأيامهم ، كما نرى في هذه المرآة لباسهم وحليّهم وأزياءهم ومأكلهم ومشربهم ، والمناحي الدينية لهم وطرق عبادتهم ، وما ألموا به من علوم ومعارف وصناعات مما سنوضحه فيما بعد .

3 ـ التراث الاجتماعي : (الحالة الاجتماعية)

تحدثنا فيما سبق وباقتضاب عن الوجه الديني والفكري لعرب شبه الجزيرة . فماذا عسانا نتحدث عن الحالة الاجتماعية ؟

تُعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب زمن الجاهلية ، وأبناؤها ينتمون الى أصل واحد تربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة . ورابطة العصبية تدعو إلى نصرة الفرد لقبيلته ظالمة كانت أم مظلومة . وأكثر ما تقوم العصبية على النسب . يقول ابن خلدون[1] :

« وأما حِلَلُهم فإنما يذود عنها من خارج حامية الحيِّ من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم . ولا يصدق دفاعهم وذيادهُم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسبٍ واحد . . »

والعصبية عند العرب نوعان : عصبية الدم . وهي تجمع القبيلة برباط وثيق كما لو كان أبناؤها أفراد أسرة واحدة . وعصبية الانتماء إلى أب بعيد أو جد

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص128 دار القلم بيروت .

مشترك . وهذا ما يجمع قبائل متعددة تنتمي الى هذا الجد وهذا ما نلمسه في العهود المتأخرة للجاهلية وعند ظهور الاسلام وبعده فقد استعان معاوية بالعرب اليمانيين لتوطيد حكمه [1] . لقد كان أفراد القبيلة جميعاً يضعون أنفسهم في خدمتها والحفاظ على حقوقها وخاصة حق الأخذ بالثأر ، وكانت القبيلة حياة الفرد وكيانه فقدّسها وسيطرت عصبيتها على نفسه دونما أيّ شيء آخر . وقد يتسامح العربي في دينه أما عصبية قبيلته فلا . يقول دُريد بن الصِمَّة [2] :

وما أنا إلا من غزيَّة إن غوَتْ غويتُ وإن تُرشد غزيَّة أرشد

فلا يهمُّ هذا الشاعر ، الذي يصور حالته وهي بالطبع حالة جميع أبناء القبيلة،لأن الشاعر لسان القوم ، لا يهمه إن ضلت أو رشدت قبيلته فهو منها وإليها وكانت القبيلة من جانبها ، وهي كدولة صغيرة تنطبق عليها مقومات الدولة في عصرنا الحديث باستثناء الأرض عند أهل الوبر ، أما الحضر فربما كانت لهم أرض وحدود يدافعون عنها دفاعهم عن أنفسهم ، كانت القبيلة تعطي لأبنائها ما يعطونها من حقوق وواجبات ، تنصرهم في الملمات ظالمين كانوا أو مظلومين ، وحسب أحدهم الاستغاثة فإذا السيوف مُشرَّعة وإذا الدماء تتصبب . ولهذا كانت روح المساواة في هذه الحقوق أساساً يقوم عليه المجتمع القبلي .

أما شيخ القبيلة الأكبر ، فكان يسمى بالرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيِّد وكان يختار من أشرف رجال القبيلة ، وأكثرهم مالاً ، وأكبرهم سناً ،

---

(1) حتي 255

(2) الأصمعيات . دار المعارف ص 122

وأعظمهم نفوذا . ومن الضروريِ أن تتوافر فيه صفات السخاء والبيان والحلم والحنكة والحكمة والشجاعة ، فرُبَّ هفوة صغيرة منه تسبب كارثة ، وغالباً ما .. يرث سيادته عن آبائه ، ولكن هذا ليس بشرط . وقد أشار عامر بن الطفيل أحد سادات بني عامر إلى هذا المعنى :

وإني وإن كنت ابن سيِّد عامر ... وفي السرِّ منها والصريح المهذَّب
فما سوَّدتني عامرٌ عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمقنب[1]

وقال آخر :

لسنا وإن كرمت أوائلنا ... يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ،ونفعل كالذي فعلوا[2]

أما الذي يرث سيادته عن آبائه ويجب أن يتحلى بالصفات التي ذكرناها وبغيرها كدفع الديات والنجدة وحفظ الجوار فيشير إليها معاوية سيد بني كلاب بقوله[3] :

إني امرؤٌ من عُصبة مشهورة ... حُشُدٍ لهم مجدٌ أشمُّ تليدُ
ألفوا أباهم سيِّدا وأعانهم ... كرمٌ وأعمامٌ لهم وجدود
إذ كلُّ حي نابت بأرومة ... نبْت العِضاهِ فماجدٌ وكسيدُ
نعطي العشيرة حقَّها وحقيقها ... فيها ونغفر ذنبها ونسودُ
وإذا تحمَّلْنا العشيرةُ ثقْلها ... قمنا به وإذا تعود نعودُ

(1) المسعودي : مروج الذهب2 / 29 دار الأندلس بيروت .
(2) نفس المصدر .
(3) المفضليات قصيدة رقم104 ص355

وإذا نوافـــق جُرأة أو نجدة كنـا ، سُمـــيٌ ، بهـــا العـــدوُ نكيدُ
بل لا نقـــولُ إذا تبـــوأ جيرةً إنَّ المحلَّـةَ شِعْبُهــا مكدودُ[1]

ولقد كانت القبيلة ، زمن الجاهلية ، تتألف من ثلاث فئات : أبناؤها وهم عمادها وقوامها ، والعبيد وهم رقيقها وعمالها في خدمة المنازل والرعي وأكثرهم سود اللون لاستيرادهـم من الحبشـة ، وكان بعضهـم أبنـاء لأبنـاء القبيلة ، ولكن من الإماء وليس من الحرّات الأزواج الحقيقيات . وهـذا ما نجده في عنترة العبسي ابن زبيبة السبية الحبشية[2] الذي قال له شداد عند الغارة على قبيلة « بني عبس » ، « كريا عنترة » ، فيجيب : « العبد لا يحسن الكرّ بل يحسن الحلاب والصرّ[3] » فيجيب شداد : كر وأنت حر . والموالى : وهم عتقاؤها الذين كانوا عبيداً ويدخل في جملة الموالي الخلعاء الذين تتخلى عنهم قبائلهم فيلتجئـون الى قبائـل تحتضنهـم . ومـن هؤلاء الخلعـاء الصعـاليك المشهورون في أدب الجاهلية منهم الشعراء : تأبط شراً والسُّلَيْك بن السلكة والشَّنْفَري الذي نشتم من شعره أنه كان يماطل الجوع ويستفّ التراب حتى لا تظهر عليه آثاره فيشمت به أفراد الفئات الأخرى فيقول :

أديمُ مطـــال الجـــوع حتـــى أميتَه ، وأضرب عنه الذكر صفحـاً ، فأذهل
وأســـتفُّ ترب الأرض كي لا يُرى له عليَّ ، من الطَّـوْل ، امـــرؤٌ مُتطوِّل[4]

هذا عن تكوين القبيلة ، أما عن صفات أبنائها فأول ما يطالعنا في هذا

---

(1) العضاة : شجر ضخم من أشجار البادية ـ الماجد : ذو المجد .
الكسيد : الدون . الثقل : الخرم والدية . سميٌ : سمية . مكدود : في ضيق وشدة .

(2) الديوان ـ مكتبة كرم دمشق . المقدمة .

(3) نفس المصدر .

(4) العرب في العصور القديمة : يحيى ، ص 377 دار النهضة / بيروت /

المجال إيثارهم القوة والبغي واستطابة الموت وهذا ما يعبر عنه عمرو بن كلثوم بقوله :

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقرَّ الذلَّ فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمينا وما ظلمنا ... ولكنا سنبدأ ظالمينا [1]

ويقول زهير بن أبي سلمى :

ومن لا يذدْ عن حوضه بسلاحه ... يهدَّم ومن لا يَظلم الناس يُظلم [2]

ويقول السموأل بن عادياء :

وإنا لقوم ما نرى القتل سُبّة ... إذا ما رأته عامرٌ وسلول
يقرب حبُّ الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهُم فتطول
وما مات منا سيّدٌ حتف أنفه ... ولا طلَّ منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل [3]

ولقد كانت القبيلة على استعداد دائم للقتال وذلك حباً في البقاء . فالحرب بين القبائل هي شبه دائمة يسببها الغزو والنجدة والخلاف على المرعى وغير ذلك وكانت النساء تشاركن الرجال في الحرب لبعث الحمية والحماسة في قلوب الرجال أو لحمل الماء للمقاتلين أو لاسعاف الجرحى وقد أشار الى ذلك عمرو ابن كلثوم .

---

(1) المعلقات العشر « معلقة عمرو بن كلثوم »
(2) شرح المعلقات السبع « للروزني » 121 دار الجيل .
(3) ديوان السموأل ص 91 صادر

على آثارنـــا بيض حسان نحـــاذر أن تقســـم أو تهونا
أخـــذن على بعولتهـــن عهداً إذا لاقـــوا كتائـــب معلمينا
ليستلبـــن أفراســـاً وبيضا وأسرى في الحـــديد مُقرَّنينا
يقتـــن جيادنـــا ويقلن لستم بعولتنـــا إذا لم تمنعونا (1)

وما دمنا في ذكر الحرب والقتال فلا بُدَّ لنـا من ذكر أدوات العـرب في حروبهم وما استعملوه لذلك واشتهروا به .

السيوف : ومنها المشرفية والهندية يقول عنترة (2) :

وتطربنـــي سيوف الهنـــد حتى أهيم الى مضاربهـــا اشتياقا

الرماح : وأجودها اليزنية (نسبة الى ذي يزن) والخطية والردينية يقول عنترة (3) :

إذا خصمـــي تقاضانـــي بديني قضيت الـــدين بالرمـــح الرديني

ومنها القسي والسهام والدروع والمجن « الترس » والمنجنيق والعـرادة « آلتان لرمي الحجارة » .

لقد كان من العرب فريق ينعم بالثراء ، وفـريق يعانـي مرارة الفقـر والبؤس ، أما الأغنياء فهـم الأسياد والملوك والتجار والمزارعون (في أطـراف اليمن والحيرة) . ولكنهـم كانوا قلة إذا ما قيسوا بمجموع السكان . والنابغة الذبياني خير من صوّر ترف الغساسنة إذ يقول :

---

(1) شرح المعلقات السبع « للزوزني »185 دار الجيل .
(2) ديوان عنترة . ص121 مكتبة كرم / دمشق /
(3) نفس المصدر ص171

رقـــاق النعـــال طيّـب حجزاتهم يُحيون بالريحـــان يوم السباسب[1]
تحييهـــم بيض الولائــد بينهم وأكسية الإضــريج فوق المشاجب .

والخنساء الشاعرة الجاهلية تصف ثياب قومها في السلم فتقول :

ونلبس في الحـــرب سرد الحديد وفي السلــم خزا وعصبـــا وقزا[2]

أما الفقراء فهم سواد العرب ، وعروة بن الورد ، الشاعر المتصعلك يحس بازدراء الناس لفقره ويشعر بالحرمان والفاقة وتفرق النـاس من حولـه فيكون لسان أمثاله بقوله :

ذرينـــي للغنـــى أسعـــى فإني رأيت النـــاس شرُهـــم الفقير
وأهونهـــم وأحقرهـــم لديهم وإن أمسى له نســـب وخير[3]

ونعود الى صفات العرب وقد تفننوا بالكرم والسخاء إما لأنهم مفطورون على ذلك أو أنه العكس أو ربما كانت الأكثرية الساحقة بحاجة الى من يمد يد العون لها أو ربما اعتبروا الكرم مما يرفع منزلة الرجل ويوصله الى السيادة فيحتفون بالضيف ويكرمون الأرامل واليتامى ويتباهون بكثرة الأضياف ويسعون لاجتلابهم بايقاد النيران في الليالي الظالمة وعندما يشتد البرد . وممن اشتهر بالجود والكرم وضرُب به المثل في السخاء حاتم الطائي الذي كان يعتبر بأنه عبد للضيف بقوله :

وإنـــي لعبـــد الضيفِ ما دام ثاويا ومــا فيَّ إلا تلك من شيمـــة العبدِ[4]

---

(1) الديوان ص12
(2) ديوان الخنساء ص66 . المكتبة الثقافية بيروت
(3) الديوان ص45 صادر بيروت
(4) ديوان حاتم ص44 دار بيروت

وتقول الخنساء في أخيها صخر :

وإن صخـــرا لوالينـــا وسيدنا   وإن صخـــراً إذا نشتـــو لنحّـارُ(1)

كما تقول دالة على إيقاد النار :

وإن صخـــرا لتأتـــم الهـــداة به   كأنـــه علـــم في رأســـه نارُ(2)

وعن إيقاد النار لاستجلاب الضيوف يقول حاتم لأحد عبيده وهو يعده بالعتق إذا جلب ضيفاً :

أوقـــد فأن الليل ليل قمر   والـــريح يا واقـــد ريح صرّ

علَّ يرى نارك من يمر   إن جلبـــت ضيفـــا فأنـــت حرْ(3)

ويقول مضرس بن ربعي منوّهاً باستجـلاب الضيوف أبّـان الصـقيع والبرد :

وإني لأدعـــو الضيف بالضـــوء بعدما   كسى الأرض نضّـــاح الجليد وجامده

أبيت أعشيه الســـديف وإنني   بمـــا نال حتـــى يتـــرك الحـــيُّ حامده(4)

أمـا الشجاعـة فقـد كان المكان الأول عنـد العـرب للفـارس المقاتـل وللشجاع الباسل ، أما حياة الخمول ، والتي أطلقوها على الصناع والتجـار والزراع ، فهي للسوقة . إن الأعشى يعيّـر إيادا بأنهم زراع بقوله :

---

(1) ديوان الخنساء: ص44

(2) نفس المصدر ص44

(3) ديوان حاتم الطائي . ص59 / دار بيروت / 1974

(4) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، عبد العزيز سالم ، دار النهضه ص442 عن الألوسي 1 / 63

لسنـــا كمـــن جعلـــت إيادُ دارَها   تكريت تنظـــر حَبَّـهـــا أن يُحصدا
جعـــلَ الإلـــهُ طعامنـــا في مالِنا   رزقـــا تضمَّـنـــه لنـــا لن ينفدا
مثـــل الهضـــاب جزارة لسيوفنا   فإذا تُراع فإنهـــا لن تُطردا (1)
فلعمـــرُ جدِّك لو رأيتَ مُقامنا   لرأيت منـــا منظـــرا ومؤيَّـــدا
وتـــرى الجياد الجُـــرْد حول بيوتنا   موقوفـــة .وتـــرى الـــوشيج مُسنَّـــدا

والعفة وإن كان قد وُجد في الجاهلية من انغمس في الملذات وتغزَّل في النساء غزلا إن البراءة منه براء كطرفة بن العبد وأمثاله الذي يقول :

ومـــا زال تشرابـــي الخمـــور ولذّتي   وبيْعي وإنفاقـــي طريفـــي ومتلدي
ولـــولا ثلاث هن من عيشـــة الفتى   وجـــدِّك لم أحفـــل متـــى قام عُوَّدي
فمنهـــن سبـــقُ العـــاذلات بشرْبة   كُميت متـــى ما تُعـــل بالماء تُزْبدِ
وتقصيرُ يوم الدّجْن والدّجْـنُ معجب   ببهكنـــة تحـــت الخِبـــاء المعمَّـــد (2)

فقد كان من العرب من اتّـصف بالعفة وغض النظر عن نساء غيره وافتخر العرب وفاخروا بالعفة كما يقول عنترة :

واغضُ طرفي إن بدت لي جارتي   حتـــى يوارى جارتـــي مأواها (3)

الوفاء : إن العرب عُرفوا بوفائهم للعهود وكُرْههم للنكث بها والغدر . وقصة وفاء السموأل لأدرع امرىء القيس الشاعر و « الملك الطريد » لا تزال تُضرب بها الأمثال حتى عصرنا الحاضر . وقد أبى السموأل تسليم الحارث الغساني دروع الكندي فقتل الحارث هذا ابـن السمـوأل على مرأى من أبيه

---

(1) ديوان الأعشى ص220 الشركة اللبنانية للكتاب بيروت
(2) شرح المعلقات السبع للزوزني « معلقة طرفة دار الجيل / وديوان طرفة ص31 وما بعد . المؤسسة العربية / بيروت
(3) ديوان عنترة184 مكتبة كرم (دمشق)

ولكن دون جدوى وقد قال السموأل في ذلك :

وفيتُ بأدرع الكنـدي إني إذا ما خان أقـوام وفيتُ[1]

وكذلك قصة وفاء هانيء بن مسعود الشيباني لودائع النعمان والتي أدت الى قيام حرب ذي قار بين العرب والفرس[2] . كما ضرب المثل بوفاء حنظلة بن عفراء الذي مرَّ على المنذر بن امرىء القيس ملك الحيرة في يوم بؤسه فحكم عليه بالموت وكفله شريك بن عمرو ليذهب ويودِّع أهله ومن ثم يعود[3] . . .

إننا وقد بينا بعد صفات المجتمع العربي في عصر الجاهلية . يجدر بنا وقبل ختامة هذا الفصل من أن نتعرض للمرأة ومكانتها ودورها الاجتماعي إذ ذاك ومن ثم نعرج على الأحوال الحياتية وطرق معيشة الجاهليين .

كان العربي في الجاهلية يتزوج أكثر من امرأة ، إما لشهوة وسعيا وراء هوى جنسي أو لسبب سياسي بأن يصهر لعدد من القبائل لجمع الشمل وإما لاكثار الذرية فيزداد بها قوة ومنعة . وقد عرفوا زواج الصـداق[4] ، وزواج المتعة[5] ، وزواج السبي[6] ، وزواج الاماء[7] وزواج المقت[8] . وكان عرب الجاهلية يطلقون نساءهم ثلاثاً على التفرقة ، أو على الخلع . وعلى المطلقة أن تنتظر حولاً كاملاً قبل أن تتزوج آخر . لقد آثر الجاهلي انجـاب البنـين على

---

(1) ديوان السموأل ص 80 صادر

(2) تاريخ العرب في العصر الجاهلي « سالم »445 دار النهضة « بيروت »

(3) معجم البلدان « لياقوت » مادة غريان 4 / 199

(4) هو تقديم الخطيب صداقا محددا .

(5) تزويج المرأة الى اجل بدفع صداق معين والأولاد ينتسبون الى والدهم . جواد علي 5 / 254

(6) يتزوج الرجل احدى مسبياته دون صداق .

(7) يتزوج أمته وأبناؤه عبيد .

(8) كان يتزوج المرء زوجة أبيه للاستيلاء على الميراث .

البنات بل إن عددا كبيراً من المجتمع كان يكره البنات . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك[1] .

وقد بالغ بعض الناس في كرههم للبنات الى حدّ وأدهن (أي دفنهن وهن أحياء) [2] . ومع هذا فقد كان كثير منهم يعطفون على بناتهم لحنوهن على الأهل . يقول معن بن أوس الشاعر :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى عوانـد لا يمللنه ونوائح [3]

كما لعبت المرأة الجاهلية دورا هاما في الحياة الاجتماعية ، في السلم والحرب ، بحيث لم يجد بعض الملوك بأسا من الانتساب الى أمهاتهم كالمنذر بن ماء السماء [4] ملك الحيرة ، وعمرو بن هند الذي يقول فيه عمرو بن كلثوم :

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا [5]

والمرأة في السلم تقضي وقتها في مساعدة زوجها في المنزل وخارجه . أما في الحرب فكانت تصحب الرجال لمداواة الجرحى ، وسقي المقاتلين ، وأحياناً تشارك في القتال [6] .

---

(1) النحل 16: 58- 59 الزخرف 43 :17
(2) راجع المرأة في التاريخ العربي د . ليلى صبّاغ ص 51- 82- 85- 180- 181- 230
(3) الأغاني 10 / 165
(4) ماء السماء : لقب لأمه مارية بنت عوف
(5) نفس المصدر ص 452 الهامش
(6) شوقي ضيف ـ العصر الجاهلي . ص 72 وما بعدها .

أما الأحوال الحياتية فلم يكن العرب في الجاهلية يعيشون على نمط واحد . فقد عُرفت الزراعة في الجنوب (اليمن) وواحات الحجاز (يثرب ، خيبر) وفي الطائف ووادي القُرى كما عُرفت التجارة وقد كانت قوافل مكة تجوب الصحراء شمالاً وجنوباً وشرقاً ، إلى جانب الأسواق في عكاظ وذو المجاز ودومة الجندل وخيبر والحيرة والحجْر باليمامة وسوق الشّحر وحضرموت وصنعاء وعدن وغيرها[1] التي كانت أشبه بمؤتمرات للعرب يبيعون فيها ويشترون وينظرون في الخصومات والمنازعات يتفاخرون ويتنافرون ويتسابق اليها الشعراء والخطباء[2] . أما القبائل الرحّل فقد اعتمدوا حياة الرعي والترحال سعياً وراء الكلأ والماء فاعتادوا الحرّية وتغنوا بها واحتقروا ما سواها وأحبوا الصحراء والفيافي وآنسوا الوحش واستأنسوه كما يقول الاحيمر السعدي :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوّت إنسان فكدت أطيرُ[3]

لقد كانت حياة الصحراء قاسية مخوفة مما عوّدهم احتمال الشدائد والجرأة والشجاعة وإن لم تحمي القبيلة نفسها وتذود عن وجودها تخطفتها القبائل وأفنتها ، وقد أعانهم البعير الذي يتحمل مثلهم هذه المشاق . فأشادوا به في شعرهم وكثيراً ما وصفوا معه الحيوانات التي يصادفونها في ترحالهم الدائم كبقر الوحش والثور والنعام والظباء[4] وهم على صهوة الجواد يطاردون الوحش لصيدها . يقول امرؤ القيس :

---

(1) سعيد الأفغاني أسواق العرب . ص194 وما بعدها دار الفكر . بيروت1974

(2) نفس المصدر

(3) الشعر والشعراء في العصر الجاهلي ص19 مصطفى الشكعة . دار القلم

(4) انظر معلقة امرىء القيس ولامية زهير .

وقــد اغتــدي والطــيرُ في وُكُناتها   بمنجَــرد قيد الأوابِـدِ هيكلِ
كأن دمــاء الهــاديات بنحرهِ   عُصــارةُ حنّـاء بشيب مُرَجَّـل[1]

ولقد تقيَّد الجاهليون بعرفهم وعاداتهم تقيداً شديداً . والعرف عندهم هو ما استقرَّ وثبت في أذهانهم حتى صار في حكم الـدين ومن خلال هذا العرف يعرفون الحرام والحلال والمباح والمحرَّم . ولقد كانت أحكام أسيادهم هي التشريع والافتاء والحق ديناً ودنيا . ومن قبيل أعرافهـم احتـرام العقـود والعهود ، مثل احترام الأشهر الحرم ومراعاة حرمة أماكن العبادة[2] .

وأخيراً وليس آخراً إن كل نظام يمكن أن يوصف بأنه نظـام سياسي أو اجتماعي على المعنى الذي نفهمه نحن اليوم ربما كان مجهولاً آنذاك في ربـوع تهامة والحجاز ونجد . وإن قارب أو شابه ما نحن عليه اليوم من نظم اجتماعية فأقل ما يوجد في الممالك التي نشأت على أرض العربَ[3] . لقـد كان أهـل الجاهلية في أكثرهم أهل بادية لا يعرفون الا الارتحال والنقلة إرضـاء لهـوى نفوسهم ألا وهو الحرية الكاملة للفرد ، فلا يقيمون على ضيم يُراد بهم يدفعونه ما استطاعوا وعند كللِهم يتخلون عن مواطنهم حفاظـاً على قواعـد الكرامـة والشرف . وهكذا نراهم وقد نجمت عند أكثرهم خلال الـكرم والشجاعـة والنجدة وحماية الجار والعفو عند المقدرة . وهذه الخلال تقوى عند الجاهليين كلما اقتربنا من أهل البادية وتضعف كلما أوغلنا في حياة الحضر .

---

(1) معلقة امرىء القيس .
(2) ج . علي 6 / 225
(3) ذكرناها سابقا .

الباب الثاني

عبدة الله

الفصل الأول :

1 ـ تعريف الدين

الدين ايمان وعمل : إيمان بوجود قوى خارقة فوق طبيعة البشر العقلية ، ولهذه القوى تأثير في مجرى حياة الانسان . وعمل ،في أداء فرائض وشعائر وطقوس معيّنة ، تفرضها الأديان السماوية ، والأرضية (لعبادة الأصنام والأوثان) لاسترضاء الآلهة(1) . والايمان قبل العمل . وحتى تقوم بعمل ما فرضته عليك الأديان ، لا بد وأن تكون مؤمناً وقبل القيام بهذا العمل ، كل الأيمان بوجود إله انصرفت إليه ذاتُك ، واعتبرته حامياً لك قديراً عليك يُسأل فيُجيب ويُنادى فيلبي . فالعمل تابع لهذا الايمان وهو حصيلة مؤثراته في النفس الانسانية .

والدِّين كما جاء في اللسان(2) هو الطاعة . ومن الدين جاءت لفظة ديَّان . وهي من أسماء الله عزَّ وجل ، ومعناها الحكَم والقاضي والقهّار وفي ذلك يقول « ذي الاصبع العدواني »(3) :

لاهِ ابنُ عمّك ، لا أفضلت في حسبٍ ... فينا ، ولا أنتَ ديّاني فتخزوني

ويومُ الدين هو يوم الجزاء ، أي يوم الحساب وفي المثل : كما تَدين تُدان

---

(1) ج . علي 6 / 28

(2) لسان العرب 13:166 صادر مادة (دين) .

(3) نفس المصدر .

أي كما تجازي تُجازى . يقول خويلد بن نوفل الكلابي للحرث الغسَّاني عندما اغتصبه ابنتَه :

يا أيُّها الملِكُ المخوفُ ، أما ترى ليلا وصُبحا كيف يختلفانِ ؟
يا حارِ ، أيْقِنْ أنَّ ملكك زائلٌ واعلمْ بأنْ كما تدينُ تُدانُ[1]

و« دان » اسم عبري يعني « قاض »[2] . و« دان » خامس أبناء يعقوب من زوجته بلهة[3] وقد تنبأ يعقوب بشأنه قائلاً : « دان يدين شعبه كأحد اسباط اسرائيل »[4] . فالدين إذا هو الطاعة والخضوع لحكم حاكم « قاض » ومُجازٍ يفرض الجزاء في يوم الحساب . وفي معنى الطاعة يقول عمرو بن كلثوم :

وأياما لنا غُرّاً كراماً عَصَيْنا الملْك فيها أن نَدِينا[5]

وقد يأتي الدين بمعنى الجزاء وهذا ما قصد إليه الكتاب المقدس بقوله :
لا تَدينوا لكي لا تُدانوا . لأنكم بالدينونة التي بها تَدينون تُدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكُم . . الخ[6]

وورد أيضاً في الكتاب المقدس : وأما على دينونة فلأنَّ رئيسَ هذا العالم قد دينَ[7] .

---

(1) نفس المصدر
(2) قاموس الكتاب المقدس356
(3) تك30 :6
(4) تك49 :16
(5) اللسان13 / 169 مادة (د ي ن)
(6) انجيل متى : 7 :1 وما بعدها .
(7) انجيل يوحنا16 :11

وقد يأتي الدين بمعنى الحساب كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين**[1] . **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين**[2] . **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين**[3] **وما أدراك ما يوم الدين**[4] . . .﴾ الخ . . . .[5]

فالدين إذن علاقة بين الانسان ومعبوده فهو فعل (عبادة) ناتجة عن إيمان بعد قناعة ، أو ايمان مطلق فيه تسليم بما هو خارج عن نطاق العقل البشري وإدراكه ، وعن عمل ملموس ، هو نتيجة هذا الايمان . والعمل يكون بالممارسات الانسانية من صلاة وصوم وتقديم ذبائح وفروض وارتداء ثياب معينة وقص شعر أو تركه والنذور وغير ذلك .

والكلام عن الدين بأنه عبادة يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم: ﴿**قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**[6] . . . **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾[7].

ومع ما جاء في قول أمية بن أبي الصلت :

كل دين يوم القيامة عند الله إلاّ دينَ الحنيفةِ زورُ[8]

وقد عرف الدين علماء كثيرون وأعطوه تعريفات شتى[9] اختلفت

---

(1) الفاتحة 1: 4
(2) الصافات 37: 20
(3) ص 38: 78
(4) الانفطار 82: 17
(5) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (د ي ن)
(6) الزمر 39: 11
(7) البينة 98: 5
(8) الملل والنحل 3: 86 مؤسسة الحلبي القاهرة .
(9) ج . علي : 6 / 5-6-7

باختلاف نظرة هؤلاء العلماء إلى الدين . ولكن مهما قيل في تعريف الدين فلكل دين شعائر تظهر في طرق العبادة تميز أتباعه عن بقية اتباع الديانات الأخرى وهذا ما سنبينه فيما بعد مستندين بمعارفنا لأديان العرب فيما قبل الاسلام بنصوص جاهلية معينية وسبئية وحضرمية وقتبانية ولحيانة وغيرها . . . ونصوص آشورية وإرمية أيضاً إلى جانب الموارد الإسلامية والنصرانية واليهودية وأشعار الجاهليين .

2 ـ معنى الجاهلية :

الجهل نقيض العِلْم ، وإذا ما لم نعرف الشيء نقول جهلْتُه[1] . وهوَ يجهل ذلك أي لا يعرفه ، والجاهلية زمن ما قبل الاسلام[2] . والمَجهل المفازة لا أعلام فيها . يقول سويد بن أبي كاهل[3] :

فركبناهـــا على مجهولها بصـــلاب الأرض فيهـــنَّ شَجَع

وقد جاء في الحديث الشريف : **إنك امرؤ فيك جاهلية** ، وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله ، وشرائع الدين والمفاخرة في الأنساب والكِبْر والتجبُّر وغير ذلك[4] .

هذا ما ورد في « لسان العرب » عن الجهل والجاهلية . وبرأيي أن العلم هو المعرفة ، والمعرفة ليست القراءة والكتابة بل هي الالمام بالشيء وادراك فحواه . وقد يكتسب الانسان المعرفة عن طريق معاشرة الناس والاختلاط بهم

---

(1) اللسان مادة (ج هـ ل) 11 :129 صادر

(2) نفس المصدر

(3) نفس المصدر

(4) نفس المصدر

وسماع اخبارهم ، كما يكتسبها عن طريق التجول من مكان إلى اخر ،ـ من أرض الى أرض ، ومن شعب الى شعب ـ وهذا هو باب المعرفة برأيي بالنسبة الى الجاهليين الأميين أي الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، بالاضافة الى من كان يقرأ منهم ويكتب . ودليلنا على تجوال العرب من مكان إلى آخر هو قول الأعشى ، الذي كان كأقرانِه ، بقيةِ شعراء الجاهلية ، لسانَ القوم يفاخر بأمجاد عشيرته وأنسابها وتاريخ بطولاتها إن داخلها أو خارجها ، فهو والحالة هذه كوزير الخارجية والاعلام والارشاد القومي والثقافة في عصرنا الحاضر . إنه يقول :

قد طُفْتُ ما بين بَانِقْيَا إلى عَدَنٍ وطال في العُجْم ترْحالي وتسياري[1]

والذي هذا حاله يطُوف في البلاد من اليمن حتى العراق ألا يتعلم شيئاً ويكتسب شيئاً ويعرف شيئاً من عادات الناس وأحوالهم وطرق عبادتهم وغير ذلك ؟ هذا إذا افترضنا أنه كان أمياً ! أي جاهلاً ! ومن كان جاهلاً لا يعرف التاريخ وقد كان أكثر العرب يعرفه ومن التاريخ يستخرجون الأنساب يقول عنترة :

يُقدِمُه فتىً من خيرِ عبسٍ أبوه ، وأمُّه من آلِ حام
عجوزٌ من بني حامِ بنِ نوحٍ كأن جبينها حجرُ المُقام[2]

وعنترة الذي يباهي بأبيه أنه من خير عبس ربما نوى وقصد أنه من خير

---

(1) بانقيا : ناحية في العراق . عدن : مرفأ مشهور في اليمن الديوان ص69 المؤسسة العربيه للنشر / بيروت /

(2) الديوان 157 مكتبة كرم (بدمشق) . حجر المقام : ربما قصد به الحجر الأسود بالبيت الحرام وقد كانت كل العرب تعرفه .

بني سام لأنه يقارن بالمقابل بأمه التي هي من آل حام . وكلا النسبين يعودان الى نوح النبي ، الى جانب معرفته بلون أبناء حام حيث يقول أيضاً : وهو يذكر طيف عبلة ابنة عمّه :

وإن عابَتْ سوادي فهو فخري   لأني فارسٌ من نسلِ حام [1]

إنه يفتخر بسواده الذي هو لون أبناء حام وإن عابته عليه ابنة عمه ذات البشرة البيضاء .

وعنترة العبد ابن الأمة راعي البهم الذي لا يعرف « إلا الحلب والصر »[2] الجاهل لأمور الدنيا كيف يعرف ساماً وحاماً والاسكندر دون أن يقرأ أو يكتب ؟ وهو الذي يقول :

أيا عزَّنا لا عزَّ في الناس مثله   على عهد ذي القرنين لن يتهدما [3]

لا شك أنه دخل نادي القوم واستمع الى العارفين منهم أو أنه جاب الأصقاع واجتمع بالناس واستحوذ على ما عندهم من المعارف .

ونادي القوم هذا يذكره الأعشى بقوله :

وغرَّ بني سعدُ بنُ قيسٍ عن العُلى   وأحسابهم يوم الندى والتكرُّم [4]

ففي هذا النادي وكما يقول الأعشى يجعل سعدُ بن قيس الشاعر غريباً في حسبه ونسبه مما يفسِّر لنا أن العرب كانوا يجتمعون في مجالس معيَّنة يتذاكرون فيها الأحساب والأنساب يصلون البعض ويقطعون البعض الآخر .

---

(1) نفس المصدر 168

(2) نفس المصدر ص 6

(3) نفس المصدر ص 166

(4) الديوان ص 183 المؤسسة العربية . يوم الندى : أي يوم اجتماع القوم وحضورهم النادي .

وكما يذكر الأعشى النادي حيث يلتقي النـاس نراه يغـوص إلى أعماق التاريخ ليستخلص الدروس والعبر فيعبّـر عما يجيش في صدره من إيمان بالموت الذي لا يقف بوجهه حاجز فهو سيقتلع المرء لا محالة بقوله[1] :

وكسرى شهنشـاهُ الـــذي سار ملكُه ... له ما اشتهـــى راحٌ عتيقٌ وزنبقُ
ولا عاديا لم يمنـــعِ الموتَ مالُه ، ... ووردٌ بتيماءَ اليهـــوديّ أبلقُ
بنـــاهُ سليمانُ بنُ داود حِقْبة ، ... له أزجٌ عالٍ وَطـــيٌّ مُوثَّـقُ
ولا الملكُ النعمانُ يوم لقيتَه ... بإمَّــتِهِ يُعطـي القُطُــوطَ ويأفِقُ[2]

فالأعشى لا يذكر كسرى وعـاديا وسـليمان وداود والنعمان عن عفـوية وسذاجة أو عن جهل وغباوة بل لا بُدَّ أنه كان يعرف أخبار من يسمي . ومن هذا القليل الذي ذكرناه نستنتج أن عرب ما قبل الاسلام لم يكونوا ، غالبيتهم على ما نرجّـح ، جاهليين بمعنى جهلة معرفة . ومن الخطأ أن ننعتهم بالجهل والهمجية وقد أمتازوا ، وخاصة عرب الجنوب ، بثقافة وحضـارة حاكت في تقدمها حضارات العالم القـديم مصر وبابـل وذلك قبـل الاسـلام بقـرون طويلة[3] .

إن أكثر الباحثين ذهبوا في قولهـم الى أن الجـاهلية هي « عصر الجهـل والهمجية »[4] ويعرّفها فيليب حتي بقوله : « **فالجاهلية بالمعنى الصحيح هي ذلك العصر الذي لم يكن لبلاد العرب فيه ناموس وازع ، ولا نبيٌّ مُلهم ولا**

---

(1) نفس المصدر 116

(2) شهنشاه : كلمة فارسية « ملك الملوك » ورد : حصـن . الأبلـق : اسـم الحصـن . أزج : البنـاء المستطيل . الطيّ : البناء بالحجارة . إمّته : النعمة ، السنّة . القطوط : النصيب . يأفق : يعطي بعضاً أكثر من بعض .

(3) انظر ما كتبناه سابقاً عن دول العرب

(4) حتي ص 128

كتاب مُنزل »(1) ومن هذا القول نستخلص أن حتي يصفهم بأنهم جهلة دين وهذا ما لا نوافقه فيه . لأن شرائع موسى تسلمها من ربِّه على طور سيناء وسيناء كما عهدناها سابقاً هي جزء من بلاد العرب. وأتباع موسى كانوا كثيرين في الجزيرة العربية(2) . والسيد المسيح ولد في فلسطين وأتمَّ رسالته فيها وقد رأينا سابقاً(3) أن قبائل عربية كثيرة كانت تقيم فيها وحواليها . وإذا عدنا إلى التاريخ القديم إلى ما قبل موسى والمسيح ، نرى ابراهيم الخليل أول من وحّد الله ونبذ عبادة الأوثان وقد هاجر من « أور الكلدان » وحط رحاله في حاران ومن ثم اتجه جنوباً وقد عزا الرواة بناء الكعبة (أول بيتٍ لله على وجه الأرض) إليه . كما قالوا أيضاً أن ابنه اسماعيل أول من نطق بالضاد وهو أبو العرب جميعاً(4) . إذن فإن نظرتنا الى الجاهلية تختلف عن نظرة « حتي » فالجاهلية ليست جهلاً وهمجية والجهل ضد العلم ونقيضه(5) وليست الضلال بعينه . إن المسعودي يقول : « كانت العرب في جاهليتهم فرقاً : منهم الموحِّد المقرّ بخالقه ، المصدق بالبعث والنشور . . . . ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية كقس بن ساعدة الايادي ورثاب الشني ، وبحير الراهب »(6) . ويذكر ابن قتيبة اسماء أخرى كانت على دين الله منها : زيد بن نفيل وأبو قيس من بني النجار الذي ترهّب ولبس المسوح وخالد بن سنان وأمية بن أبي الصلت الذي قرأ الكتب وابتعد عن عبادة الأوثان . وكان يخبر بأن نبياً

---

(1) نفس المصدر .

(2) انظر سابقاً « صلة قدامى العرب باليهود » .

(3) انظر سابقاً « صلة قدامى العرب بالنصارى »

(4) انظر سابقاً « صلة قدامى العرب باليهود .

(5) مادة جاهلية دائرة المعارف الاسلامية .

(6) تاريخ الكعبة 122 دار الجيل .

سيُبعث[1] . وأمية بن أبي الصلت يشير الى إيمانه بقوله :

كل دين يوم القيامة عند اللـه إلا دين الحنيفة زورُ[2]

إن الجاهلية ليست الضلال لأن الضلال شرٌ والشرُّ نقيض الخير والشاعر الجاهلي عَبيد بن الأبرص يدعونا الى الخير ، والخير من الله ، مبشراً بديمومته إذ يقول :

الخير يبقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ[3]

وهو أيضاً يقربنا بشعره من قول السيد المسيح « قريبك من صنع معك الرحمة »[4] بقوله :

قد يُوصل النازحُ النائي وقد يُقطع ذو السُهْمةِ القريبُ[5]

إن لفظة الجاهلية قد وردت في القرآن الكريم أربع مرات[6] ففي سورة الفتح مثلاً :﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾. وجاء في الكتاب المقدس : « فالله الآن يأمُر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمنة الجهل »[7] .

---

(1) تاريخ الكعبة ص123 = الخربوطليُ دار الجيل . المعارف ـ ابن قتيبة ص58 وما بعدها ـ دار المعارف .

(2) الملل والنحل ج3 ص86 مؤسسة الحلبي القاهرة

(3) الديوان ص49 تحقيق حسين نصار الطبعة الأولى1957 مكتبة البابي بمصر . وأوعيت : حفظت في الوعاء .

(4) انجيل لوقا10 :37

(5) الديوان ص26 دار بيروت1979

(6) آل عمران آية154 . المائدة50 . الأحزاب : 33 الفتح 26 .

(7) أعمال الرسل17 :30

إذن نفهم من كل ما تقدّم ونرجّح أن الجاهلية اشتُقّت من الجهل الذي يعني : السفه والطيش والغضب والنزق . فالعربي يغضب ولأتفه الأسباب ولا تزال هذه الصفة تلازمه حتى يومنا هذا تنم عن أخلاق الجاهليين وقد ورد في الحديث الشريف أن الرسول قال لأبي ذرّ وقد عيّر رجلاً بأمّه : « إنك امرؤٌ فيك جاهلية »[1]

وبهذا المعنى يطالعنا عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا[2]

أي لا يسفه أحد علينا فنجازيهم بأكثر سفاهة .

يتضح لنا من هذه الأمثلة جميعاً أن الكلمة استخدمت لتدل على السفه والحمق والطيش

3 ـ كلمة عرب في معناها الاصطلاحي واللغوي :

جاء في (اللسان)[3] أن العُرْبَ والعَرَبَ : جيلٌ من الناس معروف . والعاربة والعرباء : هم الخُلّص منهم والصُّرحاء . والمتعرِّبة والمستَعْرِبة . هم الدخلاء . والأعراب والأعاريب البدو منهم . ومن نزل البادية ، أو جاور البادين وظعن بظعنهم ، وانتوى بانتوائهم : فهم أعراب . ومن نزل الريف واستوطن القرى والمدن فهم عَرَب . وقد جاء في القرآن الكريم﴿ **قالت الأعراب آمنّا ، قلْ لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا**﴾[4] كما جاء أيضاً :

---

(1) أحمد أمين فجر الاسلام دار الكتاب العربي / بيروت / ص69 .

(2) شرح المعلقات السبع للزوزني ص178 دار الجيل

(3) لسان العرب مادة « ع ر ب »1 / 586 « صادر »

(4) الحجرات49 :14

﴿الأعراب أشدُ كفرا ونفاقاً . . .﴾[1].

كما وردت لفظة عرب في القرآن الكريم: ﴿فجعلناهن أبكاراً. عُرُباً أترابا﴾[2] و﴿نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مُبين﴾[3] .

وقد اختلف الناس في العَرَب لماذا سُمُّوا عَرَباً فقال بعضهُم : أول من نطق بلغة العرب « يَعْرب بن قحطان »[4] وهو ونسله العَرَب العاربة ، وقد نشأ اسماعيل بن ابراهيم معهم فتكلم بلسانهم واسماعيل ونسله هُم العرب المستعربة[5] . يقول الأزهري : إنهم سُموا عَرَباً باسم بلدهم العزبات . وعَرَبَةُ باحة العرب ، وباحة اسماعيل وفيها يقول الشاعر :

وعرْبــةُ أرضَ ما يُحِـلُّ حرامها ، من النـاس ، إلاَّ اللَّوْذعِيُّ الحُلاحِلُ[6]

وأنشد شاعر آخر في باحة العَرَبات :

ورُجّتْ باحــةُ العربــات رجا ، ترقْــرَقُ ، في مناكِبهــا الدماءُ[7]

والعربية هي لغتنا التي بها نتفاهم . قال قتادة : « كانت قريش تجتبي ، أي تختار ، أفضل لغات العَرَب ، حتى صارت لغتها أفضل لغات العرب وقد نزل القرآن الكريم بها[8] .

---

(1) التوبة 9: 97

(2) الواقعة 56: 37

(3) الشعراء 26: 195

(4) اللسان 1 / 587 ، صادر

(5) نفس المصدر

(6) نفس المصدر

(7) نفس المصدر

(8) نفس المصدر ص 588

إنه يُقال إلى من كان عربي اللسان فصيحهُ ، أنه رجلٌ عربي . نفهم من كل ما تقدَّم أن كلمة عَرَب كلمة شمولية فإن دلت على العاربة والعرباء فهم العرب الأصل . وإن دلّت على المستَعْرِبة فهم الدخلاء كاسماعيل مثلاً كما مرَّ أعلاه وإن عَنَتْ الأعراب فهم البدو أي القبائل سكان البادية وأهل الحل والترحال .

هذا عن معنى لفظة عرب « اصطلاحياً » . ولا ندخل في جدل العلماء عن أول من نطق بالعربية ، وقد تباينت آراؤهم في ذلك فمنهم من عزاها الى « يَعرب بن قحطان » أو الى اسماعيل بن ابراهيم[1] . فالقحطانيون يدَّعون أن جدَّهم « يعرب » هو أول من أعرب في لسانه ، ولسانه لسانُ العرب الأوَّل ومنه أخذ العدنانيون لغتهم ويأتون بشاهد من شعر حسان حيث يقول :

تعلمتـــمُ من منطـــق الشيخ يَعْرُب	**أبينــا ، فصرتــم معربــين ذوي نفر**
وكنتــم قديــاً ما بكم غــير عجمة	**كلام ، وكنتــم كالبهائــم في القفر[2]**

وفي رأيي أننا سنظل في متاهة من أمر أول من نطق بالعربية حتى تكشف لنا الأرض عن مكنوناتها عنـد ذلك نؤمـن إيمانـاً حقيقياً بوجدهـا وأول من استعملها كما آمن توما .

إن لفظة « عرب » كانت تعني زمن الأشوريين ، وخاصـة على عهـد ملكهم « شلمنصر» (بداوة وإمارة) حيث كان يحكم هذه الامارة « ملك » اسمه (جندب) الذي كان على علاقة سيئة بالأشوريين[3] . أما في الكتابات

---

(1) ج . علي1 / 14 دار العلم للملايين .

(2) نفس المصدر ص15

(3) حتي66

البابلية فقد وردت لفظة «Matu A-Ra-Bi» وتعني أرض العرب[1] وبهذا المعنى أيضاً أي معنى البداوة وردت لفظة عرب في التوراة وبمعنى الأعراب أيضاً[2] .

أما عن معنى الكلمة لغوياً فقد رُوي عن الرسول «ﷺ» أنه قال : «**الثَّيبُ تُعربُ عن نفسها أي تفصح**»[3] وقال الأزهري : الإعراب هو الإبانة . وبهذا المعنى قال الشاعر أبو زياد[4] :

وإنــي لأكنــي عن قذور بغيرها ، وأعــربُ أحيانــا ،بهــا ،فأصارحُ

إذن فكلمة عرب ، أعراب ، إعراب : تعني الإفصاح والإبانة عن المعاني بالألفاظ أما المعنى الواسع لهذه الكلمة فهو يُطلق على سكان الجزيرة على الاطلاق وإذا أردنا التخصيص فإنها تقتصر على عرب الحجاز استناداً الى قول أحد العلماء أبو عمرو بن العلاء الذي سُئل عن لسان حِمْيَر فأجاب : «**ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا**»[5] .

4 ـ فكرة الخالق والخلق :

إن نظرة الانسان إلى الخالق والخلق ، تختلف باختلاف بيئته (زمانياً ومكانياً)طبقاً لتطور عقله ونمو معارفه واتساع ثقافته ، كما تخضع لعرق هذا الإنسان وجنسه . وإذا أخذنا مثالاً عن المسيحيين في القرن العشرين ، وهم كثُر وينتشرون في كل بقاع الدنيا ، نرى السيد المسيح وقد صُوِّر في كنائس

---

(1) ج . علي1 / 17

(2) اشعياء : 13 :20 و13:21 وكذلك ارمياء : 25 :24 و2:3 .

(3) اللسان1 / 588 صادر

(4) نفس المصدر

(5) طبقات الشعراء : ص8 دار الفكر

المشرق العربي بما يُشبه الانسان العربي من لون بشرة وشعر وملامح وإذا انتقلنا الى كنائس أوروبا شاهدناه يختلف بعينيه الزرقاوين وشعره المسترسل الأشقر . . . أما في افريقيا وبين زنوج أميركا ننظره عبداً أسود . . . فهلا كان السيد المسيح كذلك ؟[1] .

وما دمنا نبحث في ديانات الجاهليين ، فلا شك أنه كان لهم رأيهم في الخالق والخلق .

إذا تصفحنا القرآن الكريم وقد وُجهت كلماته الى الجاهليين ، وفي رأيي أنهم كانوا يفهمون أكثرها إن لم نقل جميعها ، نرى كلمات : (البارىء) و (المصور) و (الخلاق) و (خالق) وغيرها مما له علاقة بخلق الكون والانسان . ولكن بعضنا يسأل : هل نزلت مثل هذه الكلمات لتذكير الناس بما كانوا يعرفونه سابقاً وحثهم الى العودة إليه والإيمان به ؟ أم أنهم لا يعرفونه وقد جاءت هذه الكلمات تنير لهم سبل معرفة الخالق ؟ وجوابنا على ذلك هو : ربما عرف الجاهليون الخالق وكيفية الخلق ولكن ليس بالصورة التي جاء بها الاسلام . وإذا جارينا القرآن الكريم نستدل على أن قريشاً كانت تؤمن ـ قبل الاسلام ـ بإله واحد خلق الكون ، وهو رب السماوات والأرض .

﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخَّر الشمس والقمر ليقولنَّ : الله ،فأنّى يؤفكون ﴾[2] .

---

(1) أجابني كاهن زنجي في الولايات المتحدة بقوله : إذا وضعنا أيقونة للسيد المسيح بلونه الأبيض في كنائسنا فإنا نخاف المؤمنين أن ينفروا من الكنيسة لما بينهم وبين البيض من كره وعداوة . فهم يريدون مسيحهم أسود لا أبيض .

(2) العنكبوت 29: 61

وآيات أخر كثيرة فيها اعتقاد بالله وبخلقه المطر ، والقسم به ، والتضرع إليه[1] . منها نستدل على معرفتهم بالخالق وإن كان بعضهم قد أشرك به صنماً يتقرب بواسطته الى الخالق الأكبر كما روت كتب أهل الأخبار :[2] « لبيك اللهم لبيك ،لا شريك لك ،إلا شريك هو لك . تملكه وما ملك » .

وفي دعاء العرب الذي نعثر عليه منثوراً هنا وهناك ، نرى اعترافاً صريحاً منهم بوجود الله الخالق القادر . كقولهم : « مسح الله فاه » و« لا أهدى الله له عافية » و« شتت الله شعبه » وإلى غير ذلك[3] .

لقد خاف الجاهليُّ اللهَ وقرن هذا الخوف بحفظه للعهود . وهذا الشاعر عمرو بن شأس يقول[4]

ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى   منيته مني أبوك اللياليا

كما دعا الجاهلي إلى الاغتراب والانسياح في الأرض الواسعة وهي أينما حللت ملك لله . يقول عروة بن الورد[5] :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى   تعشْ ذا يسار أو تموتَ فتعذرا

والجاهلي يعرف أن الله الخالق هو عليم بكل شيء يعرف الخفايا والأسرار . يقول زهير[6]

---

(1) العنكبوت آية63 . لقمان 31 :25 . الزخرف43 :9 . الزمر39 :38 الأنعام109 -136 -148 النحل : 38

(2) اللسان مادة (ش ر ك) 10 / 448

(3) ذيل الأمالي والنوادر ص57 وما بعدها .

(4) الأغاني10 / 66 دار الفكر .

(5) الديوان ص44 صادر ـ بيروت .

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص110 دار الجيل

فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ليخفى . ومهما يُكتم اللهُ يعلم
يُؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يُعجّل فينقم .

وهذا اعتراف صريح بيوم الحساب وأن الله يجازي عباده إن آجلا أو عاجلاً . ومن إيمانهم بوجود خالق ، قولهم : **(لا وبارىء الخلق)** و **(لا والذي جلد الإبل جلودها)** و **(لا وخالق الاصباح)** ، **(لا ومُهب الرياح)** ، **(لا ومنشر الأرواح)**[1]

إنها قسم يدل عن عقيدة بوجود خالق . وكون الله خالقا فهو يُسأل فيجيب ولن يخيب سائله ومَنَ كالله عزّ وجلّ ؟ الذي لا شريك له كما يقول عَبيد بن الأرض .

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب[2]
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك علاّم ما أخفت القلوب[3]

ولعامر بن الظرب العدواني وصيّة طويلة في الخلق ، يقول في آخرها : « إني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، ولا جائياً إلا ذاهباً » . ثم قال : « إني أرى أموراً شتى وحتى . قيل له وما حتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خُلقتْ السموات والأرض »[4]

---

1) ج . علي6 / 108 عن ذيل الأمالي ص50
2) الديوان ص26 دار بيروت .
3) ج . علي6 / 109
4) ملل ونحل3 / 87 مؤسسة الحلبي القاهرة .

لقد آمن الجاهليّون بالخالق تعالى ، وأنه هو الذي خلق آدم . إن الخالق قديم قدم الأزل ، وهو البداية والنهاية الذي ﴿خلق الانسان من علَق﴾ ودليلنا على ذلك قول أحدهم : وهو عبد لطابخة بن ثعلب ابن وبرة من قضاعة .

وأدعوك يا ربّي بما أنت أهلُه	دعاءَ غريق قد تشبّثَ بالعِصَمْ
لأنك أهلُ الحمد والخير كلّه	وذُو الطَّوْلِ لم تَعْجَل بسُخْط ولم تلُمْ
وأنت الذي لم يُحْيِه الدهرُ ثانيا	ولم يُرَ عبدٌ منك في صالحٍ وَجَمْ
وأنت القديمُ الأوّلُ الماجدُ الذي	تَبدّأت خلقَ النّاس في أكثم العَدَم
وأنت الذي أحْلَلتني غيب ظُلْمة	إلى ظُلْمَة من صُلْبِ آدم في ظُلَمْ[1]

5 ـ اسم الجلالة (الله ـ إله ـ رحمان ـ رب ـ جليل)

الله الجليل ، ذو الجلال ، والإكرام ، وجلال الله عَظَمَتُه . والجلال والجليل من صفات الله . ولا يُقال الجَلال إلا لله[2] أما الجليل فيوصف بها أيضاً الرجل ذو القدر العالي ، العظيم . وتأتي أيضاً الأجلّ بمعنى الأعظم كقول لبيد :

غير أن لا تكذبَنْها في التُّقى ، واجْزِها بالبِرِّ لله الأجل[3]

لقد ورد اسم الجلالة في أشعار الكثير من شعراء الجاهليين . وينتسب هؤلاء الشعراء إلى قبائل مختلفة ، تقيم في أماكن مختلفة ، مما يدل على أن الجاهليين دانوا بعبادة الله واتقوه واتكلوا عليه واستسلموا إلى مشيئته . وقد دعوه بأسماء مختلفة .

---

(1) الملل والنحل 3 / 88 مؤسسة الحلبي ـ القاهرة .

(2) اللسان مادة (جلل) 11 :116 صادر

(3) نفس المصدر (جلل) 11 :116 صادر

الله :

لو لم يؤمن الجاهلي بالله لما حلف به . يقول زهير في مدحه هرم بن سنان :

الله ، قد علمت سراةُ بني ذبيان ، عام الحبس والمطر

كما يناشد زوجته أم ولده كعب :

فقالت أمُّ كعب : لا تزرني فلا ، والله ، مالك من مزار[1]

إن الله حق ومن وضع رجاءه عليه يقيه الله سوء المصير . يقول زهير أيضا في مدح هرم :

ومن ضريبته التقوى ، ويعصمه من سيّىء العثرات الله ، والرَّحِمُ

ويقول أيضا :

بدا لي أنَّ الله حقٌّ ، فزادني إلى الحقِّ ،تقوى الله ،ما كان باديا[2]

الله هو الذي يُجزي الناس على أعمالهم وبيده ميزان الحق ، فإما أن يكافئهم بالثواب فيدخلهم جنّة فردوسه وإما أن يحاسبهم فيذهب بهم إلى الجحيم . تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

ذهب حُريبا جزاك الله جنّته

عنا وخُلّدت في الفردوس تخليدا[3]

---

1) الديوان ص 171 تحقيق الأعلم الشنتمري المكتبة العربية . حلب . 1970 تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .

2) الديوان ص 108 ، 164

3) ديوان الخنساء ص 38 المكتبة الثقافية / بيروت /

وتعلن الخنساء أيضا أن الله يقضي وليس لقضائه من مفرّ :

وقائلــين تعــزّىْ عن تذكُره   فالصبــر ليس لأمــر الله مردودْ[1]

وبهذا المعنى أيضا يقول عنترة العبسي :

إذا كان أمــرُ الله أمــرا يُقدَرُ .   فكيف يفــرُّ المرءُ منــه ويحذرُ[2]

والجاهلي البدوي الذي يعيش في متاهات الصحاري ويظعن دائما وراء الماء والكلأ يرى أن مصدر الخير ومرسل غياث الماء هو الله تعالى يقول أوس بن حجر :

ألــم تر انّ الله انــزل مُزْنة   وعُفرُ الظبــاء في الكنــاس تقمّــعُ[3]

ومن له علم الغيب غير الله ؟ إن الانسان يدرك ويعلم ما مرّ معه في يومه وما قبله كما قال زهير :

واعلــمُ علــم اليوم والأمس قبله   ولكنني عن علــم ما في غد عم[4]

ولكن الله وحده يعلم الغيب . يقول حاتم الطائي :

امــا والــذي لا يعْلــم الغيب غيرْه   ويُحيي العظام البيض ، وهي رميمُ[5]

وهو الذي نتقي ونخاف . يقول أوس بن حجر :

الا تتقــون الله إذ تعلفونها   رضيخ النّوى والعضّ حولا مُجرَّما[6]

---

(1) ديوان الخنساء ص39 المكتبة الثقافية

(2) الديوان ص94 مكتبة كرم / دمشق / تحقيق محمد يوسف نجم

(3) ديوان أوس بن حجر ص57 صادر / بيروت /

(4) معلقة زهير ص118 . المعلقات السبع للزوزني دار الجبل / بيروت /

(5) الديوان ص86 ـ دار بيروت .

(6) الديوان ص112 .

ويقول أيضا بعد اعترافه صراحة أن الله هو الذي منَّ عليه بما لهُ .

وذلك من جَمْعـــي وبـــالله نلتُه ... وإن تلقني الأعداءُ لا ألق أعــز لا(1)

أما عنترة العبسي فيقسم بالله ويقرُّ بقدرته التي تفوق قدرة البشر ، إنه يُميت ويحيي وبيده الروح والجسد على السواء ، قائلا :

والله لو شاهدْتَـــه ورأيته ... ما كان اخـــرُه يلاقـــي الأولا

واللهِ ما خلَّيْت في أوطانهم ... إلا النوائـــح صارخـــاتٍ في الفلا(2)

ثم يقول :

قسما بالـــذي أمـــات وأحيا ... وتـــولَّـــى الأرواح والأجساما(3)

إن خوف الله لعـظيم في نفـوس القـوم ، كما نستشف ذلك من قول عنترة :

لولا الــذي ترهـــب الأمْـــلاكُ قدرته ... جعلــت متــن جوادي قبَّــة الفلك(4)

والله هو المُشتـكَى ، والمظلـوم يحـاول دائماً أن يجـد من يستنـد إليه ، والضعيف دائماً يتعلق بأهداب القوي . يقول عنترة :

إلى الله أشـــكو جورَ قومـــي وظلمهم ... إذا لم أجدْ خلاً على البُعـــد يعضُد(5)

---

(1) الديوان ص90

(2) الديوان ص146 مكتبة كرم / دمشق /

(3) الديوان ص217 صادر / بيروت /

(4) الديوان ص180

(5) الديوان ص142

إن الله يعلم كل شيء وهو فاحص القلوب والكلى يجازي الناس حسب أعمالهم يقول ذو الأصبع العدواني :

الله يعلمني والله يعلمكم والله يجزيكم عني ويجزيني [1]

وينعكس هذا الإيمان بالله على تصرفات الجاهليين فنرى بعضهم يدعو الى الحفاظ على الجار وعلى نساء الجار ، وما لهذه الدعوة من وجه اخلاقي نبيل ، نرى الرسول العربي بعد ذلك يقول « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » ثم نراهم ينتبذون عبادة المال وكأني بهم قد سمعوا ما جاء على لسان السيد المسيح « **لا تعبدوا ربين . إما الله وإما المال** ، كما نراهم يطبقون أقواله . **لا تهتموا بما للغد ، ولا بما تأكلون وما تلبسون . . . .** » إن مثل هذا نراه في شعر حاتم الطائي الذي يقول :

اللهُ يعلم أني ذو محافظة ، ما لم يخُنِّي خليلي يبتغي بدلا [2]

ثم يقول :

أأفضحُ جارتي وأخون جاري معاذ الله أفعل ما حييتُ [3]

ويقول :

إذا كان بعض المال ربًا لأهله ، فإني ، بحمد الله ، ما لي مُعبَّدُ [4]

ويقول :

كلوا الآن من رزق الإلهِ ، وأيسروا ، فإن ، على الرحمن ، رزقكم غدا [5]

---

(1) المفضليات ص161

(2) الديوان ص74 دار بيروت1974

(3) الديوان ص31

(4) الديوان ص35

(5) الديوان ص41

إنهم يُشهدون الله على أفعالهم ، يقول الأعشى :

فلا تحسبنّي كافراً لك نعمةً ، على شهيدٌ شاهدُ الله ، فاشهدِ[1]

ويؤمنون بأن الله هو الذي سوّى السماوات والأرض . يقول الأعشى :

إن الذي يقبض الدنيا ويبسُطُها إن كان أغناك عني سوف يُغنيني
الله يَعْلمُني والله يعلمكم والله يجزيكم عني ويجزيني[2]

وقد يطابق هذا القول ما جاء في القرآن الكريم: ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ [3] إن من حمد الله واستعان بقومه لا بُدَّ وأن يتحمل عظائم الأمور ويسير بمجتمعه الى سواء السبيل . وهذا ما أشار إليه« مُعوِّد الحكماء » معاويةُ بن مالك :

وكنت إذا العظيمةُ أفظعتْهم نهضْتُ ولا أدبُّ لها دبَابا
بحمد اللهِ ثم عطاءِ قومٍ يفُكُّون الغنائم والرقابا[4]

لقد توصَّل الجاهليون الى معرفة بعض صفات الله عز وجلَّ . فالله واحدٌ أحد لا شريك له[5]. هو القدير[6]. والعالم[7] والمدرك[8] والغفور[9]

(1) الديوان ص49
(2) المفضليات ص162
(3) نوح 71
(4) مفضليات ص359
(5) ديوان عبيد بن الأبرص15 وانظر ديوان الأعشى ص218
(6) مفضليات ص162
(7) ديوان عبيد ص131, 15
(8) ديوان عبيد ص15
(9) ديوان عنترة ص142

والواقـي [1] المتّقـى [2] والعـادل [3] والـكافي [4] والمجـازي [5] والقاضي [6] . . . .

لقد ورد اسم الله كثيراً في أشعار الجاهليين . ولو أردت ذكرها جميعاً لجاءت تتوج عشرات الصفحات . . . ولكنني أكتفي بما أوردته متوخياً إثبات وجود الله في عقل وفكر وقلب « الجاهلي » وقد انعكس هذا الوجود على اخلاقه وتصرفاته .

إن امرأ القيس مؤمن بالله ، يفي بما عاهد الله عليه حيث يقول :

فاليوم أسقـى غـير مستحقِبٍ إثما من الله ولا واغل [7]

وهو يشكر الله ناظراً إلى إبله :

ارى إبلي والحمـد لله أصبحت ثقـالا إذا ما استقبلتهـا صعودها [8]

ويحث الناس على التمسُّك بحبل الله الذي به النجاح ، وعلى عمـل البر وهو خير حقيبة الرجل :

والله أنجـح ما طلبـت به والبِـرُّ خـير حقيبـة الرحْلِ [9]

---

(1) مفضليات 261
(2) مفضليات 384
(3) ديوان الأعشى ص12
(4) ديوان الأعشى ص208 .
(5) ديوان الأعشى ص15
(6) ديوان عنترة ص74 دار صعب .
(7) الديوان ص149 صادر
(8) الديوان ص89
(9) الديوان ص152 صادر

وربَّ سائل يقول : أينطبق هذا الأيمان على امرىء القيس الذي نعته أهل الأخبار بالرجل العابث الميّال الى اللهو والشهوات والذي رمى الصنم بالسهم لما جاء جوابه بخلاف ما يرغب ؟ وعلى غيره من الجاهليين ؟

واعتقادي بأن الانسان « كل انسان » يخضع تفكيره وإيمانه لأطوار حياتية مختلفة . فميول انسان ما ورغباته وأحاسيسه في سن العشرين هي ، ولا شك ، غيرها في سن الخمسين . وإذا عرفنا ذلك وتأكدنا منه ومن أناس عاشرناهم مدة طويلة من الزمن وآطلعنا على تصرفاتهم المعكوسة نتيجة ايمانهم لا نستغرب البتة اتجاهات امرىء القيس وغيره ممن وصلتنا أخبارهم زمن « الجاهلية » . هذا بالاضافة الى أن تفكير الإنسان وإيمانه يتغيّر من يوم الى يوم ومن شهر إلى شهر وهذا ما رأيناه في شعر أمير شعراء عصر النهضة أحمد شوقي الذي يبدو « صوفياً » تارةً ، في مثل قصيدته « وُلد الهدى » والتي يقول فيها :

تُروي وتَسقي الصالحين ثوابهم   والصالحات ذخائرٌ وجَزاءُ[1]

وطوراً يبدو سكيراً يسعى وراء الخمرة لا يخاف عواقبها ، يطلبها حمراء أو صفراء وقد ولّى رمضان وخرج من سجن الطاعة ، في قصيدة « رمضان ولّى هاتها يا ساقي » . يقول :

هاتِ اسقِنيها غير ذات عواقب   حتى نراع لصيحة الصُفّاقِ[2]

ومما ذكره أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يتوجون رسائلهم بجملة (باسمك اللهم) وأول من استعمل هذه العبارة هو أمية بن أبي الصلت[3] ،

---

(1) احمد شوقي « تحقيق فوزي عطوي » دار صعب بيروت ص 244

(2) نفس المصدر ص 370 . الصفّاق : الديك

(3) الأغاني 3 / 187 دار الفكر للجميع « بيروت » .

ولا يعقل أن يفتتح قوم رسائلهم بهكذا عبارة إلا إذا كانت تعني ما تعنيه لهم وإلا لما شاهدنا المسيحيين يفتتحون رسائلهم بعبارة « **باسم الآب والإبن والروح القدس** » والمسلمين بعبارة « **بسم الله الرحمن الرحيم** »

الرحمن : الإله : الرب :

إن اسم الجلالة ورد في أشعار الجاهليين تحت ألفاظ مختلفة لا زلنا نستعملها ونخشع عند ذكرها في عصرنا الحاضر . مثل « رحمان وإله ورب » وها هو صخر أخو الخنساء الشاعرة المخضرمة والتي قالت فيه أبلغ ما وصلنا من التشبيه الذي لا يزال ذوّاقو الأدب يتناقلونه على ألسنتهم من جيل إلى جيل : تقول :

وإن صخرا لتأتم الهداةُ به   كأنه علم في رأسه نارُ(1)

يقول صخر هذا في رثاء أخيه معاوية :

إذا ما امرؤٌ أهدى لميت تحية   فحيَّاك ربُّ الناس عنّي معاوية(2)

إن الرحمان خالق يجزي الصالحين جنته ويسكنهم نعيم فردوسه ، هؤلاء الذي أرضوه في حياتهم وسلم الناس من أذاهم . تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

كأنما خلق الرحمان صورته   دينار عين يراه الناسُ منقودا
اذهب حريبا جزاك الله جنّته   عنا وخُلّدت في الفردوس تخليدا
قد عشت فينا ولا ترمى بفاحشة   حتى توفاك ربُّ الناس محمودا(3)

---

(1) ديوان الخنساء المكتبة الثقافية « بيروت »

(2) نفس المصدر ص12

(3) نفس المصدر ص38

ورأس الحكمة مخافة الله . هذا ما عناه المخبَّل السعدي بقوله :

إنــي وَجــدت الأمــرَ أرشُده تقــوى الإلـــه وشرُّه الإثمُ [1] .

وهذا الدعاء الذي نحسُّه صادراً من القلب متمنياً من ربِّ العباد ألا يباعد بين قيس بن الخطيم ومن أحب . يقول :

يا ربُّ لا تُبعِــدَنْ ديارَ بني عُذْرة حيثُ انصرفــتُ وانصرفوا [2]

كما يصدر مثل هذا الدعاء من قلب ابنة الأعشى التي ترجو ربَّـها أن يبعد عن أبيها الآلام والأوجاع : كما يتصور الأعشى حيث يقول :

تقول بنتـي ،وقــد قرَّبْــتُ مُرتحلا : يا ربِّ جنِّــبْ أبي الأوصاب والوجعا [3]

ويظهر من الكثير من أشعار الجاهليين أن القوم عرفوا الرحمان وتعبدوا له ، . يقول الشنفري :

لقــد لطمــت تلك الفتـــاة هجينها الا بتـــر الرحمـــن ربِّـي يمينه [4]

كما يقول سلامة بن جندل الطهويّ :

عجلتـم علينـــا إذ عجلنـــا عليكم وما يشـأ الرحمـن يعقـد ويطلق [5]

وهذا يعني أن قوماً من الجاهليين قد دانوا بعبادة الرحمن . ويقيني أن ليس في ذلك غرابة لأن اليهودية والنصرانية قد عرفتا طريقهما الى بلاد العرب

---

(1) المفضليات ص118 . دار المعارف

(2) ديوان قيس بن الخطيم ص113 . صادر

(3) ديوان الأعشى ص105

(4) ج : علي6 / 38 .

(5) ج : علي6 / 39 .

كما أن ثمت قوماً كانو موحِّدين . إن الطائيَّ حاتماً يقول :

كلـوا اليوم من رزق الإلـه وأيسروا   وإنَّ على الرحمـن رزقُـكم غدا[1]

أوليس هذا الكلام مطابقاً لقـول السيد المسيح[2] : « لا تهتمـوا بمـا للغد » إننا نراهم يقسمون بالله والإله والرب كما فعل الأعشى بقوله :

فإنـي وربِّ الساجـدين عشية   وما صكَّ ناقوس النصـارى أبيلُها[3]

ويعترفون صراحة أنه كشّاف النوايا وفاحص القلوب والكلى . يقول الأعشى : في مدح قيس بن معد يكرب :

عطـاء الإلـهِ ، فإنَّ الإلـ   ـه يسمـعُ في الغامضـات السرارا[4]

إن الذي يفحص القلوب والنوايا هو الـدَّيان الأكبـر يرى من السماء أعمال الناس وبيده الحياة والموت . يقول عنترة :

يا عبـلُ أين من المنيَّـةِ مهْربي   إن كان ربِّـي في السماء قضاها[5]

ومن كانت هذه عظمته لا بد من طاعته . يقول أوس بن حجر :

أطعنـا ربَّنـا وعصـاه قومٌ   فذُقنـا طعـم طاعتنـا وذاقوا[6]

---

(1) ديوان حاتم الطائي . ص 41 دار بيروت

(2) إنجيل متى 6: 24

(3) الديوان ص 135

(4) نفس المصدر ص 82

(5) ديوان عنترة ص 74 دار صعب بيروت

(6) الديوان ص 79 دار صادر بيروت .

وإنا لنرى الأعشى يجمع بشعره أكثر أسماء الجلالة مشيراً الى التقوى والتوحيد والعبادة والامتناع عن أكل الميتة والزنى وكأني بكلامه قد جاء مطابقاً لما ورد في وصيّة رسل المسيح إلى الأمم[1] . يقول الأعشى :

وإن تقى الرحمن لا شيءَ مثله ،	فصبراً إذا تلقى السُّحاقَ الغَرائيا
وربَّك لا تُشرك به ، إن شركَه	يَحُطُّ من الخيراتِ تلك البواقيا
بل الله فاعبُدْ ، لا شريك لوجهه ،	يكنْ لك فيما تكدَحُ اليوم راعيا
وإيَّاك والميْتاتِ لا تقربَنَّها ،	كفى بكلام اللهِ عن ذاك ناهيا
وجارةَ جنبِ البيتِ لا تَبْغِ سرَّها ،	فإنَّك لا تخفى على اللهِ خافيا[2]

هذا قليل من كثير ، عن ورود اسم الجلالة في أشعار الجاهليين . وليس القصد هو الجمع بل الاستشهاد للدلالة على أن بعضهم كان يؤمن بالله عزَّ وجلَّ . ورب سائل يقول : كيف توفق بين من استقسم بالله في شعره واستقسم بالأصنام والأوثان في آن واحد ؟ أتدعو مثل هذا مؤمناً بالله ؟

يقيني أنه مؤمن حتى يثبت العكس وشاهدي على ذلك من تراه اليوم بعينك وتسمعه بأم أذنك وهو يحلف بالله وأنبيائه ومن ثم بمبدئه وعقيدته أو برئيس ربعه وتنظيمه ، وربما يحلف بعقيدته السياسية والاجتماعية كأن يكون مثلاً من غير دينك ولا يؤمن به ، وتراه ولحالة نفسية ما ، أو حالة اجتماعية مسلكية ما ، يقسم بما تؤمن به أنت ، عساه يستدر عطفك أو حنانك أو محبتك فينال ما يتمنى وبالوقت ذاته يعود إلى ديانته التي آمن بها يمارس شعائرها ويسير بهديها . أليس هذا مثل ذلك ! فلماذا يتجنى بعضنا على الجاهليين فينعتهم

---

(1) أعمال الرسل 21 :25

(2) الديوان ص218 . السحاق الغرائي : الهزالى الجياع .

بنعوت ربما كانوا منها براء ، وتنطلق التهم جزافاً « والويل كل الويل لمن تأتي العثرات عن يده » .

6 ـ ايمان العرب في الجاهلية :

لم يكن عرب الجاهلية في عُزلة عن باقي الشعوب المجاورة والتي بيَّنا فيما سبق مدى الاتصال وتأثيره مداً وجزراً ، ولم تكن شبه جزيرة العرب أرضاً بعيدة المنال عن أطماع الامبراطوريات القديمة (يونانية ـ رومانية ـ فارسية) فقد رأينا سابقاً أن اليونان دخلوا بعضها ، وكذلك الرومان بحملة « إيليوس غالوس » وأيضاً الفرس(1) ولم تنجُ شعوب هذه الأرض من غزوات آشورية ، كلدانية ، بابلية ، عبرانية ، وحبشية كذلك(2) .

وربما أنه قد ثبت لدينا اتصال شعوب شبه الجزيرة بمثل هذه الشعوب فلا بُدَّ وأن يكونوا قد تأثروا بعبادات وأديان كل منها . . . . وربما كان أيضاً العكس صحيحا .

ولما كانت هذه الشعوب على أديان وملل مختلفة وكثيرة ، فقد رأينا عربَ الجاهلية ـ عربَ الجنوب وعربَ الشمال على السواء ـ على ملل ونحل مختلفة وكثيرة .

فمن عرب الجاهلية ، مَنْ كان وثنياً ، آمن بقوى إلهية كثيرة تصدر عن الكواكب والمظاهر الطبيعية . إنَّ هذه القوى مخفيةٌ في بعض النباتات والجماد والطير والحيوان . لذلك نراهم يتعبدون لأصنام وأوثان كانت رمزا

---

(1) راجع علاقة العرب بهذه الشعوب .
الفصل الثالث من الباب الأول .

(2) نفس المرجع

لآلهتهم[1] . وقد عرف العرب عبادة النجوم والكواكب من قديم عن طريق الصابئة والكلدانيين ، كما رجعوا بآلهتهم الى ثالوث مقدس هذا الثالوث هو : « ود أو القمر ، واللات أو الشمس ، والعُزّى أو الزهرة »[2] . ونراهم يقدسون النار ويعظمونها ، فقد كانوا يوقدونها عند أحلافهم ، واستمطارهم السماء وتقديم القرابين اليها . وربما تأثر العرب بتعظيمها ومؤانستها تشبها بالعبرانيين إذ سمع موسى أول نداء إلهي من العليقة التي رآها تشتعل ولا تحترق[3] ، يقول له : « اخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة » . وهذا ما ذكره القرآن الكريم أيضاً : ﴿**وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله أمكثوا إني آنست ناراً . . . الخ الآية**﴾[4] .

وقد استجاب الله صلوات « ايليا النبي » وأرسل ناراً التهمت محرقته ليظهره على أنبياء البعل « الكذبة »[5] .

وفي يوم الخمسين لصعود المسيح الى السماء وبينما كان تلاميذهُ مجتمعين ، « صار بغتة من السماء صوت كما من هُبوب ريح عاصفة ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كلٍّ واحد منهم »[6] .

فربما اطلع العرب على ذلك فرسخ قدر النار في صدورهم .

لقد استمطر الجاهليون بالنار عندما احتاجوا دلك واشتد الجدب وعمَّ

---

(1) انظر كتاب الأصنام لابن الكلبي

تحقيق أحمد زكي . « سنفصّل فيما بعد وبإسهاب عبادة الأصنام والأوثان »

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي 1 / 89 دار المعارف .

(3) سفر الخروج : 3 : 1 -6

(4) سورة النمل : 7 : 27 والقصص 29 :28

(5) 3 صموئيل ص18

(6) أعمال الرسل 2 : 1 -5

البلاء وكانت عادتهم أن يجمعوا ما يقدرون عليه من البقر ثم يعقدونها بأذنابها ويصعدون بها إلى جبل وعر يشعلون النيران بالأذناب المعقودة ، ويضجّون بالدعاء والتضرع فتأتي السقيا[1] .

ويوقد الجاهليون ناراً عند التحالف . ويدعون الله الحرمان والمنع من منافعها على الذي ينقض العهد[2]

وأوقدوا ناراً خلف المسافر والزائر الذي لا يحبون رجوعه ، وعندما يريدون الاجتماع حيث يتوقعون حرباً وجيشاً عظيماً[3] .

أما نار الحرّتين فقد أطفأها الله بخالد بن سنان[4] . وهناك نيران السعالي والجن يحتال بها سدنة الأصنام والمعابد يرمون بشررها الناس لإيهامهم أنها من الآلهة[5] . ويوقدون النيران لصيد الظباء ولترويع الأسود لابعادها ولغير ذلك[6] .

لقد كان الفرس المجوس على اتصال دائم بالعرب[7] ، وربما تفشت عقيدتهم ببلاد العرب من جراء هذا الاتصال . والمجوس كما هو معروف يؤمنون بإلهين هما : النور والظلمة أو الخير والشر ويقيمون المعابد ويتفننون بايقاد النيران فيها حيث لا تطفأ أبداً .

---

(1) الحيوان للجاحظ 4 / 172 وما بعدها دار صعب

(2) نفس المصدر 4 / 173

(3) نفس المصدر 4 / 174

(4) نفس المصدر 4 / 175 قصتها .

(5) نفس المصدر 4 / 175

(6) نفس المصدر 4 / 175

(7) راجع صلة العرب بالفرس

كانت الأصنام والأوثان منتشرة بين القبائل تقربوا إليها كاللات والعزى ومناة وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وجميعها ورد ذكرها في القرآن الكريم[1] وأصنام أخرى كثيرة سنتكلم عنها في حينه ، وقد صوروها ونحتوا صخوراً ترمز إليها كما رأوا في بعض الأحجار والأشجار والآبار ما يوحي بها . وبنوا لها الهياكل والبيوت التي كانت بمثابة كعبات يحجون إليها[2] . ونشأت لديهم طقوس مختلفة في نذورهم وقرابينهم وطرق عبادتهم .

ولقد تخيّل الجاهليون الصحراء آهلة بأرواح سموها الجن والعفاريت والسعالى والغول كما آمنوا بالملائكة وزعموا أنهم « بنات الله » .

يقول تأبط شراً في منازلته للغول :

فلم انفكّ متكأ عليها لأنظر مصبحا ماذا أتاني
إذا عينان في رأسٍ قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسان
وساقا مُخْدَجٍ وشواةِ كلبٍ وثوبٌ من عباء أو شنان[3]

مما تقدم يتضح لنا أن بعض العرب الجاهليين كانوا عبدة أوثان وأصنام بمختلف أشكالها ، ولكن ليس كلهم . وسوف نرى بعدئذ أن منهم من كان يعبد الله ولكنه أشرك بعبادته بعض الأصنام والأوثان وربما لم يكن يتعبد إليها بل جعلها كوسطاء وشفعاء لدى الله عزّ وجلّ .

إن من « الجاهليين » من كان يؤمن بالله ويؤمن باليوم الآخر . ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل الذي سمع أمية بن أبي الصلت يوماً ينشد :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دينُ الحنيفة زورُ

---

(1) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي 1 / 92

(3) اغاني 18 / 212 دار الفكر بيروت

فقال له : صدقت[1] .

ومنهم من اعتقد بالتوحيد كقس بن ساعدة الذي يقول :

كلا بل هو الله إلـــهٌ واحدٌ ليس بمولــود ولا والــد[2]

كما أنشد أيضاً بمعنى قيامة الموتى في يوم الحشر أي في يوم القيامة[3] .

يا باكي الموت والأمـــواتُ في جدثٍ عليهـــم من بقـــايا بزْهـــم خِرقُ
دعْهـم فإنَّ لهـم يومـــا يُصـــاحُ بهم كما يُنبَّـهُ من نوماتِـــه الصَّعِقُ
حتّـى يجيئـــوا بحـــالٍ غـــير حالهِم خلـق مضى ثمَّ هذا بعـــد ذا خُلقوا
منهـــم عراةٌ ومنهُـــم في ثيابهم منهــا الجـديدُ ومنهــا الأزرقُ الخلقُ

لقد امنوا بالله خالقاً[4] فعبدوه وحرموا الخمر على أنفسهم[5] منهم قيسٌ بن عاصم من تميم وصفوان بن أمية من كنانـة وعفيف بن معـدي كرب من كندة[6] .

يقول عبد لطابخة بن ثعلب من قضاعة وقد آمن بالله خالقاً يُحيي ولا يُحيا في البدء كان وسوف يكون إلى الأزل :

وأنــت الــذي لم يُحيهِ الدهـــر ثانيا ولـم يُر عبــدٌ منــك في صالـحٍ وجم
وأنت القــديمُ الأوّل الماجــد الّــذي تبدأْت خلـقَ النّـاس في أكتـم العدمْ
وأنــت الــذي أحلَلْتنـــي غيب ظُلمة الى ظُلمــة من صُلْـــب آدم في ظُلمْ[7]

(1) الملل والنحل 3 / 86 مؤسسة الحلبي القاهرة
(2) نفس المصدر .
(3) الملل والنحل 3 / 87
(4) نفس المصدر . انظر وصية عامر بن الظرب العدواني .
(5) نفس المصدر
(6) نفس المصدر
(7) نفس المصدر 3 / 88

وآمنوا به قادراً محاسباً . يقول زهير :

يؤخَرْ فيُوضع في كتابٍ فيُدّخر ليوم حسابٍ ،أو يُعجَّل فيُنقمِ[1]

ويقول علاف بن شهاب التيمي بهذا المعنى :

وعلمت أن الله جازِ عبدَه يوم الحساب بأحسنِ الأعمالِ[2]

ونهى بعضهم عن الاشراك بالله . يقول قصي بن كلاب :

أربا واحدا أم ألفَ ربٍّ أدين إذا تقسّمتِ الأمورُ
تركت اللاتَ والعُزّى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصيرُ
فلا العُزى أدين ولا أبنيتها ولا صنَمَيْ بني غنْم أزورُ[3]

وفي هذا المعنى خاطب القلمس بن أمية الكناني العرب بفناء مكة قائلاً : **أطيعوني ترشدوا . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إنكم قد تفرقتم بآلهة شتّى ،وإني لأعلم ما الله راض به ،وإن الله رب هذه الألهة ،وإنه ليحب أن يُعبد وحده**[4] .

إن ما كتبناه يظهر بعضاً من معتقدات العرب . وقد رأينا أنهم آمنوا بالأصنام والأوثان والأرواح والجن والعناريت ، وآمنوا أيضاً بالسحر واستعملوا الرقى والتعاويذ وتطيروا وتشاءموا . وآمنوا كذلك بالله الواحد الأحد ، الخالق ، وبالموت والبعث والنشور والقضاء والقدر واعتقدوا أن المقابر مجتمع للأرواح . كما آمنوا بالمسخ والنسوء والزندقة وعبادة النار . وكان

---

(1) شرح المعلقات للزوزني ص111
(2) ملل ونحل3 / 89
(3) ملل ونحل3 / 93
(4) ملل ونحل3 / 93

منهم الموحدون والأحناف واليهود والنصارى الى أن جاء الاسلام فغيرَّ الله ما بأنفسهم وسنفصل كل هذا فيما يأتي من فصول لاحقة .

7 ـ التوحيد والشرك :

كان العرب في جاهليتهم يدينون بأديان مختلفة ويذهبون في عبادتهم مذاهب شتى . ومنهم من آمن بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له . نفهم ذلك من قول قيس بن ساعدة الإيادي :

كلا بلْ هو اللهُ إلـــهٌ واحد ليس بمولـــود ولا والدْ[1]

والتوحيد : هو الإيمان بإله واحد أحد لا شريك له ، منفرد بذاته في عدم المثل والنظير . لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام[2] .

والشرك : هو أن يُجعل لله شريكا في ألوهيته ، غير الله مع عبادته ، والإيمان بالله وبغيره[3] . ومن الشرك أن تعدل بالله غيره ، فتجعله شريكا له . ومن عدل به شيئا مِنْ خلْقِه فهو مشرك ، لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا نديد[4] . ولا شك أن العرب الجاهليين قد عرفوا الله الخالق ، الكائن منذ الأزل وإلى الأبد ، الواحد الأحد ، وقد سموه إلهاً ورحماناً وربــاً[5] . وكان منهم الأحناف الذين بقوا على ملّـة ابراهيم الرجل الذي ظعن من موطنه الأول في أور الكلدان الى فلسطين ، والذي تراءى له الله وتحدث إليه وأعطاه ميثاقاً

---

(1) الملل والنحل : 3 / 86

(2) تاج العروس مادة (وحد) .

(3) تاج العروس مادة (شرك)

(4) لسان العرب مادة (شرك) .

(5) انظر سابقا فصل (الله الرحمن)

أن يمكن لذريته في الأرض[1] ، والرجل الذي كان « الأب الجسدي » ليسوع المسيح[2] ، والرجل الذي كان مؤسساً للإسلام عند المسلمين : ﴿ مـا كان ابـراهيم يهـودياً ولا نصرانياً ولـكن كان حنيفـاً مسـلماً ومـا كان من المشركين ﴾[3] .

لقد كان بين العرب أناس آمنوا بوحدانية الله . يقول الأعشى :

وربَّـك لا تُشركْ به ، إن شركه يحـطُّ من الخـيراتِ تلك البواقيا
بل الله فاعبُـدْ ، لا شريك لوجهه ، يكن لك فيما تَكدحُ اليوم راعيا[4]

منهم بعض فرق اليهود والنصارى[5] وبعض الباقين على دين ابراهيم كزيد بن عمرو بن نُفيل الذي أسند ظهره يوماً الى الكعبة وهو يقول : « يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحدٌ على دين ابراهيم غيري »[6] . ثم أنشد :

أربـاً واحـداً ألف ربٍّ أدين إذا تُقسِّمَـتِ الأمورُ

ويعد أن يعزل اللات والعزّى وصنمي بني عمـر وهبـل ، ويرفض عبادتها يكمل :

ولـكن أعبـدُ الرّحمـانَ ربّي ليغفـر ذنبـي الـربُّ الغفور[7]

---

(1) تك 15 :18
(2) متى 1 :1
(3) آل عمران 67
(4) الديوان ص218
(5) سنبين ذلك فيما بعد .
(6) السيرة1 / 225 دار الكنوز الأدبية .
(7) نفس المصدر1 / 226-27

وفي شعر آخر يقول زيد :

ألا أيُّهـا الانسـان إيّـاك والرَّدى   فإنـك لا تُخفـي من الله خافيا
وإيّـاك لا تجعـل مع الله غيره   فإن سبيل الرشـد أصبـح باديا[1]

أليست دعوته دعوة صريحة إلى نبذ عبادة الأصنام والتعبد لإله واحد أحد لا شريك له ولا ولد .

ولماذا يطلق زيد وأمثاله مثل هذه الدعوة ؟ لأن الانسان في ذلك العصر ، وفي كل عصر ، ميّال الى المحسوس يبحث عن الشيء الذي يتعبد له ، وكم تمنى أن يراه ويسمعه ، والله روح خفية ، لا يُدرك إلا بالايمان المطلق وبالعقل الواعي المدرك نستطيع أن نتلمس قدرته في خلق كل الموجودات . وهذا ما فعله بعض عرب الجاهلية ، إذ تقربوا من الأصنام وأشركوها بعبادة ربهم ومنهم من ابتعد عن الله كلياً وجعل هذه الأصنام معبوده ودينه وديدنه . إن الشاعر أوس بن حجر يقسم باللات والعُزى قبل قسمه بالله تعالى فربما كان مشركاً . وربما حلف بها دونما إيمان كما يفعل بعض الناس اليوم إذ يقسمون بما لا يؤمنون به إما اتقاء شر أو دفعاً لغائلة . . . يقول :

وباللات والعُزى ومن دان دينها   وبالله ، إن الله منهن أكبرُ[2]

لقد أنّث الشاعر هذين المعبودين ، ومن ثم اعترف حقيقة ، بعد أن حلف بالله ، أن الله أكبر منهم مؤكداً ذلك ومشدداً عليه .

---

(1) نفس المصدر 1 / 227

(2) الأصنام ، ابن الكلبي ، ص17

يقول ابن الكلبي : كانت نزار تقول إذا ما أهلّت :

« لبيك اللهم ! لبيك !

لبيك ! لا شريك لك ! إلا شريك هو لك !

تملكه وما ملك ! »[1]

ونفهم من هذا القول أنهم يوحدونه بالتلبية ، ويدخلون آلهتهم معه ويجعلون ملكها بيده .

أما ابن هشام فيقول : إنَّ عمرو ا ابن لحي هو أول من حمل الأصنام إلى أرض العرب . وأول صنم حمله هو « هبل » فأتى به الى مكة ونصبه فيها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[2] . جاء به من البلقاء في نواحي الشام .

إن القرآن الكريم يتجه إلى الذين زاغوا وأشركوا بربهم عبادات أصنام وأوثان أكثرها من صنع الإنسان نفسه والذين يتساءلون بمخاطبتهم للرسول وهو يرسم لهم طريق العودة إلى العبادة الحقيقية عبادة الله الواحد : ﴿ **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا** »[3] وأيضا « **أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهّار** »[4] وأيضاً : « **قل إنما هو إله واحد وإنني بريءٌ مما تشركون** ﴾[5] من هذه الآيات ومن آيات أخرى كثيرة[6] نستدل على أن عرب الجاهلية كانوا وقت الدعوة مشركين على الأقل الذين خاطبهم القرآن الكريم

---

(1) نفس المصدر ص 7

(2) السيرة النبوية 1 / 77 الأصنام ص 8

(3) الأعراف 7 / 70

(4) يوسف 12، 39

(5) الأنعام 6: 19

(6) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (و ح د) ص 745

وأنهم كانوا يعرفون الله وإلا كيف يتعجبون بسؤالهم « أجئتنا لنعبد الله وحده » أليس بمقدورنا أن نتعبد إلى ما كان يعبد آباؤنا ؟ وكيف نذر تلك العبادة ؟

إن بعض الجاهليين قد اعتبروا هذه الأوثان والأصنام وسطاء وشفعاء عند الله . وكانوا مع اعترافهم بالله لم يروا غنى عن أصنامهم وهذا ما تعجبوا له وتساءلوا عند دعوة محمد لهم بترك عبادة الأصنام .

الفصل الثاني

الحنيفية

الحنيف هو الـذي يتحنّـف عن الأديان أي يميل الى الحـقّ ؛ وقيل هو الذي يستقبل قِبلةَ البيت الحرام على ملّة ابراهيم[1] . وفسّـرَ أبو زيد الحنيف بالمستقيم وأنشد :

تعلّـم أن سيهـــديكم إلينا طريقٌ ، لا يجـــورُ بكم ، حنيفـاً[2]

وقال ابو عبيدة في تفسير الآية ﴿قل بل ملّـة ابراهيم حنيفاً﴾[3] من كان على دين ابراهيم ، فهو حنيفٌ عند العرب[4] . وفي « الجاهليةْ » كان يُقال : « من اختتن وحجَّ البيت فهو حنيف »[5]. وقد جاء في اللسان أن معنى الحنيفية في اللغة الميل ، والمعنى أن ابراهيم حنف إلى دين الله أي مال : وإنما أُخـذ الحنف من قولهم رَجُل أحنف ورِجْلٌ حنفاء أي المائلة إلى أختها بأصابعها[6] . وتحنّـف الرجل أي عَمِلَ عَمَـل الحنيفية ، ويقـال اختتـن ، ويقـال اعتـزل الأصنام وتعبّـد ، قال جرانُ العَوْدِ :

---

(1) لسان العرب مادة (حنف) 9 / 57

(2) نفس المصدر .

(3) سورة البقرة 2 / 135

(4) اللسان 9 / 58

(5) نفس المصدر 9 / 58

(6) نفس المصدر 9 / 58

ولما رأينَ الصُّبـــح ، بادَرْنَ ضوءَه   وَسِيمَ قطــا البطحاءِ ، أو هُنَّ أقطفُ
وأدركن أعجـــازا من الليلِ ، بعدما   أقــام الصــلاة العابـــدُ المُتَحنِّـفُ

وقال أبو ذؤيب :

أقامـــت به ، كمقـــامِ الحنيـــفِ ، شهري جمادي وشهري صفر [1]

وفي الحديث الشريف : أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفية السمحة [2] .

ويقول الزجاجي : « الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من الجنابة ويُختتن ، وقيل له حنيف لعُدوله عن الشرك » [3] .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن العلماء قد حاولوا تفسير كلمة حنيف وقد رأينا مارمـوا إليه ، على الأقل بعضُهم [4] ، وماذا عنت لهـم هذه اللفظة ، وأكثرهم قد عاد بها الى ابراهيم الذي ترك عبـادة اباته ومال إلى عبادة الله . . فمن هو ابراهيم هذا ؟ وأين عاش ؟ وكيف زاغ عن عبادة الأصنام واهتدى الى عبادة الله ؟

1 ـ ابراهيم الخليل : قصتــه مع أزواجــه في الكتــاب المقــدس والقــرآن الكريم .

لا بُدَّ لنا ونحن أمام « أبي الآباء والأنبياء جميعاً » ابـراهيـم الخليل من وقفة ولو قصيرة لنتتبع تاريخ حياته ، وهجرته وتنقلاته ، وعزوفه عن عبـادة

---

(1) نفس المصدر .
(2) نفس المصدر
(3) نفس المصدر
(4) راجع رأي غيرهم في معنى حنيف . اللسان مادة (حنف)

آبائه وأجداده ، ونهجه سبيل الحق ومن ثم مكانته في الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم ، أي عند اتباع الديانات السماوية الثلاث ، وتأثيره على وثنيي العرب .

أبرام – ابراهيم : إن كلمة أبرام تعني « الأب الرفيع » أو « الأب المتكرم » وهي كلمة عبرية الأصل تتألف من لفظتين : أب + رام = أبرام . أما كلمة ابراهيم فقد فسرها الكتاب المقدس بـ« أبو جمهور»[1] ، عندما وعد الله « أبرام » أن يعطيه ، ونسله من بعده ، أرض غربته ، وإلى الأبد . وسماه عندئذ ابراهيم .

. عاش ابراهيم مدة خمس وسبعين سنة فيما بين النهرين لما خرج مُتجها الى أرض الكنعانيين جنوبا[2] وكان قد وُلد في « أور الكلدانيين » في شمالي العراق[3] . تزوج ابراهيم « ساراي »[4] وكانت اخته بنت أبيه فقط[5] وكانت عاقراً لم تلد إلا بعد دخوله على هاجر وولادتها منه .

لقد رحل ابراهيم وزوجه وأبوه تارح وابن أخيه لوط ، من أور الكلدانيين ، ليذهبوا إلى أرض كنعان ويقيموا في حاران حيث يموت أبوه[6] . ثم يعاود الرحلة الى شكيم[7] وربما مرَّ برحلته هذه على دمشق ، لأن الموكل

---

(1) تك 17:5
(2) تك 12: 4
(3) تك 11: 27-28
(4) تك 11: 29
(5) تك 20: 12
(6) تك 11: 32-33
(7) تك 12: 6

على بيته كان يُسمى اليعازر الدمشقي [1] ، ومن شكيم الى بيت إيل [2] التي يرتحل منها إلى أرض الجنوب [3] . ويحدث جوع في تلك البقاع فيشد الرحيل الى مصر [4] . ويذكر لفرعونها أن « ساراي » ، ودونما كذب ، هي أخته خوفاً على حياته [5] . ويعود ثانية وبعد مرور سني الجوع الى أرض فلسطين ، أرض كنعان ويقيم عند بلوطات ممر [6] حيث يستقبله ، « ملكي صادق » ، ملك شاليم ويباركه [7] ، وقد حمل ابراهيم معه من مصر جارية تدعى « هاجر » الذي اتخذها ، بعد اقامته في بلوطات ممراً ، زوجةً فولدت له اسماعيل [8] وابراهيم ابن ست وثمانين سنة [9] . لقد تزوج ابراهيم هاجر بعد أن أذنت له زوجته « ساراي » بذلك . ولكنها لما رأت الجارية وقد حبلت تآكلتها الغيرة وتمنت لو أن لها ولداً فتحنن الرب على شيخوختها ووعد زوجها بابن منها يسميه اسحق ووضع له الختان علامة للعهد وغير اسمه من ابرام الى ابراهيم وكذلك اسم زوجته من ساراي إلى سارة [10] . وافتقد الله سارة فولدت لابراهيم ابناً وهو ابن مائة سنة ، وسماه اسحق وختنه هو أيضاً [11] ورغبة في إرضائها وبعد أن سمح الله له أبعد هاجر وابنه [12] .

---

(1) تك15 :2

(2) تك12 :8

(3) تك12 :9

(4) تك12 :10

(5) تك12 :11 -20

(6) تك13 :12، 13، 18

(7) تك14 :17؛ 24

(8) تك : ص16 :1 -16

(9) تك16 :16

(10) تك ص17

(11) تك21 :1 -8

(12) تك21 :9 -21

وامتحن الله إيمان ابراهيم فأمره أن يقدم ابنه ذبيحة ومحرقة . وإذ كان على وشك تقديمه ناداه ملاك الرب : « لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً » فرفع ابراهيم عينيه لينظر كبش غنم فيمسكه ويصعده محرقة عوض الصبي[1] .

ايمان ابراهيم : كان آباء ابراهيم يتعبدون للأصنام[2] وكانت كثيرة وبنوع خاص عبدوا « نانار » إله القمر وزوجته « ننجال »[3] أما ابراهيم فقد رفض مثل هذه العبادة وآمن بإله واحد مالك السماء والأرض[4] ، وديّان الأمم[5] ، والقادر على كل شيء[6] ، الاله العلي ، السرمدي ، الأبدي[7] ، وكان ابراهيم على علاقة روحية مع الله لذلك نال لقب « خليل الله »[8] وتعرّف على صفات الله التي هي العدل والبر والأمانة واللطف والحق والحكمة والرحمة[9] . . . .

إن الله الذي عبده ابراهيم قد تراءى له في الرؤى والأحلام والظهور بشكل انسان أو ملاك[10] . وقد ترجم « الخليل » ايمانه الى عمل فحيثما سكن أقام مذبحاً للرب . وصلّى من أجل اسماعيل ولوط وأبيمالك . وقدم عشر مقتنياته لـ« ملكي صادق » ومارس الختان وكاد يضحي بابنه ترجمة لايمانه

---

(1) تك22: 1-19

(2) يشوع : 24: 2, 14

(3) قاموس الكتاب المقدس 11

(4) تك : 14: 22, 24: 3

(5) تك15: 14

(6) تك18: 14

(7) تك / 33:2 .

(8) 2 أخبار20: 7 وأشعياء41: 8

(9) قاموس الكتاب المقدس ص11

(10) نفس المصدر

المطلق[1] . أما حياته الاجتماعية مع الناس فقد كان كريماً ، مضيافاً للغرباء ، مخلصاً ، وفياً ، أميناً ، حناناً وعطوفاً[2] .

من كل ما تقدم نستطيع القول أن ابراهيم الذي نبذ عبادة الأصنام وامن بالله قد استن لنا شرائع لا يزال الكثير من عبدة الله يتمسكون بها كاقامة المعابد لله ، والصلاة من أجل الخير ، والزكاة عن المقتنيات والختان والتضحية .

وتموت سارة زوجة ابراهيم وعمرها مائة وسبع وعشرون سنةً في حبرون في أرض كنعان ، فدفنها زوجها في مغارة المكفيلة التي اشتراها من عفرون الحثيُّ بأربع مائة مثقال من الفضة[3] . ويشيخ ابراهيم ويطعن في السن ويزوج ابنه اسحق من رفقة بنت ابن أخيه ناحور[4] . فتلد له يعقوب « اسرائيل » الذي يعود إليه أسباط اليهود بنسبهم[5] . وعاد ابراهيم وتزوج امرأة اسمها قطورة فولدت له « زمران ويقشان وفدان ومدين ويشباق وشوحاً »[6] وقد رأينا سابقاً وعند كلامنا عن ممالك العرب كيف أن النسابين عادوا بأنساب بعض القبائل العربية الى أولاد ابراهيم من زوجته قطورة .

لقد بيّنا ما أورده الكتاب المقدس عن ابراهيم وسنستعرض الآن ما ذكره القرآن الكريم عنه . فلقد ذكر اسمه في تسعةِ وستين موضعاً[7] . وهو الحنيف

---

(1) نفس المصدر

(2) راجع قاموس الكتاب المقدس ص11 ، 12

(3) تك . اصحاح23

(4) تك ص24

(5) سنتحدث عنه فيما بعد .

(6) تك25 : 1- 3

(7) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

غير المشرك[1] : ﴿قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ المؤمن بأن الله ربُّـه يُحيي ويميت[2] ، والذي لم يكن يهودياً ولا نصرانياً بل كان حنيفاً[3] . ويأمر القرآن مريديه بأن يتبعوا دين ابراهيم الحنيفـي[4] ، الـذي اتخـذه الله خليلاً[5] ويسمي القرآن والد ابراهيم ويدعوه « آزر »[6] وقد كان آزر عابداً للأصنام فأعرض عنها ابراهيم واتّبع الله فعبده واتّـقاه وتبرأ من عبـادة أبيه وقومه[7] .

مكانة ابراهيم عند أصحاب الديانات السماوية :

حظيت شخصية ابراهيم بمكانة سامية عند المتدينين بالأديان السماوية لم يسمُ اليها غيره من الأنبياء . فهو عند اليهود :

1 ـ الرجل الذي ظعن من موطنه في « أور الكلدان » الى فلسطين حيث اسس الاسرائيليون فيما بعد دولتهم .

2 ـ الرجل الذي تراءى له الله وأعطاه عهداً بأن يمكن ذريته من أرض حدودها شرقاً الفرات وغرباً النيل[8] .

3 ـ الرجل الذي أنشأ مبدأ الختان معاهداً الله أن تستمسك به ذريته أبد الدهر

---

(1) البقرة2 :135
(2) البقرة2 :258
(3) ال عمران3 :67
(4) آل عمران3 :95 والنساء4 :125
(5) النساء4 :125
(6) الأنعام6 :74
(7) الأنعام74 وهود76 والأنبياء62 والعنكبوت16 والزخرف26
(8) تك15 :18

اعترافاً بما من به المولى عليهم من عطاء جزيل وما وُعِدُوه من مُلْك عريض[1] .

4 ـ ومن زمن ابنه اسحق وما بعده كان الرب (يهوه) يُلقب بإله ابراهيم[2]

5 ـ الرجل الذي ظهر له الرب[3] ، واختاره[4] ، وفداه[5] ، وباركه وبارك نسله وبه وبهم تتبارك جميع أمم الأرض[6] .

6 ـ الرجل الذي دعي خليل الله[7]

وهو عند المسيحيين :

1 ـ الأب الأرضي المجازي الأعلى للسيد المسيح[8]

2 ـ الأب لكل المسيحيين المؤمنين[9]

3 ـ الرجل الذي بُورك ببركات جمة منها الوعد ، والبركة ، والرحمة ، والعهد[10]

4 ـ الرجل المثال للأعمال الصالحة ، وطاعة الإيمان ، لمثلها احتل المكانة السامية بين القديسين في السما[11]

---

(1) تك17 :10 -14 ,23 -26

(2) خروج3 :15

(3) خروج6 :3

(4) نحميا : 9 :7

(5) أشعيا29 :22

(6) تك12 :3 ,17 ,18 :22

(7) 2 أخبار20 :7 واشعياء41 :8

(8) متى1 :1 ,18 -23 وغلاطية3 :16

(9) غلاطية3 :29 ورومية4 :11

(10) غلاطية3 :14 لوقا1 :54 أعمال3 :25 ورومية4 :13

(11) يعقوب2 :21 -23 عبرانيين11 :8 ,17 ؛ مت 8 :11 لو13 :28 ,16 :23 -31

5 ـ الرجل الذي دعي خليل الله[1] .

وهو عند المسلمين .

1 ـ مؤسس الإسلام ، فالإسلام هو ملّـة ابراهيم .

﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين ﴾[2]

2 ـ الرجل الذي بنى الكعبة .

﴿ وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهـر بيتـي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾[3]

3 ـ جد محمد بن عبد الله .

« **إن الله اصطفى من ولـد ابـراهيم اسماعيل واصطفـى من اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا واصطفـى من قريش بنـي هاشـم واصطفاني من بنـي هاشـم ، فأنـا خيار من خيار** »[4] وإذا صح هذا الحديث فإننا نراه مطابقاً لما ورد في الكتاب المقـدس[5] ، بتغيير الأسماء فقط .

4 ـ إن المسلم ينطق اسم ابراهيم مرتين عند التشهّـد في كل صلاة من صلواته اليومية الخمس

5 ـ إن القرآن يذكر اسم ابراهيم تسعا ـ ستين مرة[6]

---

(1) يعقوب 2 : 23

(2) ال عمران 67

(3) الحج 26 وانظر البقرة 125 - 127

(4) حديث شريف .

(5) I أخبار 28 : 4-5

(6) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

6 ـ أنعم الله على ابراهيم بلقب لم يعطه لسواه ، ألا وهو لقب « خليل الله » .
﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾[1]

إن من ينظر نظرة مقارنة الى مكانة ابراهيم عند اتباع الديانات المذكورة يجد أنها تكاد تطابق فهو عندهم جميعاً « خليل الله » والذي يتصف بهذه الصفات لا بُدَّ وأن يكون له مأثرة عند الإله العلي . وهو أبو الأنبياء جميعاً .

لقد كان لابراهيم اتباع فيما بين عرب الجاهلية ، وربما لم يعتنقوا اليهودية ولا المسيحية ، ولم ينتظموا في طائفة معينة ولم يشتركوا في عبادة واحدة وكانوا كثرة محسوسة على الأرجح وإلا لما عدَّهم القرآن الكريم فئة خاصة وأجراهم مجرى أهل الكتاب وتحت اسم مستقل هو « الحنفاء »[2] .
والحنفاء هم من احتفظوا بدين ابراهيم من « الجاهليين » يقول أمية بن أبي الصلت[3] .

كل دين يوم القيامة عند اللهِ إلا دين الحنيفة زورُ

2 ـ اسماعيل وهاجر :

إسماعيل هو ابن ابراهيم من هاجر المصرية أمة سارة زوجته التي كانت عاقراً وحثت زوجها أن يبني بأمتها ليعقب منها نسلاً[4] . إن مثل هذا التقليد في الزواج كان معمولاً به في تلك الأزمنة[5] . وقد كان ابراهيم ابن ست

(1) النساء125
(2) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (ح ن ف) .
(3) الملل والنحل3 / 86
(4) الكتاب المقدس : تك16 : 1 -4
(5) دلت الاكتشافات على مثل هذا النظام ووجوده في « نوزي » بالقرب من كركوك في العراق .
(6) قاموس الكتاب المقدس : د . بطرس عبد الملك ورفاقه . مجمع الكنائس في الشرق الأدنى . طبعة ثانية . ص73

وثمانين سنة عندما وُلد له اسماعيل . وختنه أبوه والغلام في الثالثة عشرة من عمره علامة للعهد مع الله . وعادة الختان لا تزال سارية حتى يومنا هذا وقد كرَّسها الاسلام بتشريعه (ختانة الصبي قبل سن البلوغ) .

عمل إبراهيم على طرد هاجر وابنها بناء لرغبة زوجته سارة فتاهت الأم وابنها في البرية ، برية بئر سبع ، وكادا يهلكان من الظمأ لولا أن أرى الله الأم بئر ماء ، فاستقيا وأقاما بقربه ، وشبَّ الصبي وأصبح ماهراً في استعمال القوس(1) . وقد نقل صاحب الجمهرة لأنساب العرب عن عبد الله بن ربيع التميمي قال : خرج رسول الله على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق ، قال : « ارموا ، يا بني اسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً »(2) . ومما جاء في الكتاب المقدس أيضاً أنه كان لاسماعيل اثنا عشر ابناً صاروا آباء قبائل واشتهرت هذه القبائل فيما بعد بالتجارة والترحال من مكان الى آخر كما عُرفوا في قيادة الإبل وسكن الخيام واستعمال القوس . ومن هذه القبائل من استقر به الأمر ، وأسسوا ممالك مستقلة كالنبطيين والتدمريين والغساسنة واللخميين(3) . وقد ذكر المسعودي أن ابراهيم أسكن ولده اسماعيل مكة مع أمِّه هاجر وأمرها أن تتخذ عريشاً ، على ربوة حمراء ، موضع البيت ، يكون لها ولابنها مسكناً(4) . وينبع الله لهما ماء زمزم . وقد روى المسعودي أن النبيَّ (ﷺ) قال : « رحم الله أمَّنا هاجر ، لولا أنها بخلت ومنعت ماء زمزم من أن يجري بما حوَّطت حوله من الأحجار لجرى الماء على وجه الأرض »(5) . كما يروي قصة تفرُّق

---

(1) نفس المصدر ص74

(2) ابن حزم الأندلسي : جمهرة انساب العرب . دار المعارف « مصر » الطبعة الرابعة ص235

(3) راجع قاموس الكتاب المقدس ص75

(4) المسعودي : مروج الذهب : دار الأندلس « بيروت »1965 الجزء2 ص18

(5) نفس المصدر ص19

العماليق بعد أن أقحط الشحر واليمن . ويمم بعضهم نحو تهامة وأشرفوا على الوادي التي تقيم بها هاجر واسماعيل قرب الماء فيسكنوها ويتزوج اسماعيل منهم ويتكلم العربية خلاف لغة أبيه . ويزوره ابراهيم مرتين . وفي المرة الثانية تأتيه زوج اسماعيل الثانية ، سامية بنت مهلهل بن سعد الجرهمية ، بحجر كان في البيت وتجعله تحت قدمه اليمنى فيميل عن ركابه لأنه أبى النزول ، ثم تحول الحجر الى شماله فيضع عليه رجله اليسرى فتؤثر قدماه في الحجر . فتعجب الجرهمية من ذلك . فيقول ابراهيم : ارفعيه ، فسيكون له شأن ونبأ بعد حين . وهذا الحجر هو مقام ابراهيم[1] .

3 ـ في بناء البيت

واشترك اسماعيل مع أبيه ببناء البيت ، وهذا ما ذكره القرآن الكريم : ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعدَ من البيت واسماعيلُ ﴾[2] ، وبتطهيره ﴿ وعَهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهِّرا بيتي ﴾[3] والقرآن الكريم يشير إلى أن هذا البيت هو أول بيت إنساني يُتعبد فيه لله تعالى : ﴿ إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكّة مُباركاً وهُدىً للعالمين﴾[4] لقد دان اسماعيل بدين أبيه ابراهيم وهذا ما يؤكده القرآن الكريم بقوله : ﴿ **قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل**﴾[5] وكان صادقاً في ايمانه وفي وعده : ﴿ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد ﴾[6] .

---

(1) نفس المصدر ص 19 - 21

(2) القرآن الكريم : سورة البقرة آية 127

(3) نفس المصدر آية 125

(4) القرآن الكريم : سورة آل عمران اية 96

(5) نفس المصدر سورة البقرة آية 133

(6) نفس المصدر سورة مريم آية 54

مما تقدّم نفهم ان اسماعيل هو الابن البكر لابراهيم الخليل من أمته هاجر . وقد هاجرت به أمُّه الى برية بئر سبع[1] ومن ثم إلى الحجاز ليقيما « بواد غير ذي زرع »[2] فيتفجر ماء زمزم ليرويا ظمأهما . وعيَّل اسماعيل هناك بعد أن تزوج من امرأة عماليقية ثم من جرهمية . وشارك أباه في بناء البيت الحرام وقام بخدمته الى أن قُبض فتولى على خدمة « البيت » من بعده ابنه نابت ، ثم أناسٌ من جرهم ، ولما تكاثر ابناؤه غلبوا الجرهمين وأخرجوهم من مكة . وفي ذلك يقول الحارث بن مضاض الأصفر الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجُون إلى الصفا ... أنيسٌ ، ولم يسمر بمكةَ سامر
بلى نحن كنا أهلها ، فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا لإسماعيل صهراً ووصلة ... ولما تدُرْ فيها علينا الدوائر
وكنا ولاة البيتِ من بعد نابت ... نطوف بذاك البيتِ والخير ظاهر
فبدَّ لنا ربي بها دار غربة ... بها الذئبُ يعوي والعدو المحاصر[3]

ويقول أيضاً :

وكنا ولاة البيت والقاطن الذي ... إليه يؤدي نذرَه كلُّ محرم[4]

لقد عظَّم أبناء اسماعيل البيت وغيرُهم[5] فتولوه وطوفوا به واحرموا إليه وأدوا النذور له . وربما كان هذا هو الأثر المهم الذي تركه اسماعيل من عقيدة بالله وغرس هذه العقيدة كنخلة تنمو في صحراء النفوس القاحلة .

---

(1) كما تقدّم في الكتاب المقدس وربما اتجهت به من هناك الى الحجاز .
(2) سورة ابراهيم اية 37 .
(2) مروج الذهب : 2 / 23
(4) نفس المصدر ج 2 / 24
(5) الجرهميون مثلا

4 ـ الحج ومراسمه :

بعد أن بيّنا ما ذكره القرآن الكريم حول بناء « البيت » في مكة المكرمة عازياً رفع قواعده لابراهيم واسماعيل(1) يحسن بنا أن نشير إلى ما ذكره الاخباريون عن هذا الموضوع ولو باختصار لأن الطابع القصصي يغلب على كتاباتهم فلا تدخل في حدود التأريخ الملموس والبحث العلمي المجرد .

يذكر المسعودي أن ابراهيم قدم مكة واسماعيل ابن ثلاثين سنة حين أمره الله ببناء « البيت » فبناه بمساعدة ابنه اسماعيل . ثم يقدم المسعودي وصفاً لطول البيت وعرضه ، وعند الانتهاء من بنائه يقول : وأمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج(2) . والطبري لا يبعد كثيراً في روايته عن رواية المسعودي فيقول نقلاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : جعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : (ربنا تقبّل منا انك أنت السميع العليم) ، حتى كاد البناء أن ينتهي وبقي حجر واحد ، فذهب الغلام يبغيه ، ولما عاد ، وجد أباه قد ركب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبتِ ! من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبريل من السماء »(3) . أما الشهرستاني فيقر باختلاف الروايات حول بناء البيت . وهذه الروايات تقول أن آدم أول من عرف عرفات وصار إلى أرض مكة وأن ابنه شيث أول من بنى البيت الذي أزاله الطوفان ثم جاء ابراهيم وأعاد بناءه(4) .

---

(1) القرآن الكريم : البقرة 127 وآل عمران آية 96

(2) المسعودي : مروج الذهب . دار الأندلس ج 2 ص 22

(3) الطبري . تاريخ الرسل والملوك . ج 1 ص 251, 253 دار المعارف (مصر)

(4) الشهرستاني ، الملل والنحل : مؤسسة حلبي القاهرة 1968 ج 3 ص 76-77

هذه بعض من الروايات التي تحكي لنا قصة بناء البيت أوردناها للاستئناس ولاظهار ما اعتقده السلف في كيفية بناء البيت .

وبعد انتهاء ابراهيم من بناء الكعبة ، أمره الله عزَّ وجل أن يؤذن في الناس بالحج . وهذا ما جاء في القرآن الكريم ﴿ وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾[1] .

وهكذا أصبحت مكة محجاً للناس ، فبيتُها مبارك وهُدىً للعالمين إن فيه مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً[2] .

ولقد حجَّ العرب الى الكعبة ، إن في الحجاز كانوا أو خارجَها ، وطافوا حول البيت وقدسوه وأقسموا به . يقول زهير بن أبي سلمى :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوه من قريش وجرهم[3]

إن زهيراً يُسند بناء البيت الى رجالمن قريش وجرهم وربما يكون هذا صحيحاً بالمعنى المجازي . أي أنجرهموقد تولوا البيت بعد اسماعيل كما أسلفنا ، وأن هذا البيت قد تهدمبعضهبفعل العوامل الطبيعية فأعادوا ترميمه وكذلك قريش ، أو أن زهيراً قالذلك لغرض في نفسه وهو إظهار بعض القبائل على البعض الآخر . ومايهمنا هو أن زهيراً قد أقسم بالبيت وذكر الطواف حوله .

---

(1) القرآن الكريم . سورة الحج آية 22

(2) القرآن الكريم سورة آل عمران آية 3

(3) الأعلم الشنتمري ديوان زهير ابن أبي سلمى ص10 المكتبة العربية حلب 1970

وقدأقسم بالبيت مثله شاعر جاهلي آخر هو العوف بن الأحوص بقوله :

وإنـي والـذي حجّت قريشٌ محارمَه وما جمعت حِراءُ[1]

والنابغة الذبياني يقسم برب هذا البيت :

فلا ورب الـذي قد زرتـه حججاً وما هريق على الأنصاب من جَسَدِ[2]

ويقول لبيد :

فأقسم بالـذي حجّت قريش وموقف ذي الحجيج الى إلال[3]

كان العرب في جاهليتهم يحجون إلى الكعبة من جميع أرجاء الجزيرة العربية ، فيحج اليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم ويدينون للحُمْس من قريش[4] . كما حجَّ إليها بعض شعوب الأمم الأخرى كالهنود والفرس[5] . وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بتقديسهم الكعبة وحجهم إليها قال أحدهم :

وما زلنا نحج البيت قدماً ونلقى بالأباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق بأصيدينا
وطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروي الشاربينا[6]

---

(1) المفضليات ص174 د . جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين بيروت 1978 ج6 / 430

(2) ديوان النابغة الذبياني ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر / بيروت / ص35

(3) جواد علي6 / 430

(4) ياقوت الحموي . معجم البلدان دار صادر بيروت1977 5 / 183

(5) د . خربوطلي . تاريخ الكعبة دار الجيل بيروت1976 ص46, 110

(6) نفس المصدر ص27

مراسم الحج

الطواف ﴿ فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يُطوَّف بهما ﴾ (1) « وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ (2) .

ويحدث « الأزرقي » عن جده ، أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحُمْس (3) ، أو يأخذون ثياباً من الحمس ، إما اعارة وإما إجارة (4) . وكانت سنّة الطواف أن يبدأ الحاج باساف ، ثم يستلم الركن الأسود ، ثم يطوف عن يمين الكعبة سبعاً ، ثم يستلم الركن ، ثم نائلة فيختم بها طوافه . ثم يخرج (5) . وكان هناك عادات تتبعها النساء إذا ما أحرمت رجالهم كامتناعهن عن النسج والغزل وسلء السمن (6) أما عادات الحمس في أحرامهم فكانت بعدم مخض اللبن ، وأكل الزبد والسمن ، ولا يلبسون الوبر والشعر ، ولا يغزلونها ولا يستظلونها ما داموا حرماً . ويعظمون الأشهر الحرم (7) فلا يخفرون فيها ذمة ، ولا يظلمون فيها ، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم ، وكانوا يخرجون من نقب ينقبونه في ظهر بيوتهم ويدخلون منه عند عودتهم (8) هذا إذا كانوا أهل مدر . وعندما جاء الاسلام أبطل هذه العادة

---

(1) القرآن الكريم . سورة البقرة . آية 158

(2) القرآن الكريم . سورة الحج . آية 29

(3) الحمس . هم قريش وأحلافها « والأحمسي هو المتشدد في دينه » الأزرقي . أخبار مكة دار الأندلس ص 175

(4) نفس المصدر ص 177

(5) نفس المصدر ص 178

(6) نفس المصدر ص 180

(7) يرجح الدكتور « خربوطلي ان أشهر الحرم في الجاهلية هي : ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم ، وحرموا شهر رجب أيضاً تاريخ الكعبة ص 110

(8) أخبار مكة ص 180

يقول القرآن الكريم : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها ﴾[1] وقد روى الأزرقي عن ابن عباس قال : كانت قبائل من العرب يطوفون بالبيت عراةً ، الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وهم يقولون : لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب . وكانت المرأة إذا ما طافت عريانة تضع احدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها . وقد انشدت العامرية في ذلك :

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحلُّه[2]

وكان الحاج والحاجة إذا بلغا باب المسجد قالا للحمس : من يعير مصونا ؟ من يعير معوزاً فإن اعاره أحمسي ثوبه طاف به ثم طرحه بعد الطواف « لقاً »[3] وفي ذلك يقول ورقة بن نوفل :

كفى حزناً كرى عليه كأنه   لقاً بين أيدي الطائفين حريم[4]

مناسك الحج : يروي الأزرقي عن جده عن محمد بن اسحق أن ابراهيم الخليل بعد أن أتم بناء « البيت » طلب إليه « جبريل » أن يطوف واسماعيل به سبعاً . وبعد هذا الطواف صليا خلف المقام ركعتين : ثم أرى جبريلُ ابراهيمَ المناسك كلُّها الصفا والمَرْوَة ومنى ومزدلفة ، وعرفة[5] ، وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾[6] . ويروي البخاري عن

(1) القرآن الكريم البقرة189
(2) الأزرقي1 / 182
(3) « لقاً » الثياب المستعارة يرمونها بباب المسجد فلا يمسها أحد حتى تبلى .
(4) الأزرقي1 / 182
(5) الأزرقي1 / 66
(6) سورة البقرة158

الزهري عن عروة أنه سأل عائشة عن قول الله في القرآن الكريم ﴿ إن الصَّفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يُطوَّف بهما ﴾ معتقداً أنه لا وجوب للحاج أن يطوّف بالصفا والمروة فأجابت : بئسما قلت يا ابن أخي : إن الآية نزلت في الأنصار ، فقد كانوا قبل أن يسلموا يهِلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المُشلل ، ويتحرجون من أن يطوفوا بالصفا والمروة ولما أسلموا ، سألوا رسول الله عن ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ الآية ، قالت عائشة : وقد سنَّ رسول الله الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك ذلك[1] .

ومن هذه الرواية يتبين لنا أن « الجاهليين » كانوا يتحرجون من الطواف بالصفا والمروة ولا يمتنعون ولربما كان الأقدم عهداً منهم يسعون بين الصفا والمروة .

وفي الإسلام فإن التوجه الى منى هوسنة متبعة[2] ، إلى يومنا هذا ، وكذلك التوجه الى عرفة والوقوف يومها وقد روى مربع الأنصاري عن الرسول أنه قال : « كونوا على مشاعركم[3] فإنكم على إرث من إرث إبراهيم »[4]

رمي الحجار :

روى البيهقي عن ابنْ عباس عن الرسول أنه قال : « لما أتى ابراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه حصيات حتى

---

(1) السيد سابق . فقه السنة دار الكتاب العربي / بيروت / المجلد الأول ص 760-761 .
(2) نفس المصدر ص716
(3) مواضع النسك .
(4) نفس المصدر ص722

ساخ في الأرض . ثم عرض له عند الجمرة الثانية . . . . ثم الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض » . قال ابن عباس : الشيطان ترجمون ، وملّة أبيكم تتبعون[1] .

وقال دُكَين الشاعر :

ظلَّ يحجُّ وظللْنا نحجُبُه وظلَّ يُرمى بالحصى مُبوَّبُه[2]

ويروي ابن هشام : أن الغوث بن مركان يلي الإجازة للناس بالحج . وهذا في أحد ادوار الجاهلية ـ والغوث هذا يقول :

لا هُمَّ إني تابعٌ تباعه إن كان إثمٌ فعلى قضاعة[3]

إن الغوث الشاعر يتبع سنة ما كان يفعله السلف وإن كان في اجازته للناس بالحج من إثم فهذا الإثم على قضاعة وليس عليه ، وقضاعة كانت تستحل الأشهر الحرم .

ويروي صاحب السيرة أيضاً عن عبد الله بن الزبير عن أبيه . أن (صوفة) كانت تدفع بالناس من عرفة ، وتجيز بهم إذا نفروا من منى ، وإذا أرادوا رمي الحجار فلا يرمون إلا إذا رمى رجل من صوفة ولا يرمي حتى تميل الشمس . وفي ذلك يقول أوس بن تميم بن مغراء السَّعْدي :

لا يبرح الناسُ ما حجُّوا مُعرَّفهم
حتى يُقال أجيزوا آل صفوانا[4]

---

(1) نفس المصدر ص727

(2) ابن منظور . لسان العرب دار صادر بيروت2 / 227

(3) ابن هشام السيرة النبوية تحقيق السقا ورفاقه ـ دار الكنوز الادبية1 / 119 .

(4) نفس المصدرا / 120-121

ويقول ذو الإصبع العدواني :

عذيرَ الحـــيُ من عَـدوا ن كانـــوا حيَّـة الأرض
ومنهـــم كانـــت الســـادا تُ والمــوفــون بالقَرْض
ومنهـــم من يُجيز النَـا س بالسُنَّـة والفرْض (1)

فصوفة تجيز للناس بالحج من عرفة وتدفع بهم من عَرفة الى منى وإذا كان يوم النفر لا يرمون الحجار حتى يرمي أحد رجال صوفة . وعَدوان كانت الإفاضة من المزدلفة فيها .

كسوة الكعبة :

لا نرى بأساً ونحن نتكلم عن الحج ومراسمه ومناسكه من أن نتعرض لكسوة الكعبة لنشير الى مكانتها عند الجاهليين . فقد روى الأزرقي عن جده حديثاً مسنداً الى أبي هريرة عن النبي ، أنه نهى عن سبب أسعد الحميري وهو تبع ، لأنه كان أول من كسا الكعبة وصايل من ثياب حبرة من عصب اليمن وفي ذلك يقول أسعد هذا .

وكسونـــا البيت الـــذي حرّم اللـــ ـــه ملاء ومعضــــدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنـــا لبابـــه اقليدا
وخرجنـــا منـــه نؤم سهيلا قد رفعنـــا لواءنـــا معقودا (2)

ويقول صاحب « فقه السنـة » : كان النـاس في الجـاهلية يكسـون الكعبة ، حتى جاء الاسلام فأقرَّ كسوتها . ويقول : « كُسَي البيت في الجاهلية

---

(1) نفس المصدر ، / 121
(2) الأزرقي ـ أخبار مكة ص250 وفقه السنة ص710 وراجع معجم البلدان لياقوت4 / 465 دار صادر .

الأنطاعَ ، ثم كساه رسول الله (ﷺ) الثياب اليمانية ، وكساه عمر وعثمان القباطيَّ ، ثم كساه الحجاج الديباج[1] .

وقد اعتبرت قريش الأرض المحيطة بالكعبة مكاناً مقدساً وجعلته حرماً آمناً لا يحل فيه القتال[2] . ويُحرَّمُ على المُحرِمِ والمقيم صيدُ الحرم ، وتنفيره وقطع شجره ، وقطع الرطب من النبات .

كما كانت أشهر الحج عند الجاهليين أشهراً حرماً ، يُحرم فيها القتال ، فكان العرب يغتنمون فرصة هذه الهدنة المقدسة فيشدون الرحال الى مكة من كل حدب وصوب ، يشهدون الأسواق التي كانت تقام قبل الحج ، وهي أسواق تجارية أدبية كسوق عكاظ الذي أصبح موئلاً للأدب والشعر تتسابق فيه القبائل لإظهار نوابغها من شعراء وخطباء ، ومتى فرغ الناس من هذه الأسواق وقفوا في عرفة ثم يأتون مكة يؤدون مناسك الحج ومن ثم يؤوبون الى ديارهم وهم آمنون مطمئنون[3] ، لا يخافون غدر غادر أو يتعرض خصم لسلامتهم وهم جميعهم على هذا السنة من العادات .

لقد توصل القرشيون في عهد ليس ببعيد عن ظهور الإسلام الى امارة الكعبة ومكة[4] وعقد رؤساؤهم معاهدات سياسية واقتصادية مع العرب الحميريين في اليمن والغسانيين في بلاد الشام ومع العالم الخارجي ، الرومان والأحباش والفرس[5] مما زاد في مكانة الكعبة والتوجه اليها بقصد الحج

---

(1) فقه السنة ص760 .
(2) تاريخ الكعبة ص47
(3) نفس المصدر ص64
(4) نفس المصدر ص43 عن حاشية كتاب تاريخ التمدن ج1 ص36
(5) نفس المصدر ص44 عن الطبري ج2 / 13 .

وغيره . كما تقاسم القرشيون مناصب المراسم مما نظم وسهل في عملية الحج وزيارة البيت . ومن هذه المناصب : السدانة والسقاية والرفادة[1] . . . وغيرها. وكان من نتيجة المعاهدات مع العالم الداخلي والخارجي والسهر على راحة الحجاج أن أمَّ مكة أناس عرب وأجانب ، من يهود ونصارى ووثنيون وأحباش وفرس وروم[2] . وربما انضم بعض هؤلاء الناس إلى آخرين من أبناء بجدتهم كانوا يقطنون هناك فأقاموا بمكة وألفوا جاليات لها مالها من تأثير في الحياة الدينية والاجتماعية للمدينة . ومن الممكن أن يكونوا حجاجاً حقيقيين أو أتوا لأسباب أخرى كنشر دعوة أو عقيدة دينية أو فكرة سياسية .

وكان الحجاج يسوقون معهم الأضاحي ليذبحوها قربان شكر أو يتركوها سائحة ترعى في الأرض الحرام ويُحرم على الجميع امتلاكها[3] . وهذه الأضاحي التي تُسمى الهدي كانت تعين صاحب الرفادة في القيام بمهمته لإطعام فقراء الحجاج . وقد ذكر عوف بن الأحوص « الهدايا » بشعره حيث يقول :

وإني والذي حجّت قُريش	محارِمَه وما جمعت حِراءُ
وشهر بني أمية والهدايا	إذا حُبست مُضرَّجَها الدماء
أذمُّكِ ما ترقرق ماءُ عيني	عليَّ إذاً من الله العفاء[4]

ومما يُرجِّح أن ذبح الأضاحي من قبل العرب الجاهليين ترجع الى تقليد

(1) بلغت خمسة عشر منصباً انظر تاريخ الكعبة ص44
(2) تاريخ الكعبة ص59
(3) نفس المصدر ص119
(4) المفضليات ص174 دار المعارف

في هــذا المضمار يعود إلى ابراهيم الذي امتحن بذبح ولده ففداه الله بكبش غنم . كما اعتادوا أن يلطخوا جدران الكعبة بدماء الذبيحة « القربان »[1] وربما كانت هذه أيضاً عادة يهودية بدأت بموسى في مصر وبقيت سائدة إلى أيام المسيح . . . .

(1) تاريخ الكعبة ص119

الفصل الثالث

اليهود

لقد عُرف اليهود عند الجاهليين ، وورد ذكرهم في الشعر الجاهلي ، إذ من الممكن أن يكون بعض الجاهليين العرب قد تهود أو وقف على أحوالهم الدينية على الأقل . يقول أوس بن حجر :

قد نِمْتَ عني وبات البرقُ يُسهرني   كما استضاء يهوديٌّ بمصباحِ[1]

وقد سكن اليهود مواضع شتى من الجزيرة العربية كما بينا سابقاً[2] ، سكنوا ما بين فلسطين ويثرب ، وفي اليمن واليمامة والعروض . وكان تجار منهم يقيمون في مكة ، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب قصد الاتجار واقراض المال[3] .

وقد وردت لفظة (يهود) معرَّفة في القرآن الكريم في سورة البقرة والمائدة والتوبة[4] وهي سور مدنية . ووردت أيضاً في سورة آل عمران المدنية عند شرح ديانة ابراهيم ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾[5] .

---

(1) تحقيق محمد يوسف نجم ديوان أوس بن حجر . دار صادر بيروت ص15

(2) انظر صلة قدامى العرب بالعبرانيين .

(3) جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . دار العلم بيروت6 / 511

(4) القرآن الكريم : البقرة113 -120 المائدة18 -51 -64 -82 التوبة : 30

(5) القرآن الكريم آل عمران67

وقد عُرف اليهود باسم آخر هو « العبرانيون » من العِبر ، وربما واتتهم هذه التسمية من عبور جدهم ابراهيم نهر الفرات أو من عبورهم مع موسى للبحر الأحمر أو بواسطة النسب إلى « عابر » أحد أجداد ابراهيم ، وكان أول من منحهم هذا اللقب الكنعانيون ، إذ سموا إبراهيم « إبرام العبراني »[1] .

ويُقال لهم أيضاً (اسرائيليون) ومعنى هذا الاسم « يجاهد مع الله » أو « الله يصارع » وقد أطلق هذا الاسم على يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، ثم على نسله من بعده[2] ويقال لهم (هود) و (هادوا) وقد تغلبت كلمة (يهود) عليهم فيما بعد وربما كان أصل هذه التسمية أو هذه الكلمة من (يهوذا) وهو رابع أبناء يعقوب وسبط من أسباط بني اسرائيل[3] وقد أصبحوا يُعرفون باليهود ومعنى هاد ، يهود ، تهوّد ، هوداً : تاب ورجع الى الحق[4] وفي القرآن الكريم ﴿ إنا هدنا إليك »[5] أي تبنا إليك . و « الذين هادوا » و« من كان هوداً » و « كونوا هوداً ﴾[6] .

أماكن تواجدهم

يتبين من كتابات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) أن اليهود كانوا قد وجدوا لهم سبيلاً بين العرب ، وإن بعض ملوك مملكة (حدياب)

---

(1) الكتاب المقدس سفر التكوين10 :13: 14, 14: 11, 24

(2) قاموس الكتاب المقدس . بطرس عبد الملك ورفاقه . مجمع الكنائس في الشرق الأوسط . الطبعة الثانية ص69

(3) نفس المصدر ص1084

(4) اللسان مادة(هـ و د)3 / 439 صادر

(5) الأعراف7 / 156

(6) البقرة62, 111, 135, 140 وقد وردت هذه الألفاظ أيضاً في النساء والمائدة والأنعام والنحل والحج والجمعة

كانوا قد تهودو [1] ، ويظهر التلمود أن نفراً من العرب دخلوا في اليهودية ، وانهم جاءوا إلى الأحبار ، فتهودوا أمامهم [2] . ويتحدث جواد علي ، نقلاً عن (اليعقوبي) أن اليهودية كانت في حمير ، وبني كنانة ، وبني الحارث بن كعب ، وكندة ، وغسّان . ويقول عن اليعقوبي : إن من تهوّد من العرب (اليمن بأسرها) .كان تُبّع حمل حبرين من أحبار- يهود الى اليمن ، فأبطل الأوثان ، وتهوَّد مَن باليمن ، وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير . وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام » [3] . إن اليعقوبي وعند تحدثه عن تهويد بعض الأوس والخزرج ، يعزي هذا العمل لمجاورتهم اناس يهود من بني قريظة والنضير وأهل خيبر ، وكأنه اعتراف منه بيهودية أولئك الناس . وربما كان أهل الأخبار على حق ، لأن فلسطين حيث يقيم اليهود من أقدم عهودهم كانت ولا تزال على قاب قوسين من أرض العرب وهي بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسورية من جهة ومصر والعراق من جهة أخرى ، كما كانت القوافل العربية ، تأتي من بلادها الى الأسواق ومدن بني اسرائيل وكنعان ، وكما كان تجار اليهود يرحلون الى سبأ في عهد سليمان وبعده [4] . ويروي ابو فرج الأصفهاني عن الأخفش عن العماري قصة عن نزول بعض جيش موسى النبي ، المدينة واتخاذهم بها الأطام والأموال والمزارع ومكوثهم بها زماناً طويلاً وذلك بعد قهر هذا الجيش للعماليق سكان تلك الديار ، وبقي اليهود في المدينة وجوارها حتى زمن الروم لينضم إليهم يهود بني النضير وبني

---

(1) جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب ص514 عن Die Araber 2. 65

(2) نفس مص ص514 عن Die Aaraber 2-74 .

(3) نفس المصدر ص514 عن اليعقوبي (1 / 226 وما بعدها) .

(4) عفيف عبد الفتاح طبارة . اليهود في القرآن دار العلم للملايين . الطبعة السادسة ص17 عن تاريخ اليهود في بلاد العرب (ولفنسون) ص8

قريظة وبني بهدل هاربين من الشأم من وجه الروم فيقيمون في (بطحان ومهزور) . وكان يقال لبني قريظة وبني النضير (الكاهنان) ، وربما أتتهم هذه التسمية لانتسابهما إلى هارون الكاهن أخي موسى . يقول كعب بن سعد القرظي :

بالكاهنين قررتم في دياركم (جاثوا كم) ومن اجلاكم جدبا

ويقول العباس بن مرداس السلمي يرد على خوّات بن جبير لما هجاهم :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نِعمٌ كانت مدى الدهر ترتبي[2]

كما يخبرنا أبو الفرج : أن الأوس والخزرج نزلوا المدينة عند سيل العرم على أهل مأرب، وكانوا في ضيق من المعاش لأن الأموال والنخل والزرع لليهود سكان المدينة ، فلبثوا في المدينة حيناً ثم استنجد أميرهم مالك بن العجلان بأبي جبيلة الغساني ملك بلاد الشأم ، وقد ترك مأرب مع قومه عند السيل وسكن الشام ، فأتى لنجدته وفتك بعلية القوم من اليهود في المدينة . وبذلك تقول سارة القريظية ترثي من قتل أبو جبيلة :

بنفسي أمة لم تغن شيئا	بذى حرض تعفيها الرياح
كهول من قريظة اتلفتها	سيوف الخزرجية والرماح
رزئنا والرزية ذات ثقل	يمرُّ لأهلها الماء القراح
ولو اربوا بأمرهم لجالت	هنالك دونهم جأوى رداح[3]

(1) ابو فرج الأصفهاني . الأغاني : دار الفكر بيروت1973 . 19 / 94، 95

(2) نفس المصدر19 / 95

(3) نفس المصدر19 / 96

ويقول الصامت بن أصرم القوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود :

سائـــل قريظـــة من يقســـم سبيها يوم العـــريض ومـــن أفـــاء المغنما
جاءتهـــم الملحـــاء تخفـــق ظلها وكتيبـــة خشنـــاء تدعـــو سلما
عيٌ الـــذي جلـــب الهمام لقومه حتـى أحـل على اليهـود الصيلما (1)

وخطا مالك بن عجلان خطى أبي جبيلة فقتل من اليهود بضعةً وثمانين رجلاً ، كلهم من أشراف القوم . وقال أبو الفرج أن اليهود صورت مالكاً في معابدهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوها . وبذلك يقول مالك هذا :

تحانـــي اليهـــود بتلعانها تحانـــي الحمـــير بأبوالها
فماذا عليٌ بأن يلعنوا وتأتـــي المنـــايا باذلالها (2)

وما يهمنا مما تقدم هو وجود اليهود في المدينـة . وقـد ذكر أبـو عمـر و الشيبياني أن أحد بني قريظة واسمه أوس بن دني ، كانت له امرأة من قبيلته أسلمت عند بروز الاسلام وفارقته ثم نازعتها نفسهـا إليه فأتتـه ورغبتـه في الاسلام فأبى وقال :

دعتنـــي إلى الاســـلام يوم لقيتها فقلـــت لهـــا لا بل تعـــالي تهوّدي
فنحـــن على توراة موسى ودينه ونعـــم لعمـــري الـــدين دين محمد (3)

وهذا يدل على أن اليهود بقوا في المدينة حتى قيام الدعوة الاسلامية . ويحدثنا جواد علي عن بعض المواضع التي سكنها اليهود فيقول : « وقد انتشر

(1) نفس المصدر19 / 97
(2) نفس المصدر19 / 97
(3) نفس المصدر19 / 97

اليهود جماعات جماعات استقرت في مواضـع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر إلى يثرب ، فبنوا فيها الآطام لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم[1] ويقول أيضاً : « وكان يقيم بـ(مقنا) عند ظهور الاسلام قوم من اليهود اسمهم بنو جبنة ، وقد كتب اليهم الرسول يدعوهم الى الاسلام ، أو الى رفع الجزية »[2] وينقل ياقوت عن الواقدي ، أن الرسول صالحهم على عروكهم وربع ثمارهم وكانوا يهوداً[3] .

وما دام الحديث عن تيماء وخيبر وغيرها من الأماكن التي نزلها اليهود . فها هو السموأل بن عاديا يذكر لنا مكان إقامته فيقول :

فبالأبلـــق الفـــرد بيتـــي به　　　وبيت النضـــير سوى الأبلق[4]

ويقول صاحب الأغاني « وكانت العرب تنزل بحصن السموأل الذي بناه له جده ، فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقاً وبه يضرب المثل في الوفاء لتسليمه ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في أدراع أودعها »[5] . وفي ذلك يقول السموأل :

وفيت بأدرع الكنـــدي اني　　　إذا ما ذم أقـــوام وفيت
وأوصى عاديا يومـــا بأن لا　　　تهـــدّم يا سمـــوأل ما بنيت
بنـــى لي عاديا حصنـــا حصينا　　　ومـــاء كلما شئـــت استقيت[6]

---

(1) جواد علي6 / 516
(2) نفس المصدر6 / 518
(3) ياقوت الحموي . معجم البلدان دار صادر بيروت5 / 178
(4) الأغاني دار الفكر بيروت1970 19 / 98
(5) نفس المصدر .
(6) نفس المصدر19 / 99

إن يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطوناً ، منهم : بنو عكرمة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر وبنو زغورا ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيص[1] . ويرى جواد علي أن يهود الحجاز لم يكونوا بدواً يتنقلون من مكان الى آخر ، بل كانوا حضراً استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها ، يمارسون مهن أهل المدر[2] .

لقد كانت منازل بني النضير حينما غزاهم الرسول في وادي بطحان وبموضع البويرة[3] وبطحان كما يحدده ياقوت الحموي : هو واد بالمدينة وكما يحدده ابن مقبل :

ففي بطحان من سُليمـــى فيثربُ ، فمُلقى الرجال من مِنى ، فالمحصَّبُ[4]

أما البويرة فهي موضع منازل بني النضير اليهود الذين غزاهم الرسول ، بعد غزوة أحد بستة أشهر ، فأحرق نخلهم وأهلك زرعهم وشجرهم ، وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

يَعـــزُّ ، على سراة بنـــي لُؤيٍّ ، حريقٌ بالبُـــويرةِ مستطيرُ

فيجيبه حسان بن ثابت :

أدام الله ذلـــكم حريقا ، وضرَّم في طوائفهـــا السعيرُ
همُ أوتـــوا الكتـــاب فضيَّعُوه ، وهـــم عُمـــيٌ عن التـــوراة بُورُ

---

(1) نفس المصدر 19 / 95
(2) جواد علي 6 / 522
(3) نفس المصدر 6 / 523
(4) معجم البلدان 1 / 446, 447

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ [1].

ومن بني النضير هؤلاء ، كان الشاعر كعب بن الأشرف الذي ناصب الرسول العداء فعلاً وقولاً ، فهجا الرسول ، وهجا أصحابه ، حتى أهدر الرسول دمه فقتل[2] .

ولم تكن القبائل اليهودية فيما يبدو على وفاق ووئام دائم مع بقية أبناء دينهم ، فلقد وقعت بين بني قينقاع المقيمين في بعض أحياء يثرب وبين بني النضير وبني قريظة معارك فُتك فيها ببني قينقاع ، وأصيبوا بخسائر كبيرة[3] .

ويرى (أوليري) احتمال كون بني قينقاع من أصل عربي متهود[4] ، وربما كان هذا الرأي صحيحاً فتحالف أبناء النضير وقريظة أصحاب الأصل والدين الواحد على بني قينقاع الذين يوافقونهم في المذهب ويخالفونهم في الأصل و(القومية) .

ويقول جواد علي أنه « قد تكون بعض القبائل التي ذكرناها سابقاً قبائل يهودية حقاً هاجرت من فلسطين في أزمان مختلفة ، ولكن بعضاً آخر منهم لم يكن من أصل يهودي ، إنما كانت قبائل عربية دخلت في دين اليهود »[5] .

لقد سكن اليهود خيبر أيضاً وافتتحها الرسول عام سبع للهجرة ، وبقوا

---

(1) معجم البلدان 1 / 512، 513

(2) الأغاني 19 / 106، 107

(3) جواد علي 6 / 524

(4) نفس المصدر عن O'beary p 173

(5) جواد علي 6 / 524

فيها حتى أجلاهم عمر بن الخطاب عنها فاتجهوا ناحية الشام[1] أما تيماء والتي كان يشرف عليها حصن السموأل الذي مرّ ذكره ، فقد صالح يهودَها الرسول على الجزية سنة تسع للهجرة ثم أجلاهم عمر مع من أجلى من يهود الجزيرة[2] ..

وقد نعتت تيماء ببعض الأشعار ، بتيماء اليهود ، يقول الأعشى :

ولا عاديا لم يمنع الموتَ ما لَه وورِدٌ بتيماءِ اليهودي أبلقُ

كما قال بعض الأعراب :

إلى الله أشكو ، لا إلى الناس ، أنني بتيماءَ تيماءِ اليهودِ غريبُ[3]

وتيماء هذه هي من أهم مواطن اليهود في الجزيرة ، ولقد تحدثنا عنها سابقاً[4] .

وسكن اليهود (فدك) ، وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، صالح الرسول أهلَها على النصف من ثمارهم وأموالهم[5] . كما أقام اليهود في وادي القرى ، وكانوا الأكثرية الساحقة من السكان[6] ، وفي مقنا وأيلة وفي بقية القرى الواقعة في أعالي الحجاز ، وعلى ساحل البحر ، وقد صالحوا

---

(1) معجم البلدان 2 / 410

(2) نفس المصدر 2 / 67

(3) معجم البلدان 2 / 67

(4) (راجع صلة قدامى العرب بالعبرانيين

(5) معجم البلدان 4 / 238

(6) جواد علي 6 / 529

الرسـول على الجـزية[1] . وكان بالطـائف قوم من اليهـود وُضعـت عليهـم الجزية ، عندما أسلم أهل الطائف الوثنيون ، وبقوا فيها ، ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله هناك[2] . كما كان هناك أفراد وأسر من اليهود جنوبي المدينـة وحتى اليمن ، في مكة وعدن والمدن التي اشتهرت بالتجارة كبعض موانـىء البحر الأحمر وموانىء العربية الجنوبية[3] .

يهود اليمن :

في هذه الرقعة من ديار جزيرة العرب ، عششت اليهودية وباضـت ، وظهر التهود فيها ظهوراً واضحاً ، وصارت اليهودية الديانة الرسمية للبلاد . ويحدثنا صاحب الأغاني عن كيفية دخول اليهودية الى بلاد اليمن فيرجعها الى « تبع الأخير أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميري اليمني »[4] الذي قاد حملة عسكرية من بلاده إلى بلاد المشرق ماراً بالمدينة والشأم حتى العراق حيث نزل بالمشقر . ولا يمكث طويلاً هناك لابلاغه خبر مقتل ابنه الـذي استخلفه بالمدينة ، فيعود أدراجه ليشن حرباً ضارية على سكان المدينة وقد أوقفها بتأثير حبرين من أحبار اليهود واصطحبهما معه عند أوبته وتهود ، وتهوّد معه أهل اليمن[5] .

لقد وجدت اليهودية الى اليمن سبيلاً ، إن كان عن طريق « أبو كرب تبع » أو عن طريق المبشرين أو التجار أو بتأثير « ملكة سبأ » التي زارت سليمان ، أو لأن اليهود هربوا من الأشوريين والكلدان والرومان فاتجهوا الى

---

(1) معجم البلدان 5 / 178
(2) البلاذري فتوح البلدان ص 63
(3) جواد علي 6 / 530
(4) الأغاني 13 / 120
(5) الأغاني 13 / 120-123

الحجاز واليمن ، فقد تكاثر عدد اليهود في تلك البلاد وفرضوا عقيدتهم على السكان وظلوا على صلات مستمرة بفلسطين حيث يقوم الهيكل الأول (الذي يحوي تابوت العهد) . وقد عُثر على كتابة في جنوب شرقي حيفا ، على أحد القبور ، ورد فيها (مناحيم قيل حمير) والقبر هذا من قبور كبار الأحبار ، فيكون صاحب القبر ، والحالة هذه ، حبراً من أحبار اليهود جاء من جنوبي جزيرة العرب إما للاتصال بعلماء الشريعة أو للزيارة ومات ودفن هناك . وقد أرجع الباحثون تاريخ الكتابة الى حوالي سنة (200 م)(1) .

كما عثر في اليمن على نص مكتوب بالمسند ، عثر عليه (كلاسر) ونشره المستشرق(ونلكر) ،يقول « تبرك سم رحمنن ذ بسمين (سمن) ويسر ال والهمو رب يهود . . . الخ النص »(2) ويعني بالعربية : « تبارك اسم الرحمن الذي في السماء واسرائيل واله رب يهود . . . . » .

وقد بقيت اليهودية في اليمن ، وإن ضعفت بعض الشيء عند دخول الأحباش النصارى إليها ، وظلت بعد الاسلام ولسنوات قريبة من هذا التاريخ حيث غادروها على أثر حوادث فلسطين(3) . وقد كانت نجران من المستوطنات المهمة التي نزل بها اليهود في اليمن وفيها حفر ذو نواس الأخدود للنصارى وقتل منهم الألوف(4) وقد أخبر القرآن الكريم عن هذه الحادثة ، بقوله :﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ﴾(5) .

---

(1) جواد علي6 / 539 عن Die Araher 3- 16

(2) نفس المصدر6 / 541 عن Winckler. AOF. I-337

(3) جواد علي6 / 541

(4) معجم البلدان5 / 268

(5) القرآن الكريم . سورة البروج آية3 -5

ووُجد اليهود في مواضع أخرى من الجزيرة العربية ، وُجدوا في العربية الشرقية ، وفي نجد ، وفي بعض مواضع العربية الجنوبية ، وفي البحرين[1] .

إذن من المرجح ، وبعد هذا التبسيط الذي أوردناه ، أن يكون اليهود قد تواجدوا وبنسب مختلفة في أكثر مواضع الجزيرة العربية المعروفة في الزمن الجاهلي . . . لأن اليهود قد وصلوا الى مصر وأقاموا فيها ، ومصر بعيدة عن فلسطين والجزيرة قريبة منها فكيف يعقل أن يقيموا في الأمكنة البعيدة ، ولأي سبب كانت هذه الإقامة ، ولا يقيمون في مكان له صلة جغرافية بفلسطين . إن أوراق البردي التي عُثر عليها في جزيرة الفيلة قرب أسوان في « مصر » والتي تثبت وجود مستوطنة يهودية في تلك الجزيرة ، في الحقبة البابلية ، وتظهر أيضاً ، أن سكان المستوطنة كانوا يؤدون شعائرهم الدينية لـ« يهوه » وفي الوقت نفسه لإلهين آخرين ، هما في أغلب الظن إلها الجزيرة المحليّان[2] .

اليهود والمتهودون وحياتهم الاجتماعية وأثرهم في عرب الجاهلية .

يحدثنا جواد علي عن رأي المستشرق (ونكلر) في موضوع يهود الجزيرة فيما قبل الإسلام ما خلاصته : أن أولئك اليهود لو كانوا يهوداً حقا في الجنس والعقيدة لكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كانوا هم عليه . فهم وعلى هذا الرأي عرب متهودون ، لا يهود مهاجرون[3] . ولكن « مرغلوس » يرى عكس ذلك : فيهود الحجاز كانوا يختلفون عن الأعراب بحياتهم الاجتماعية فيشتغلون بالزراعة ويمتهنون بعض المهن التي يأنفها العربي الأصيل ، ولا يرغبون في القتال ولا يميلون الى الغزو

---

(1) جواد علي6 / 542

(2) جورج قرم . تعدد الأديان وأنظمة الحكم ـ دار النهار بيروت1979 هامش ص63

(3) جواد علي6 / 531 عن222 -Winkler mett. 6

اوالحروب»[1] . وفي رأيي أنه ربما كان الاثنان على حق ومن الممكن أن يكون بعض العرب قد تهود ، فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص ، هي اسماء عربية .

وشعر شعرائهم ، يحمل الطابع العربي والفكر العربي ، وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية ما كانوا يختلفون كثيراً عن العرب . فهم في أكثر أمورهم كالعرب . ولعلَّ هذا بسبب المتهودين الكثر على من كان من أصل يهودي . ومن الممكن أيضاً وعلى حسب الرأي الثاني أن يكون اليهود قد امتهنوا المهن واشتغلوا في الزراعة لقلة عددهم باديء ذي بدء ثم تعودوها عندما قويت شوكتهم بكثرة عددهم .

لقد عاش اليهود في جزيرة العرب كالعرب أنفسهم ، فلبسوا لباسهم ، وتزوجوا منهم وصاهروهم ، ولعلَّ كون بعضهم من أصل عربي وتهوّد هو الذي حطم القيود التي تحول بين المصاهرة الازدواجية[2] .

ولا يرى « مرغلوس » بين أسماء البطون اليهودية الأحد عشر ، والتي كانت في الحجاز عند ظهور الاسلام ، اسماً تظهر عليه الملامح العبرانية غير اسم (زعوراء)[3] .

ولم ينشيء اليهود ممالك يهودية في بلاد العرب ، بل كانوا شبه مستقلين في حماية سادات القبائل في أكثر الأحيان ، يعقدون معهم المحالفات ويؤدون لهم الإتاوات .

---

(1) نفس المصدر عن Margollouth P. 62

(2) جواد علي 6 / 532 عن Nöldeke 55

(3) نفس المصدر عن Margollouth p. 60

وقد كان اليهود يخضعون في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وساداتهم ، أصحاب الأكام والجصون والأرض ، يدفعون لهم ما هو مفروض عليهم آداؤه كل عام[1] . ويتولى الأحبار الأمور الدينية ، يقيمون الصلاة وينظرون في شكاوى الناس ويعلمون الأولاد في بيوت المدراس . [2] .

وقد عُرفت مساجد اليهود ، والمواضع التي يصلون بها ، بالمحاريب جمع محراب . وقد ذكرها قيس بن الخطيم في شعر له بقوله :

نمتها اليهودُ إلى قبَّة دُوَيْن السماءِ بمحرابها [3]

وعُرف علماء اليهود ورجال دينهم بـ(الأحبار) جمع (الحبر) و (الربانيين) وقد وردت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم[4] : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبارُ عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحتَ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ .

ويتبين من القرآن الكريم ، أنه كان للأحبار والربّانيين نفوذ عظيم على اليهود الذين يطيعونهم طاعة عمياء ويفعلون ما يأمرونهم به[5] .

إن لفظة (حبر) قد وردت في شعر للشماخ بقوله :

كما خطَّ عبرانية بيمينه بتيماء حبرٌ ثم عرَّض اسطرا [6]

---

(1) نفس المصدر6 / 533 عن الروض الانف6 / 194 .

(2) جواد علي6 / 533 وانظر اللسان مادة (درس)6 / 80 صادر

(3) ديوان قيس بن الخطيم . ص135 صادر تحقيق ناصر الدين الأسد .

(4) سورة المائدة44 ، 63 والتوبة31 ، 34

(5) سورة التوبة آية31

(6) اللسان مادة (حبر)4 / 158 صادر

إن القرآن الكريم يطلق على أسفار اليهود ، أي كتبهم المقدسة (التوراة)[1] والزبر والزبور[2] ، والكتاب[3] .

وقد ذكر هذه الزبر امرؤ القيس بشعره ، والمرقش الأكبر ، وأمية بن أبي الصلت يقول امرؤ القيس :

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زَبُورٍ في مصاحف رهبان[4]

ويقول أيضاً :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زَبُور في عسيب يماني[5]

أما المرقش السدوسي فيقول :

وكذاك لا خير ولا شي على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبو ر الأوليات القدائم[6]

إن شعر المرقش هذا هو عظة بليغة عن زوال المجد والنعمة « فكل ما عليها فانٍ » وقد عرف ذلك المرقش من آيات الزبر الأوليات القدائم . . .

أما أمية بن أبي الصلت فيقول :

وأبرزوا بصعيد مستوى جرز وأنزل العرش والميزان والزبر[7]

---

(1) آل عمران 3، 48، 50، 65، 93 المائدة 43 وما بعدها . الصف 6 الفتح 29 الجمعة 5
(2) الأنبياء 105 الاسراء 55 آل عمران 184 القمر 43
(3) فاطر 25 ال عمران 184 المؤمنون 49 الفرقان 35 القصص 43 .
(4) ديوان امرىء القيس ص 173 صادر / بيروت
(5) نفس المصدر ص 170
(6) اللسان مادة (حتم) 12 / 113 صادر
(7) جواد علي 6 / 555 عن النصرانية القسم الثاني الجزء الثاني (ص 184)

ولعلّ اليهود قد استنسخوا كتبهم الدينية بلغة العرب فهم يعرفون الكتابة الجيدة بشهادة الشاعر (الأسود بن يعفر) الذي يذكر أن يهوديين مُجيدَين من تيماءَ أو من مدين قد خطّا سطوراً في مهرقيهما ، بقوله :

سطورُ يهوديين في مهرقيهما مُجيدين من تيماء أو أهل مدين[1]

إن الأسود بن يعفر يميز بين الكتابة الجيدة والكتابة الرديئة باستعماله لفظة (مُجيدين) . فإن لم تكن كتابتهما في العربية فكيف يحكم عليهما بالإجادة ؟

وفي حديث لسُويد بن الصامت . أنه قال للرسول (ﷺ) : لعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال : وما الذي معك ؟ قال سويد : مجلة لقمان فقال له الرسول : أعرضها علي . فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا لكلام حسنٌ والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى ، هو هدي ونور[3] .

يُفهم من هذا الكلام ومن أحاديث أخرى[4] ، أن هناك كتباً دينية كانت مكتوبة بالعربية وهي كتب لليهود يقرأونها في مدارسهم أو في أنديتهم التي يحضرها قوم جاهليون يخالفونهم العقيدة أو يتلونها على مسامع الناس في أيّ مكان

ولقد عرف يهود يثرب السحر ، وقد اشير إلى سحرهم في الحديث الشريف[5] ، فلجأ العرب اليهم يأخذون منهم الرقي والتعاويذ[6] .

---

(1) ناصر الدين الأسد مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . دار المعارف (مصر) ص82

(2) لسان العرب مادة (جلل) 11 / 120 صادر

(3) ناصر الدين الأسد ص62

(4) راجعها في نفس المصدر ص62 وما بعدها .

(5) صحيح البخاري : باب السحر

(6) جواد علي 6 / 560 انظر خبر أبي بكر وعائشة واليهودية الساحرة

وحافظ يهود الجزيرة على حرمة السبت . وقد وردت إشارات الى يوم السبت في مواضع شتى من القرآن الكريم ، وهو يتكلم عن بني اسرائيل ، وأشير في بعضها الى أخذ موسى العهد منهم بوجوب مراعاة حرمة هذا اليوم ، ولكنهم نقضوا العهد واعتدوا فيه[1] .

ولقد عرف العرب من اليهود بعض أحكام دينهم كمثل : الرجم بالنسبة للزنا ، والابتعاد عن النساء في المحيض[2] ، واستعمال (الشبور)[3] لدعوة المؤمنين الى الصلاة ، كما استعمل يهود يثرب (القرن) في معابدهم ، لاعلان الصلوات والأعياد والاحتفالات والحوادث المهمة الطارئة[4] .

وقد اختلف اليهود في عهد الجاهلية عن بقية أبناء مجتمعهم في بعض الأمور كالمأكولات المحظورة في شريعتهم وطرق العبادة ، والاعتقاد بوجود إله واحد ، هو (إلـه اسرائيل) ، وفي بعض العـادات الاجتماعية والمظاهـر الخارجية ، فكانوا مثلاً يسدلون شعورهم ، وغيرهم يفرقـون رؤوسهـم . وقد ورد عن ابن عباس : أن الرسول ، وأهل الكتاب ، يسدلون شعورهم ، والمشركون يفرقون رؤوسهم[5] .

شعر اليهود :

لقد ظهر بين اليهود الجاهليين ، أو العـرب المتهـودين في الجـاهلية ، شعراء ، نظموا الشعـر بالعـربية ، وعلى طريقـة الشعـر العربـي المعـروف

---

(1) الأعراف162 النحل124 البقرة65 النساء46، 153

(2) جواد علي6 / 561

(3) ربما كان قرنا ينفخون فيه فيخرج صوتاً

(4) جواد علي6 / 561

(5) نفس المصدر . عن عمدة القاري،(17 / 71)

آنذاك ، منهم السموأل بن عاديا ، وهو أشهرهم في القصائد الطوال ، من تيماء ، وصاحب الأبلق الفرد « الذي شاع ذكره » وصاحب قصة الوفاء المشهورة(1) ، والذي ضرب به المثل بسببها ، فقد قيل « أوفى من السموأل » ولا يزال هذا القول على شفاه العرب حتى اليوم . ومنهم أوس بن دنن القريظي ، وكعب بن سعد القرظي ، وسارة القريظية ، وسعية بن غريض بن عادياء ، والربيع بن أبي الحقيق ، وأبو الديال ، وشريح بن عمران وكعب بن الأشرف ، وأبو رافع اليهودي(2) .

وسنتفحص بعض شعر هؤلاء ، قبل أن ندخل في حلبة مع السموأل ، لنصل ولو إلى حواشي ايمانهم ، إن لم يكن إلى جوهر حقيقته ، وانعكاس هذا الايمان على تصرفاتهم الاجتماعية .

يقول الربيع بن أبي الحقيق :

سائلْ بنا خابِر أكفائنا	والعلم قد يلقى لدى السائل
لسنا إذا جارت دواعي الهوى	....
....	بقائل الجود ولا الفاعل .
إنا إذا نحكم في ديننا	نرضى بحكم العادل الفاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا	نلطُّ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا	فنخمل الدّهر مع الخامل(3)

إن الربيع بن أبي الحقيق يطرح ما يؤمن به وما يعرفه عن قومه على الآخرين راجياً أن يسألوا مَنْ خَبرَهم وعرف أحوالهم ، ومن ثم يفصل ما

---

(1) الأغاني 19 / 98 دار الفكر للجميع بيروت . 1970 عن طبعة بولاق الأصلية .

(2) نفس المصدر 19 / 94 وما بعدها .

(3) ابن سلام الجمحي . طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين دار الفكر للجميع ص110

بقومه من الخصال الكريمة قائلاً : نحن نفعل الجود ولا ندعيه ، وإذا دُعينا إلى حكم وفصل في قضية فلا نرضى بديلاً عن العدل . ولا نزهق الحق بالباطل إذ فينا الحليم الذي يخاف لومة الدهر وخموله .

أما شعبة بن غريض الشاعر فقد آمن بأن « كل من عليها فان » وإذا كان الأمر كذلك ! فلِمَ لا يعمل الانسان الصالحات . إن من يأمن غوائل الدهر فلا ريب جاهل ، والذي يرجو البقاء أبد الدهر ولا يفكر بالموت فمثله كمثل ضارب القداح . وكأني بهذا الشاعر يشير الى معرفته بضرب القداح ولا يؤمن بها . إنه يقول :

لا تبعــــدن فكل حيٍّ هالك	لا بد من تلف فبــــن بفلاح
إن امــــرءا أمــــن الحــــوادث جاهلا	ورجــا الخلــود كضــــارب بقداح(1)

أما أبو قيس بن رفاعة ، وأبو الذيال ، فإننا نستدل من شعرهما على أخلاقية القوم ، من خلال ما صدر عنهما من البذل في سبيل الجار والمحافظة عليه وجعله شريكاً في الحقوق ما بقيت الروح داخل البدن . أما الثاني فيستمهل عاذلته على لومه فهو مؤمن بأنه سيموت إن لم يكن يومه ففي الغد ويتمثل بالذين سبقوه فلا ينفع البخيلَ والمقتصدَ مالُه عندما يدعو داعي الردى : يقول أبو قيس بن رفاعة :

وارهــــن في الحــــوادث كف بكري	لجــــاري في العظيمــــة إن ذهبت
أراه ما أقسام عليَّ حقاً	شريكي في تلادي ما بقيت(2)

---

(1) نفس المصدر ص111

(2) نفس المصدر ص112

ويقول أبو الذيال :

فقلــت مهــلا فلا عليك إن أو	سيتُ غويّـا غيبـي ولا رشدي
إنـي لمستيقـن لئـن لم أمت	يومـي إنـي إذاً رهـين غد
هل نحـن إلا كمسن تقدمنا	وكلٌ من تمَّ ظمـؤه يرد
نحـن كمـن قد مضى ومـا أن أرى	شحـا يزيد الحـريص من عدد
فلا تلومننـي على خُلُقي	واقنـي حياء الـكريم واقتصدي[1]

أما السموأل بن غريض بن عاديا بن حباء ، صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء[2] . فقد وصلنا له شعر أغزر بكثير مما وصلنا من رفاقه شعراء اليهود[3] ، يستطيع مَنْ يتفحص هذا الشعر أن يستخلص عبراً كثيرة من عقيدته ، وعاداته الاجتماعية وتصرفاته المعكوسة عن أيمانه ، وربما عن ايمان قومه أيضاً .

يقول السموأل وهو يشعر باحتياجات الأيتام داعياً عبديه لجمع الإبل من المرعى لينحرها ويطعم الضيوف الجياع :

رأيت اليتامـى لا يَسـدُّ فقورَهم	قِرانـا لهـم في كلٍّ قَعْنـبٍ مشعَّـبِ
فقلــت لعبدينــا : أريحـا عليهم	سأجعـل بيتـي مثـلَ آخِـرَ مُعْزَبِ[4]

إن السموأل يصفح ويصفو عما أساء إليه ، ولا يجازي سيئة بسيئة . وإن كان يقدر على ذلك ، وفي الأمور العظام يحمي الجار ، ويفـي بالأمانة

---

(1) نفس المصدر ص113

(2) الأغاني19 / 98

(3) انظر ديوانه . تحقيق عيسى سابا . دار صادر / بيروت /

(4) عيسى سابا . ديوان السموأل . دار صادر / بيروت / ص78

ويقتل ابنه على مرأى منه ، يقتله الحرث بن ظالم[1] ، ولا يخون بحاجيات الكندي ، ولا يخفر ذمته . يقول السموأل :

وذنـب قد عفـوت لغير باعٍ ... ولا واعٍ وعنـه قد عفوت
وأصرفُ عن قوارص تجتديني ... ولـو أنـي أشاء بها جزيتُ
فأحمـي الجـار في الجُلّـى فيُمسي ... عزيزاً لا يُرام ، إذا حَمَيتُ
وفيتُ بأدرع الكنـدي ، إنّـي ... إذا ما خان اقـوام وفيتُ
وقالـوا : إنـه كنـزٌ رغيبٌ ... فلا والله أغـدرُ ما مشيتُ[2]

ويشهد الأعشى بوفاء السموأل فيمدحه عند استجارته بابنه شريح من رجل كلبي فيقول :

كن كالسمـوأل إذ طاف الهمام به ... في جحفـل كسـواد الليل جرّار

ثم يقول على لسان خصم السموأل والذي غدر بابنه :

فقـال عذر وثـكلٌ أنـت بينهما ... فاختـر وما فيهما حظ لمختار

ثم يقول عن لسان السموأل :

فشـكَّ غـير طويل ثم قال له ... أقتـل أسـيرك إنـي مانـع جاري
وسـوف يعقبنيه إن ظفـرت به ... رب كريم وبيض ذات أطهار[3]

لقد عرف السموأل طريقة التلاقح بين الرجل والمرأة ، وكيفية تكون الجنين من نطفة مؤمناً بإرادة الله في ذلك وقدرته على خلقها :

---

(1) الأغاني 19 / 99
(2) ديوان السموأل ص80
(3) الأغاني 19 / 100

نطفــة ما مُنيتُ يوم مُنيت أمِــرت أمرهــا وفيهــا بُريتُ
كنُّهــا اللهُ في مكان خفيٍّ وخفــيٌّ مكانهُــا لو خَفِيتُ[1]

وفي هذا المعنى جاء قول القرآن الكريم : ﴿ ألم يك نطفـة من منيّ يمنى ﴾[2] وقوله : « من نطفة خلقه فقدره ﴾[3] .

ويتابع السموأل قصيدته مشيراً الى ايمانه بأنه خرج الى الحياة من العدم ومن ثم فإنه سيموت ليعود ويُبعث من جديد . يقول :

ميت دهــر قد كنــت ثم حَييتُ وحياتــي رهــنٌ بأن سأموت
وأتانــي اليقــين أنــي إذا مُــ ــتُّ وإن رَمَّ أعظمــي مبعوثُ[4]

وبهذا المعنى ورد قول القرآن الكريم :

﴿ وتخرج الحي من الميّـت ، وتخرج الميّـت من الحي »[5] وأيضاً : « ثم إنكم يوم القيامة تبعثون »[6] وأيضاً « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾[7] ـ إنـه يؤمـن بالـرزق الحـلال ، ويؤمـن بالأنبياء داود وسليمان ويوسف ، ويذكر أسباط بني اسرائيل (أبناء يعقوب) وموسى وشقه

---

(1) ديوان السموأل ص81
(2) القرآن الكريم . سورة القيامة آية37
(3) سورة عبس آية19
(4) الديوان ص81 وص83
(5) سورة آل عمران آية27 والروم آية19
(6) سورة المؤمنون آية16
(7) سورة يس78

للبحر ، ويذكر إبليس مسمياً إياه (الافريس) وعصيانه لله وما نالـه جزاء عمله[1] .

إنه يؤمن بالقضاء والقدر . فيقول :

بل لكُلٍّ من رزقِـه ما قضى اللَّـــــهُ وإن حزّ انفــه المستميتُ[2]

ويؤمن بالموت ويرى أن لا مفرّ منه فيقول :

كيف السلامـــةُ إن أردت سلامة والموتُ يطلُبنـــي ولســتُ أفوتُ[3]

ولكن الجسدَ وحده يموت وأما الروح فباقية . يقول :

أصبحـــتُ أفنـــي عاديا وبَقيتُ لم يبـق غـــيرُ حُشاشتـــي وأموتُ

ويرى في الدنيا خداعاً ما بعده من خداع فيحزن مع من حزن ولو لم يؤمن بالحزن ويترك المسالك القويمة والمواعظ الحكيمة التي دُرِّبها وعُلِّـمَها . يقول :

غلـب العـزى عمـــن أرى فتبعتهُ وخُدعـــتُ عمـّا في يدي فأسيتُ
ومســالِك يُسَّـرتُهـا فتركتها ومواعــظ عُلِّـمتُهـا فنسيتُ[4]

وينادي بخير العمل لأن الموت آتٍ ولا محالة ، وإن كان يؤمـن بخـير العمل في هذه الدنيا الفانية ، فلأنه يؤمن بيوم الحشر والحساب . يقول :

---

(1) الديوان ص82 ديوان السموأل

(2) نفس المصدر .

(3) نفس المصدر ص83

(4) نفس المصدر ص84

لا تَبْعَـدَن فكلُّ حيٍّ هالك   لا بُدَّ من تلف فبِنْ بفلاحِ
إن امـرءاً أمِنَ الحـوادث جاهلاً   ورجا الخلـود كضارب بقداحِ[1]

ويعرف السموأل أن البيت الحقيقي للإنسان هو المقبرة ، فلا تنفعه الحصون ولا تخلده القصور . يقول :

بالأبلـق الفـردِ بيتـي به   وبيتُ المصيرِ سوى الأبلقِ
بيلقعـة أثْبَتَـت حُفرةً   ذراعين في أربع خيسقِ[2]

نرى من كل ما تقدَّم أن السموأل بن عاديا صاحب الأبلق الفرد[3] ، والذي قال الأعشى عنه :

بالأبلـق الفـرد من تيماءَ ، منزلُه   حصنٌ حصينٌ ،وجارٌ غيرُ ختّارِ[4]

نراه يُقرّ بالبعث والحساب والقضاء والقدر والموت ، ويؤمن بالأنبياء وما أوصوا به من صلة لليتامى وحفظ الجار . كما يقر في بيت شعري منسوب له بمجيء المسيح ، وربما كان يقصد « أن المسيح سيأتي » لأنه قال « وفي آخر الأيام » فلعلّه يعني في الأزمان المتأخرة . يقول :

وفي آخـر الأزمـان جاء مسيحُنا   فأهدى بني الـدنيا سلامَ التكاملِ[5]

وبما أن الشاعر في العصر الجاهلي ، كان لسانَ القوم ، يظهر محاسنهم ويسدل الستار على مساوئهم ، يفاخر ويهاجي ،فلعلَّ السموأل وصحبه من

(1) نفس المصدر ص87
(2) نفس المصدر ص88
(3) قصر السموأل بن عاديا اليهودي بأرض تيماء . لسان العرب مادة (بلق) .
(4) لسان العرب ـ دار صادر / بيروت / مادة (بلق) .
(5) الديوان ص103

الشعراء الذين أسلفنا يكونوا قد رسموا لنا صورة « ولو مشوشة » عن إيمان اليهود ومعتقداتهم وانعكاس هذا الايمان على تصرفات يهود الجاهلية . ونكون بهذه الوقفة القصيرة . قد تعرفنا على بعض دين عرب الجاهلية وما كانوا يؤمنون به .

الفصل الرابع
النصارى العرب

قبل أن نتلمس طريق النصرانية في بلاد العرب ، زمن الجاهلية ، وقبل أن نتعرف إلى المسالك التي طرقوها ، والإيمان الذي اهتدوا إليه والتقاليد المتبعة التي مارسوها في طقوسهم وعباداتهم ، والى الكنائس والأديار والشعائر التي مورست فيها من قبل رؤوسائهم الروحيين ورهبانهم والأثر الذي تركوه في محيطهم وبيئتهم ، لا بد لنا من العودة الى الفصل الرابع من الباب الأول ، لنرى مدى تلك الحركة وتأثيرها في « صلة قدامى العرب بالنصرانية » ، وكيف وصلت هذه الحركة الدينية الى عرب الجزيرة ! وكوننا ، وفي الفصل الرابع المذكور ، تكلمنا عن طريقة وصول النصرانية الى عرب الجاهلية ، وعن المواضع التي تواجدَ فيها النصارى وعن أشياء أخرى[1] ، فإننا سنكتفي في هذا الفصل على البحث في صلاحيات رؤوسائهم ، وسندخل كنائسهم لنرى طرق عبادتهم ، وما كانوا يستعملونه من أدوات لتزيين الكنائس ، وأداء فروض الصلاة ، كما وسنتطرق الى جوهر ايمانهم فنصل إلى المتقشفين منهم « أي الرهبان » وأماكن تواجدهم .

التنظيم الديني :

لقد كان للعرب النصارى تنظيم خاص ، بدور العبادة ، وبالتعليم

---

(1) راجع الفصل الرابع من الباب الأول من / البحث

والارشاد أخذوه من التنظيم الكنسي العام ، ومن التقاليد المتّبعة والموروثة عن آباء الكنيسة منذ أوائل البشارة النصرانية . وللكنيسة درجات ورتب ، وللقيّمين على شؤونها منازل وسلالم ، فلها رئيس أعلى ، وتحته جماعة من رجال الدين ، له وللجماعة ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم[1] . ولهم معابد وبيوت وأوقاف وسيطرة على اتباعهم . فمن الدرجات والرتب التي عُرفت عند نصارى العرب في العصر الجاهلي ، درجة / بَطْرَك / أو بطريق ، أو بِطَرْك ، وعرّفه ابن منظور بـ« مقدّم النصارى » وروى عن الأصمعي قولاً للراعي يصف ثوراً وحشياً :

يعلو الظواهـر فردا ،لا أليف له ، مشي البِطَـرْكِ عليه رَيْط كتّانِ[2]

فالبطرك والحالة هذه يختلف عن سواه إذ هو مميّز بمشيته ولباسه وقد ورد في شعر لأمية بن أبي الصلت تحت لفظة « بطريق » ولعلّه عني بها الرئيس الروحي أو قائد جند ، يقول :

من كلِّ بطريق لبطريـ ـق نقيِّ اللونِ واضحْ[3]

ويلي البطرك في الدرجات الكهنوتية (المطران) وقد وسمه (القلقشندي) ، بأنه القاضي الذي يفصل الخصومات بين النصارى[4] .

أما الأسقف ، فقد قال عنه « ابن منظور »[5] ، أنه سمي أسقفاً لأنه

---

(1) جواد علي6 / 638

(2) لسان العرب . دار صادر / بيروت / 10 / 410

(3) بهجة عبد الغفور الحديثي ـ أمية بن أبي الصلت . مطبعة العاني / بغداد / 1975 . ص169

(4) أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ـ صبح الأعشى . في صناعة الانشاء . المؤسسة المصرية العامة ج 5 ص473

(5) لسان العرب9 / 156

يتخاشع ، وهو رأس من رؤوس النصارى في الدين ، والجمع أساقف وأساقفة[1] . أما ابن خلدون فيسميه نائب البطرك وخليفته ، إذ يقول : « وكان صاحبُ هذا الدين والمقيم لمراسيمه يسمونه البَطْرك وهو رئيس المِلّة ، ينعْث نوّابه وخلفاءه إلى مابَعُد عنه مِنْ أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أي نائب البطرك ويسمون الإمام الذي يقيم الصّلوات ويفتيهم في الدين بالقِسيس ويسمّون المنقطع الذي حبس نفسه في الخَلوة للعبادة بالراهب وأكثر خلواتهم في الصوامع »[2] .وقد وردت لفظة أسقف في العهد الجديد من الكتاب المقدس خمس مرات[3] ، ويقول بولس الرسول في سفر الأعمال[4] : احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه »

وقد روى صاحب السيرة النبوية عن ابن اسحق قصة وفد نجران ، ومباهلتهم للرسول وامتناع الرسول عن المباهلة ، مسمياً أشراف الوفد بالسيد والعاقب والأسقف فالأيهم هو السيد وصاحب الرحل ، وعبد المسيح هو العاقب ، أمير القوم وصاحب الرأي والمشورة ، وأبو حارثة بن علقمة هو الأسقف والحَبر والامام[5] . إننا نرى ابن هشام وقد أعطى الأسقف تسميات أخرى ، هي الحَبْر والإمام وكلمة حبر للمطران أو الأسقف لا تزال مستعملة في الوظائف الكنائسية حتى يومنا هذا . إن كلمة أسقف وكما تروي لنا كتب

---

(1) نفس المصدر

(2) مقدمة ابن خلدون . دار القلم / بيروت / الطبعة الأولى1978 ص233

(3) الكتاب المقدس أعمال20 :28 ، فيليبي1 :1 وأواتيموثيوس 3 :2 -7 ، تيطس :5 -9 ،ابطرس2 :25

(4) نفس المصدر

(5) ابن هشام ـ السيرة النبية . تحقيق مصطفى السقا ورفاقه / دار الكنوز الأدبية / (1 -2) 573 وما بعدها . ومعجم البلدان / دار صادر / 5 / 629

التواريخ والسير قد وردت في شروط الصلح الذي عُقد بين الرسول وأهل نجران « لا يغير أسقف عن اسقفيته ولا راهب عن رهبانيته »[1] . وقد روى أبو فرج الأصبهاني خبر أساقفة نجران مع الرسول (ﷺ) بقصة طويلة[2] . يذكر فيها أيضاً كنيسة نجران ، التي سماها أعشى بني تغلب بـ(كعبة نجران) بقوله :

فكعبة نجران حتم عليـ ـكِ حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيداً وعبدَ المسيح وقيساً هم خيرُ أربابها[3]

إن الأساقفة هم حرز الرعية ورعاتها حسب قول بولس الرسول ، يأتون الى محمد ، وهو صاحب دعوة ورسالة جديدة ، ربما غايرت عقيدة النصارى في بعض الشيء ، ليدافعوا عن عقيدتهم وأيمانهم ، كما إننا نرى الأساقفة يتوافدون من كل حدب وصوب إلى مجامع عُقدت في القسطنطينية ونيقية وأفسوس وخلكدونية للنظر في بعض الهرطقات والبدع التي ظهرت هنا وهناك تارة تشكك في (ألوهية) الابن وطوراً تبحث في ماهية (الروح القدس) وجوهره في عملية التثليث . وقد حضر تلك المجامع واشترك في جدالها ومناقشاتها ووقّع على قراراتها ومحاضرها بعض الأساقفة المبشرين بين العرب ، وبعض أساقفة الخيام العرب[4] . منهم الأسقف بطرس الذي وقع على أعمال مجمع (أفسوس) بصفته « أسقف محلة العرب » ، وتاوتيموس ، الذي وقّع على أعمال مجمع انطاكية ، بصفته « أسقف العرب »[5] ويبدو من

(1) جواد علي : 6 / 639
(2) راجع الأغاني 10 / 143 وما بعدها . دار الفكر / بيروت / 1970
(3) نفس المصدر .
(4) الأب لويس شيخو : النصرانية وآدابها 1 / 33 وما بعدها .
(5) نفس المصدر 1 / 34 والمشرق ، العدد 12 ، الجزء الخامس (353)

اسم أسقف القدس في نهاية القرن الخامس الميلادي وكان اسمه (الياس) أن هذا الأسقف من أصل عربي[1] .

وقد أسهم الأساقفة الذين كانوا يديرون أمور النصارى العرب ، في الجدل الديني الذي قام أكثره على بحث موضوع طبيعة المسيح ، واشتركوا فيها ، فنقلوا الى العرب « من حيث لا يقصدون » هذه الأبحاث التي عملت على تفريق المؤمنين وعدم جمع كلمتهم وتوحيدهم . وانعكس هذا التصرف على رؤوساء الأديار وعلى (الاكليروس) بمختلف درجاته ورتبه ، كما وصل هذا الجدل الديني الفلسفي الى المؤمنين وغيرهم . وقد وضع رؤساء أديرة اقليم العربية[2] ، رسالة وجهوها الى يعقوب البرادعي[3] ، ردوا فيها على رأي يحيى النحوي الذي قال بتثليث الجوهر الفرد ، وضمنوا هذه الرسالة دستور ايمانهم[4] . لقد كثر الجدل بين النساطرة[5] ، واليعاقبة[6] وكانت الرها عاصمة النساطرة ، وفيها تعلم عرب العراق وعلى رأسهم بعض أهل الحيرة المذهب النصراني النسطوري ، ومن الحيرة انتقل هذا الايمان الى جزيرة العرب[7] . والى العربية الشرقية الى قطر وجزر البحرين وعمان واليمامة . وقد اشترك في مجامعهم أساقفة كانوا يديرون شؤون نصارى العرب على المذهب النسطوري[8] وقد انتقلت النسطورية الى نجران واليمن بواسطة المبشرين

---

(1) جواد علي 6 / 626 عن W. Smith. Dict. of The Bible, II p. 84

(2) يمتد من شرقي بلاد الشام الى الفرات . النصرانية وآدابها 1 / 105

(3) مؤسس طائفة (اليعاقبة)

(4) النصرانية وآدابها 1 / 105

(5) نسبة الى نسطور أسقف القسطنطينية الذي قال بطبيعتين للمسيح حكم على هرطقته . مجمع أفسوس

(6) نسبة الى يعقوب البرادعي والقائل بالطبيعة الواحدة للمسيح .

(7) جواد علي 6 / 628

(8) راجع اسهامهم في النصرانية (71)

وقوافل التجار ، وقد شجّعها الفرس بعد دخولهم الى اليمن[1]

وقد بقيت النصرانية النسطورية قائمة في اليمن بعد الإسلام ، وقد كان مار بطرس / أسقفا لنجران وصنعاء في القرن الثامن للميلاد ، كما كان أساقفة نساطرة في مواضع متعددة من اليمن وعدن في القرن الثالث عشر للميلاد [2] . أما اليعاقبة انداد النساطرة ومخالفوهم في المذهب بالنسبة لطبيعة المسيح ، فقد انتشر مذهبهم بين عرب بلاد الشام والبادية وخاصة بين عرب / بني تغلب / الذين بشرهم أحد تلاميذ يعقوب المسمى (أحودمي) والذي أقام بين التغلبيين كهاناً ورهباناً وبنى الأديار وأنشأ أسقفيتين[3] ، أسقفية العرب ، وأسقفية التغلبيين[4] .

لقد دخل أكثر الغساسنة في هذا المذهب . وكان لليعاقبة قديس يتبركون به ويحجون إلى مقامه في مدينة الرصافة . وقد أشار الأخطل الى هذا القديس بشعره :

لما رأونا والصليب طالعاً ... ومار سرجيس وموتاً ناقعا

وأبصروا راياتنا لوامعاً ... خلّوا لنا راذان والمزارعا[5]

وإلى جانب الخلافات القائمة بين النساطرة واليعاقبة ورؤساء مذهبيهما الأساقفة ، فقد كان لأسقف انطاكية (بولس السميساطي) رأي آخر في المسيح ، وقد قيل أنه رأى نفسه بمنزلة المسيح ، فحكمت عليه الكنيسة

---

(1) النصرانية 1 / 59 وما بعدها) .

(2) النصرانية 1 / 67

(3) انظر معنى الأسقفية في الكتاب المقدس . اتيموثيوس 3 : 1-7

(4) جواد علي 6 / 632 عن ذخيرة الأذهان 1 / 303

(5) ديوان الأخطل والنصرانية 1 / 99

بالمرطقة ، وحرمته ، وخلعته ، وقد كان من المقربين الى الملكة (الزّباء)[1] .

ويروي ابن هشام عن ابن اسحق أن فيميون السائح النصراني هو الذي نصّر نجران وعيّن عبد الله بن التامر رئيساً على المتنصرين[2] . وأن عبد الله هذا وُجد مدفوناً في خِرْبَة من خِرَب نجران وذلك في زمان عمر بن الخطاب ، وفي يده خاتم مكتوب فيه « ربي الله »[3] . مما يدلنا على أن رئيس النصارى آنئذ كان يضع في أصبعه خاتماً . وهذا العرف لا يزال متبعاً إلى اليوم عند بعض الطوائف وخاصة الطوائف المنتمية الى الكنيسة اللاتينية .

ويحدثنا ياقوت عن نجران هذه ، وعن الذين بنوا كعبتها فيقول :

بنى كعبة نجران « بنو عبد المدان بن الدّيان الحارثي لتضاهي الكعبة التي في مكة ، وعظّموها وسموها كعبة نجران وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاءوا الى النبي للمباهلة[4] . مما يشير إلى أن الأسقف يومئذ كان يضع على رأسه العمامة ، ولعلها كانت لباس الرأس الى زمن متأخر ، بعكس ما نراه اليوم إذ يعتمر بعض أساقفة النصارى « القلنسوة » وربما تطور لباس الرأس من عمامة الى قلنسوة . ويتساءل البعض عن نوع لباس الرأس عند المسيح ! ويخبرنا يوحنا الانجيلي بأنه منديل يلف لفاً[5] .

إن ابن هشام يخبرنا : أن عاقب نجران في أيام النبي هو (عبد المسيح) رجل من كندة ، وسيد نجران (الأيهم) ، والأسقف هو (أبو حارثة) أحد

---

(1) راجع كتابتنا عن مملكة تدمر .
(2) السيرة النبوية 1 / 32 وما بعدها .
(3) نفس المصدر 1 / 36
(4) معجم البلدان 5 / 268
(5) انجيل يوحنا 20 : 7

بني بكر بن أوائل[1] ، مما يدل على أن الرئاسة عند النصارى العرب لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة ، بل ، ومن الأرجح ، أن تكون عملية الاختيار تتم بمقياس ومعيار ، لعله الايمان والعلم والعمل الصالح .

ومن الدرجات الدينية عند النصارى ، « القسوسية » وقد فسّر ابن منظور / القَسّ / نقلاً عن أبي عبيدة بالرئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ، وهو الكيّس العالم وأنشد أبو عبيدة :

لو عَرَضَتْ لأَيْبُلِيٍّ قَسٍّ
أشعثَ في هَيْكَلِه مُنْدَسِّ
حنَّ إليها كحنينِ الطُّسِّ[2] .

وقد جاء في لسان العرب : القِسِّيس : كالقَس ، والجمع قَساقِسة على غير قِياس وقِسّيسون[3] .

وقد وردت لفظة(قسيسين) في القرآن الكريم . : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾[4] . ويدل قول القرآن الكريم على أن النصارى كانوا يضمرون الحب والوفاء إلى المسلمين الأوائل . . . إذ تعلموا ذلك من قسيسيهم ورهبانهم وهم رجال دينهم . وقد ذكر أمية بن أبي الصلت القسيسين تحت

---

(1) السيرة النبوية(1-2) / ص573

(2) لسان العرب ـ دار صادر / بيروت / 6 / 174 مادة (قس) .

(3) نفس المصدر .

(4) القرآن الكريم ـ سورة المائدة آية82

لفظة « قساوسة » بقوله :

لو كان منفلتٌ كانت قساوسة يُحْيِيهمُ الله في أيديهم الزُّبرُ[1]

ويلي القس في الرتب الكنائسية « الشماس » . وقد قال عنه ابن منظور أنه من رؤوس النصارى : الذي يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة . وقد قال ابن سيده : وليس بعربي صحيح ، والجمع شمامسة[2] . ولفظة شماس لفظة قديمة وحديثة وردت في الكتاب المقدس[3] . بمعنى خادم البيعة ومساعد الأسقف والقسيس في أداء الخدمات الدينية وخاصة في تقديس القداس . ولم تقتصر الشموسية على الرجال فقط بل كانت النساء أيضاً تؤدين هذه الخدمة وقد قامت نساء في هذه الخدمة الدينية منذ عصر مبكر للكنيسة الرسولية[4] . ولا يزال بعضهن يخدمن الكنائس حتى هذا التاريخ . كما لا يزال بعض الشمامسة في بعض الطوائف يحلقون أواسط رؤوسهم ويتركون ما حولها . ومن الألفاظ التي تدل على رتب دينية وقد وردتنا من الزمن الجاهلي : واقف[5] أي المشرف على الأمور الادارية والمالية ، و (الوافه ، والواقه ، والواهن)[6] وربما عنت الألفاظ الثلاثة خازن الصليب الذي يحفظه من السرقة . والساعي ويقصد بها الرئيس ، وقد ورد في حديث حذيفة في الأمانة : « إن كان يهودياً أو نصرانياً

---

(1) تحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي . أمية بن أبي الصلت حياته وشعره . مطبعة العاني بغداد1975 ص 227 وفي لسان العرب . قساقسة جمع قسيس وقس على غير قياس . مادة (قس) .

(2) لسان العرب / دار صادر بيروت / 6 / 114 مادة (شمس) .

(3) الكتاب المقدس : اتيموتاوس3 :8-13 وفيليبي1 :1 وما بعدها .

(4) نفس المصدر : رسالة بولس الى أهل رومية16 :1 وما بعدها .

(5) لسان العرب : دار صادر9 / 360 مادة (وقف)

(6) نفس المصدر13 / 561

ليردنه على ساعيه »[1] . والعسطوس[2] ، ويراد بها القائم بأمور الدين ، أي الرئيس .

لقد عرف عرب الجاهلية الشماس والقسّ واطلعوا على ما كان يفعله امثالهما يقول عنترة وهو في صباه[3] :

إذا اشتغلت أهل البطالةِ في الكاسِ أو اغتبقـوها بـين قسٍّ وشمّـاسِ

أما الراهب : فهو المتعبد في الصومعة ، الذي يخشى الله ، أحدُ رهبان النصارى[4] والرهبانية مصدر الراهب ، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ﴾ [5] . وقد جاء في الحديث الشريف لا رهبانيّة في الاسلام »[6] قال ابن الأثير : هي من رهبنة النصارى ، وأصلها من الرهبة ، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها ، والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعهد مشاقها ، حتى إن منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب »[7] . وإلى جانب هذا الزهد في الحياة وترك ملاذها فإن بعض الرهبان والأحبار كانوا يعيشون عيشة مترفة بعيدة عن التقشف والعبادة وهذا ما ورد في القرآن الكريم ﴿ إن كثيراً من

---

(1) نفس المصدر14 / 387
(2) نفس المصدر6 / 141
(3) ديوان عنترة . دار صعب / بيروت / ص160
(4) لسان العرب . دار صادر1 / 437 مادة (رهب) .
(5) القرآن الكريم . سورة الحديد آية27
(6) لسان العرب1 / 437
(7) نفس المصدر1 / 438

الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ﴾(1) . ولعلَّ هذه الأموال كانت تقدم الى الأديرة والكنائس كنذور من المؤمنين فيتصرّف بها الأحبار والرهبان على هواهم ومشتهاهم . وتحدثنا كتب التفاسير عن ممارسات الرهبان لطرق عبادتهم ، فمنهم من بالغ في الترهب والتزهد فخصى نفسه وحبيها وامتنع عن الأطايب من الطعام والشراب ، ومنهم من ابتعد عن الناس الى الكهوف والجبال والبراري للتأمل والتعبد(2) . ومنهم من عاش في قلل الجبال .

وقد أنشد ابن الأعرابي :

لو كلَّمت رهبان دير في القُلَلْ ، لا نحدر الرُّهبان يسعى فنزلْ(3)

نفهم من قول الشاعر أن الرهبان تعبدوا لربهم في رؤوس الجبال وربما سكنوا أديرة والأديرة قائمة في القلل . وهذا عرف مُتَّبع حتى تاريخنا ولعله ينم عن ايمان بأن رؤوس الجبال قريبة من السماء ، والسماءُ كرسيُّ الله ومستقره ، ولا ينفي هذا وجوده في كل مكان . كما نفهم من قول النابغة الذبياني ، أن الرهبان مارسوا البتولية وتركوا لحاهم وتعبدوا للإله ، وذلك عند وصفه للمتجردة زوجة النعمان .

لو أنها عَرضَت لأشمطَ راهبٍ(4) ، عبد الإله ، صرورةٍ ، متعبِّدِ
لرنا لبهجتِها وحُسنِ حديثِها ، ولَخالَه رُشداً وإن لم يَرْشُدِ(5)

---

(1) سورة التوبة آية 34

(2) جواد علي 6 / 644 عن تفسير الطبري . طبعة بولاق . الطبعة الثانية 1956 7 / 8) وعن تفسير أبي السعود 4 / 141 . وتفسير الرازي 12 / 67

(3) لسان العرب 1 / 437

(4) الشمط : شيب اللحية . لسان العرب 7 / 336

(5) ديوان النابغة الذبياني . المؤسسة العربية للطباعة والنشر / بيروت / ص 41

وكذلك امرؤ القيس فقد عرف البتولية عند الرهبان وعرفهم يتعبدون لخالقهم حتى أوقات متأخرة من الليل إذ تظهر صوامعهم وهي مضاءة كأنها المنائر التي يهتدي بها المسافرون . يقول :

تضيء الظـلام بالعشـاء كأنها　　منارة ممْسى راهبٍ متبتـّل[1]

إن الراهب في صومعته يتخشع الى الله بالصلاة المتواصلة والناس نيام ، وهذا ما قصده امرؤ القيس بقوله :

كأنـه راهـب في رأس صومعة　　يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا[2]

لقد صلى الراهب إلى ربه وسجد له راكعاً . يقول النابغة الذبياني .

سيبلـغ عذرا أو نجاحـا من امرىء　　إلى ربّـه ربِّ البـريةِ راكعُ[3]

وقد حافظ الرهبان على حياتهم هذه وأماكنهـم تلك الى زمـن ما بعـد الاسلام وها هو الشاعر جرير يذكرهـم بأرض مدين يتعبـدون في الأمـاكن العالية حيث تعتصم الوعول بقوله [4]

رهبـان مدين ، لو رأوك تنزلوا　　والعصم ، من شعَفِ العقول ، الغادرُ

ورهبـان مدين هؤلاء يعرفـون الثـواب والعقـاب فهـم يغوصـون في صلواتهم حتى درجة البـكاء ولا يعـودون يقـوون على الوقـوف أو الـركوع

(1) ديوان امرىء القيس دار صادر / بيروت / ص46
(2) ج علي : 6 / 646 عن النصرانية ج2 القسم2 ص392
(3) جواد علي6 / 646 عن النصرانية ج2 القسم2 ص394
(4) لسان العرب1 / 437

فيقعدون . يقول كثير عزّة :

رُهبــان مدين والــذين عهدتُهم   يبــكون من حَذَرِ العقــاب قعودا
لو يسمعــون كما سمعــت حديثها   خروا (لعــزّة) رُكّــعــاً وسجودا[1]

لقد عرف الجاهليون العرب الراهب بتولاً وعندما جاء الاسلام شهد على ذلك نافياً عن اتباعه صعوبة التبتل مستعيضاً عنها بالجهاد المقدس وقد رُوِي عن الرسول قوله : « لا صروة في الإسلام »[2] . . . لم يقرأ الرهبان ورجال الدين الآخرون الكتاب المقدس قراءة وحسب في صلواتهم بل رتلوها بألحان عذبة في البيع والأديرة ، وسنتكلم فيما بعد عن الصوم والصلاة عندهم وعند أتباعهم .

ألقاب الرهبان

لقد سُمي الراهب الذي ربط نفسه عن ملاذ الدنيا / الربيط / كما سُمي « الحبيس »[3] كما قيل له أيضاً : المقدسي والمقدس . يقول امرؤ القيس[4] :

فأدركنــه يأخــذن بالسّاق والنسا ،   كما شَبْــرَقَ الولْــدانُ ثوبَ المقدسي

وروي « ثوب المقدس »[5] ومن المرجّح تسميته بهذا الاسم لأنه زار بيت المقدس وفيها قبر السيد المسيح ، لذلك فإن الصغار يتسارعون إليه ويلمسون ثوبه للتبرك وربما تمزّق الثوب لتمسكهم به .

---

(1) معجم البلدان5 / 78
(2) جواد علي6 / 646
(3) معجم البلدان2 / 213
(4) اللسان6 / 169 صادر
(5) اللسان10 / 171 مادة (شبرق)

ويقال للراهب أيضاً « النِّهامي »[1] بكسر النون ، كما قيل له « الأبيل » وهي لفظة سريانية (أبيلو) «Abilo» ومعناها الزاهد والناسك والراهب[2] وربما عنت المسيح أيضاً . قال ابن عبد الجن[3] :

أمـا ودمـاء مائـرات تخالها ، على قُنّة العُزّى أو النَّسر ، عَنْدَما
وما قدَّس الرُّهبانُ ، في كلِّ هيكلٍ ، أبيلَ الأبيلِين المسيح بن مَرْيما

لقد قال أبو الهيثم ان الأيبْلِيَ والأيبُلَ هو صاحب الناقوس الذي يقرعه وقت الصلاة ، وأنشد :

وما صكَّ ناقوس الصلاة أبيلُها[4]

وقيل عن الأبيل : أنه راهب النصارى . يقول عدي بن زيد :

إنني واللهِ ، فاسْمعْ حلِفي بأبيلٍ كلما صلَّى جأر[5]

ويقول الأعشى :

ومـا أبِليٌّ على هيكلٍ ، بنـاهُ وصلَّب فيه وصارا
يُراوحُ من صلوات المليـ ـكِ طورا سُجُودا وطورا جُؤارا[6]

---

(1) اللسان12 / 594 صادر مادة (نهم) .
(2) جواد علي6 / 648
(3) اللسان11 / 6-7
(4) نفس المصدر .
(5) اللسان11 / 7 / صادر /
(6) ديوان الأعشى ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر / بيروت / ص84

وسُمي الراهب « الجلاذيِ » ، يقول ابن مقبل :

صوتُ النـــواقيس فيه ما يفرّطُه ... أيدي الجـــلاذيّ جون ما يعفينا[1]

وربما كان الراهب قارع الناقوس يُسمى « الجلاذيّ » و « الأبيل » يقول الأعشى[2] :

فإنـــي وربِّ الساجـــدين عشيةً ... ومـا صكّ ناقـــوس الصـــلاةِ أبيلُها

ويقسم الأعشى أيضاً ذاكرا الراهب بثوبيه ولعلّه كان يعرف ما يرتديه الرهبان فيقول[3] :

فإنـــي وثوْبـــيْ راهـــب اللُّـــجِّ ،والتي ... بناهـــا قُصَّي والمضـــاضُ بن جُرْهم

لقد كان شعراء الجاهليَة على معرفة تكاد تكون تامة بجميع نواحي حياة الرهبان ، فمن بتولية الى تقشف وتعبد في الصوامع وقلل الجبال ، الى قواعد صلاة الى لباس ومأكل ، ومن ثم الى ما استعمله أولئك الرهبان في الإضاءة وقت الصلاة . يقول المزرِّد أخو الشمّـاخ[4] :

كأن شُعـــاع الشـــمس في حُجراتِها ... مصـــابيحُ رُهبـــان زهتْهـــا القنادلُ

كما عرف الشعراء الجاهليون العرب الكنيسة ، واطلقوا عليها ألفاظا مختلفـة ودخـل بعضهـم الى داخلهـا وصلىّ فيهـا . فكيف كانـت كنـائس الجاهليين ؟ وما هي صفاتها .

---

(1) اللسان 3 / 481 وما بعدها دار صادر

(2) ديوان الأعشى ص135

(3) نفس المصدر ص183

(4) المفضليات ص99 دار المعارف مصر

يقول جواد علي : « وقد زوّق النصارى كنائسهم ، وجمّلوها ، وزينوها بالصور والتماثيل ووضعوا الصلبان على أبوابها وفي داخلها . ووضعوا بها المصابيح لإنارتها في الليل ، وكانوا يسرجون فيها السرج ، وجعلوا بها النواقيس ، لتقرع ، فترشد المؤمنين بأوقات الصلوات ، ولتشير إليهم بوجود مناسبات دينية ، كوفاة ، أو ميلاد مولود »[1] .

فمن الألفاظ التي أشارت الى معبد النصارى « الكعبة » وقد أطلقت على كنيسة نجران[2] وهي من أشهر كنائس نصارى الجاهلية العرب . يقول الأعشى

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـــكِ حتى تُناخي بأبوابها
نزور يزيد ، وعبدَ المسيحِ ، وقيساً ، همُ خيرُ أربابها
إذا الحَبَراتُ ، تلوّت بهم ، وجرُّوا أسافِلَ هُدّابِها

فإلى جانب ذكر اسم بيعة نجران وتسميتها بالكعبة ، فإن الأعشى يذكر القيمين على شؤونها كما يبين ما كانوا يرتدونه من ثياب بإعطائها اسم الحبرات ، التي قال عنها المفسرون بأنها ضرب من برود اليمن ، وربما قصد الأعشى بالحبرات لباس الحَبْر وهو أحد رؤوساء النصارى كما أسلفنا .

والهيكل لفظ آخر يعني معبد النصارى يقول حسّان بن ثابت في مدح الحارث الغسّاني :

ولقد يَرانـي مُوعِدِيَّ كأنني في قصرِ دَوْمَةَ أو سواءَ الهيكلِ[3]

---

(1) جواد علي6 / 650

(2) معجم البلدان5 / 268 دار صادر*

(3) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري . دار احياء التراث العربي - بيروت . ص184

ويقول الأعشى :

وما أيبليٌّ على هيكل بناه وصلّب فيه وصارا[1]

أما لفظة (بيعة) فقد وردت في نص (أبرهة) الشهير الذي وُجد على بقايا سد مأرب. وقد جاء فيه : (وقدس بعتن)،(وقدس البيعة)[2] وقد ذكرها حاتم الطائي[3] ـ أما ورقة بن نوفل فإنه يدخل إلى البيعة ، متى أراد ، فيصلي ويكثر الأدعية مباركاً الله ، على أنه يهدي إليه الكثيرين الذين يكثرون الدعاء باسمه ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي نبذ عبادة الأوثان في الجاهلية واهتدى الى عبادة الله وقال :

أربا واحدا أم الف ربٍّ أدين إذا تُقسمت الأمورُ

فيجيبه ورقة قائلاً :

رشدت وأنعمت بن عمرو وانما تجنبت تنورا من النار حاميا

إلى أن يقول :

أقول إذا صليت في كلِّ بيعة تباركت قد أكثرت باسمك داعيا[4]

وفي العربية لفظة أخرى لمعبد النصارى ، ألا إنها لفظة (القلّيس)[5] . وهي بيعة للحبش كانت بصنعاء .

---

(1) ديوان الأعشى ص84 . ولسان العرب11 / 7 دار صادر

(2) جواد علي6 / 651 عن مجلة المجمع العلمي العراقي(4 / 215)

(3)

فلو كان ما يُعطي رياءً لأمسكت به جنبات اللوم ، يجذبنه جذبا

ولكنما يبغي به الله وحده فاعطِ ، فقد أربحت في البيعة الكسبا .

الديوان ص30 دار بيروت

(4) الأغاني3 / 16

(5) لسان العرب6 / 180 مادة (قلس) .

يقول الكميت الشاعر :

ثم استمــــرَّ تغنِّيه الذُّبــــابُ ، كما   غنَّــى المُقلِّــسُ بطريقــــا بمزمار[1]

وربما عنى الشاعر بالمقلِّس ، الذي يدخل ، القلّيس[2] .

أما البيعة التي ذكرناها آنفاً وقلنا إنها تعني معبد النصارى فقد ورد ذكرها في الكثير من أشعار الجاهليين . يقول عبد المسيح بن بُقيلة ذاكراً الدير والبيعة :

كم تجرّعــــتُ بدير الجرَعةْ   غُصصـــا كبـــدي بهـــا مُنصدِعه

من بدور فوق أغصـــان على   كُثُــب زُرْن ، احتسابـــا ، بِيعه[3]

ويقول الزبرقان بن بدر :

نحـــن الـــكرام فلا حيٌّ يُعادِلُنا   مِنَّــا الملــوك وفينــا تُنصــبُ البِيَعُ[4]

وقد ذكر القرآن الكريم لفظة بيع بعد لفظة صوامع ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع﴾[5] . وصومعه النصارى ببسى في قلل الجبال دقيقة الرأس يقيم فيها الرهبان للصلاة والتعبد[6] . ويدل ورود اللفظة في القرآن الكريم بصورة الجمع على أن الجاهليين القريبين من العصر الاسلامي كانوا على معرفة بالصوامع مكان إقامة الرهبان ، وبالبيع أيضاً مكان تجمع النصارى للصلاة والتعبد .

---

(1) نفس المصدر .

(2) انظر إلى معناها بفصل « العرب والنصرانية » .

(3) معجم البلدان 2 / 503 دار صادر

(4) ابن هشام ـ السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا ورفاقه . دار الكنوز الأدبية . الجزئين (4،3) ص 563

(5) سورة الحج آية 40

(6) لسان العرب 8 / 208

وترد لفظة قَلِيّـة في كتاب أهل الشام النصارى إلى عمر بن الخطاب لما صالحوه « إنا لا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا قلية ولا نخرج سعانين ولا باعوثاً »[1] . وقد تطورت اللفظة لتصبح « قلاية » وتطلق على مكان اقامة المطران أو البطرك وحتى يومنا هذا .

أما لفظة الدير ، فهي من الألفاظ المشهورة عند النصارى قديماً وحديثاً وقد عرفها عرب الجاهلية . وذلك لانتشارها في مواضع كثيرة من بلاد الشأم والجزيرة العربية . فعرّج عليها التجار وأصحاب القوافل للراحة والتزود بالماء وعرفها الشعراء فقصدوها وشربوا خَمرها المعتق . والدير كما عرفه ياقوت : بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولا يكون إلا في الصحارى ورؤوس الجبال[2] قال بعضهم :

سقى الله ذاك الدير غيثاً لأهله ... وما قد حواه من قلال ورهبان[3]

وكما كانت هناك أديرة للرجال ، فقد كانت للراهبات أيضاً أديرة . يقول الثرواني :

يا دير حنّة عند القائم الساقي ... إلى الخورنق من دير ابن برّاق[4]

ويقول الثرواني أيضاً ذاكراً ديراً آخر سُمي باسم امرأة وهي « أشموني » :

اشربْ ، على قرع النواقيس ، ... في ديرِ أشموني بتفليس

---

(1) لسان العرب15 / 201 صادر
(2) معجم البلدان2 / 495 صادر
(3) نفس المصدر2 / 496
(4) نفس المصدر

إلا على قرع النواقيـــس ، أو صوت قُسَّان وتشميس[1]

والمحراب من الألفاظ التي استعملها النصارى العرب في أمور دينهم ، إذ أطلقت على صدر الكنائس . وقد ذكرها القرآن الكريم[2] كما وردت في أشعار الجاهليين[3] وهناك ألفاظ : تدل على بيوت العبادة للنصارى كـ(التامور) و (الغربال) و (الاسطوانة)[4] .

وقد استعمل رجال الدين النصارى في معابدهم التي ذكرناها ، المصابيح والقناديل ، للإستضاءة ، وقد تركت هذه الأشياء أثراً ملحوظاً في مخيّلة الشعراء ، فقال مزرد بن ضرّار الذبياني :

كأن شعاعَ الشمسِ في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القنادل[5]

والقنديل لفظة معربة عن اللاتينية (Candel) وتعني شمعة في لغتنا العربية . وقد عرف العرب الشمع وربما استعملوه للإضاءة الى جانب استعماله للختم عليه وهذا ما أشار إليه امرؤ القيس بقوله :

ترى أثَرَ القَرْحِ في جِلْدِه كنَقْشِ الخَوَاتِمِ في الجِرْجِسِ[6]

وقد ذكر امرؤ القيس مصباح الراهب المتبتل الذي يوقده ليهتدي به وقت صلاة الليل فيقول :

تضيءُ الظلام بالعِشاءِ كأنها منارةُ ممسى راهبٍ متبتلِ[7]

---

(1) نفس المصدر . وانظر ما ذكره ياقوت عن الأديرة فيما يلي من صفحات

(2) آل عمران آية 37 ,39 ومريم اية 11 سورة اية 21

(3) لسان العرب 1 / 305 صادر .

(4) جواد علي 6 / 656

(5) المفضليات ص99 دار المعارف / مصر

(6) ديوان امرىء القيس دار صادر ص121 الجرجس : الشمع

(7) شرح المعلقات السبع للزوزني . دار الجيل بيروت ص32

وما أشبه ضياءه بوميض البرق ، ضياء هذا المصباح الذي يحتوي على الزيت والفتيل . يقول امرؤ القيس :

أصاحِ ترى برقاً أريك وميضَه كلمع اليدين في حبيٍّ مكلَّلِ
يُضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهبٍ أمال السليط بالذُّبال المفتَّل[1]

ورفع النصارى الصلبان في كنائسهم وأديرتهم وعلى مرتفعات أرضهم يقول بشر بن أبي خازم الاسدي يهجو بني الحدّاء :

لِلَّهِ درُّ بني الحدَّاءِ من نفرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانِه كلِبُ
إذا غدوْا وعِصِيُّ الطَّلْح أرجُلُهم كما تُنصَّبُ وسْط البيعةِ الصُّلُبُ[2]

وأهم علامة فارقة لمعابد النصارى زمن الجاهلية الناقوس ، الذي ينصَّب فوق سطوح المعابد لإعلان فروض الصلاة ، ولدعوة النصارى للاجتماع عند حدوث أمر مهم يستلزم الاجتماع .

يقول المتلمس ذاكراً الناقوس :

حنت قلوصي بها والليل مطرق بعد الهدو وشاقتها النواقيس[3]

كما يذكره المرقش الأكبر وهو يقرع بعد الهدوء قائلاً :

وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقس[4]

ويذكر الأعشى وقتاً من أوقات قرع الناقوس وهو الصباح الباكر بقوله :

---

(1) نفس المصدر ص50-51

(2) الديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ص227 تحقيق عزة حسن الطبعة الثانية منشورات وزارة الثقافة - دمشق -

(3) ديوان المتلمس

(4) المفضليات ص225 دار المعارف مصر

وكأس كعين الديك باكرت حدّها بفتيان صِدْق والنواقيسُ تُضرَبُ[1]

كما يذكر مثل هذا الوقت الأسود بن يعفر :

وقد سَبَأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ ، قبل الصباح ،ولما تُقرعِ النُقُسُ[2]

والخشبة التي يُقرع بها الناقوس كانت تسمى (الوبيلة) أو (الوبيل)[3]

أما (الشبور) . فقد ذكر علماء اللغة انه شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض قصد التبرك[4] . وربما كان هذا هو القربان الذي لا تزال كنائسُ الطوائف الشرقية تستعمله .

أعياد النصارى

لقد كان للنصارى العرب أعياد يحتفلون بها ، وكانت لهذه الأعياد طقوس معيّنة وعادات وتقاليد مختلفة لا يزال بعضها متّبعاً حتى اليوم . من هذه الأعياد عيد (السعانين) ، ويُسمى اليوم عيد الشعانين ، وقد ذكره النابغة الذبياني بشعر مدح به أحد ملوك غسان النصراني ناعتاً إياه بيوم السباسب . يقول :

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم ، يُحَيَّوْن بالرَّيحانِ يوم السباسبِ

تُحَيِّيهِمُ بيضُ الولائدِ بينهم ، وأكسيةُ الاضريجِ فوق المشاجبِ

يصونون أجسادا ، قديما نعيمُها ، بخالِصةِ الأردانِ ، خُضرُ المناكِبِ[5]

---

(1)

(2) لسان العرب 6 / 240 صادر

(3) نفس المصدر

(4) لسان العرب 4 / 392 صادر

(5) ديوان النابغة الذبياني ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر / بيروت / ص12 ولسان العرب ١ / 460

وكأني بأولئك القوم يخرجـون في هذا العيد ، وفي عيد الباعـوث كما سنـرى ، خارج دور عبادتهـم يحملـون قُضُـب الريحـان ، وربمـا أغصـان السباسب[1] أيضاً ، وأعواداً تعلق عليها أكسيةُ الإضريج وبين صفوفهم بيض الولائد ، وربما عنى الشاعر بذلك الفتية والفتيات الـذين يرتـدون الملابس البيضاء في عيد الشعانين . وهذا التقليد لا يزال متبعاً إلىاليومفي أكثر كنائس المسيحيين . إذ يرتدي الأولاد لباساً أبيض يحملون « الشعانين » وهي كنـاية عن شمعة تحيط بها أغصان الزيتون وقضب الريحان وأغصان النخل ويخرجون خارج الكنيسة بمسيرة يسمونها « الزيّـاح » .

وقد وردت كلمة شعانـين وباعـوث في صحيفـة صلـح « عمـر » مع نصارى الشأم ، أن لا يحدثوا كنيسة ولا قلية ، ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثاً[2] والذي نستخلصه من هذا القول ، أن المسيحيين كانوا يخرجون خارج المعابد في عيديْ السعانين والباعوث ، وهذا ما يفعله النصارى الشرقيون إلى اليوم . وقد قال ابـن الأثـير : السعانـين عيد للنصـارى يقـع قبـل عيدهـم الكبـير بأسبوع[3] . وهذا هو التقليد المتبع إلى هذا التاريخ .

أما خميس الفصح فهو عيد يلي السعانين ، إذ يأتي بعده بثلاثة أيام ، ويسبق الفصح ، يذهبون فيه الى الكنائس والبيع[4] .

ثم يأتي العيد الكبير ، حسب تعبير ابن الأثير ، ألا وهو عيد الفصح . وقد احتفل به نصارى الجاهلية ، فأوقدوا فيه المشاعل ، وعمروا القناديل ،

---

(1) انظر شرح كلمة السباسب في لسان العرب1 / 459 صادر

(2) لسان العرب15 / 201 صادر مادة « قلا » .

(3) لسان العرب13 ./ 209 . صادر مادة سعن .

(4) جواد علي6 / 660 عن النصرانية(216)

وأضاءوا الكنائس بالسرج بعد أن أموها للاحتفال بالفصح الذي قال فيه عدي بن زيد العبادي :

بكروا عليَّ بسحرة فصحبتهم بإناء ذي كرم كعقب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب(1)

وعن تهيئة المصابيح لعيد الفصح يقول أوس بن حجر :

عليه كمصباح العزيز يشبّه لِفِصْحٍ ويحشوه الذُّبالَ المُفتّلا(2)

وعن نوع لباس الرهبان في الأعياد وإطالة هذه الألبسة بحيث تجرُّ وراءهم ، يقول امرؤ القيس :

فآنست سرباً من بعيد كأنه رواهبُ عيد في ملاءٍ مهدَّب(3)

وفي الفصح يطلق الملوك وذوو السلطان من النصارى أسراهم تقرباً إلى الله ورجاء . وقد ذكر ذلك الأعشى في مدح هوذة بن علي :

ففكَّ عن مائة منهم وِثاقَهُمُ ، فأصبحوا كلُّهم من غُلِّهِ خُلِعا
بهم تقرَّبَ يومَ الفِصْحِ ضاحِيَةً ، يرجو الإلهَ بما سَدَّى وما صنعا(4)

وعن التقاليد المتبعة في الفصح والتهيئة والاعداد له يقول حسّان في مدح جبلة بن الأيهم :

قد دنا الفصحُ فالولائد ينظِمْـ ـنَ سِراعاً اكلَّة المرجان(5)

---

(1) الأغاني 9 / 53 دار الفكر للجميع / بيروت / 1970

(2) الديوان دار صادر / بيروت / ص84

(3) الديوان ص68 والنصرانية(173)

(4) الديوان ص110

(5) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري . دار احياء التراث العربي / بيروت / ص252

وهذا عنترة يصف ابنة عمه وهي تمر بين الفتيات في يوم العيد قائلاً :

مرَّت أوان العيدِ بين نواهد مثـل الشمـوس لحاظُهُـنَّ ظِبَاءُ(1)

ومن التقاليد المتبعة زمن الجاهلية ، هي زيارة الأضرحة والمقابر أيام الأعياد ، يصلون قربها ، طلباً لراحة الموتى ، واظهاراً لشعورهم ، بأن المفارق لا يزال حبُّه في القلوب(2) . وهو عرف متبع في كنائس النصارى الشرقيين الى هذا التاريخ .

لقد أشير في أشعار الجاهليين الى تعبّد النصارى وصلواتهم ، وخاصة منهم الرهبان والنسّاك الذين اعتكفوا في الصوامع والبيع والأديرة النائية يعبدون الله بتلاوة « الانجيل » والصوم والصلاة . يقول عدي بن زيد العبادي :

وأوتينا الملك والانجيل نقرؤه نشفي بحكمته أحلامنا عللا(3)

وما داموا يقرؤون الانجيل فلا بُدَّ أنهم عرفوا الصلاة والصوم(4) ، يقول أمية بن أبي الصلت :

صدت كما صد عما لا يحل له ساقي نصارى قبيل الصبح صوام(5)

---

(1) ديوان عنترة مكتبة كرم / دمشق / ص30

(2) جواد علي6 / 661

(3) الحيوان(4-7) ص80 تحقيق فوزي عطوي دار صعب بيروت .

(4) انظر صوم موسى وايليا والسيد المسيح في الكتاب المقدس . خروج : 34: 28 وتثنية : 9: 9 والملوك الأول 19: 8 وانجيل متى4: 2 ومرقس1: 13 ولوقا4: 2 . وانظر صلاة السيد المسيح في يوحنا اصحاح17 وفي متى : 6: 9-13 ولوقا11: 2-4

(5) النصرانية وادابها179 .

ولقد صلّى النصارى ركوعاً : يقول المضرّس الاسدي :

وسخـــال ساجية العيون خـــواذل ... بجهاد لينـــة كالنصـــارى السّجد(1)

ويقول النابغة الذبياني :

سيبلـغ عذرا أو نجاحـــا من امرىء ... إلى ربّـه رب البـــرية راكع(2)

ويقول الحطيئة :

بهـا العِيـنُ يَخفِـرْنَ الرُّخـــامي كأنها ... نصارى على حـين الصـلاة سُجُودُ(3)

كما صلّى النصارى وهم واقفون . يقول البعيث :

على ظهـــر عادي كأن أرومه ... رجـــال يتلـــون الصـــلاة قيام(4)

وتلحـق بالصـلاة التسـابيح بذكر الله وتقـديس اسمـــه ، ولا سيما في الضحى والعشي . يقول أمية بن أبي الصلت :

سبحانـــه ثم سبحانـــاً يعـــود له ... وقبلنـــا سبّـح الجـــودي والجُمُدُ(5)

كما يقول الأعشى :

وسبِّـح على حـين العشيات والضحى ... ولا تعبـد الشيطـــان والله فاعبدا(6)

---

(1) النصرانية(177)

(2) النصرانية(178)

(3) ديوان الحطيئة المؤسسة العربية للطباعة والنشر / بيروت / ص223

(4) جواد علي6 / 674 الهامش .

(5) لسان العرب2 / 471 صادر .

(6) نفس المصدر2 / 473 صادر .

لقد كان النصارى يصلّون فرادى وجماعات ورتلوا المزامير بأنغام والحان شجية وقد عرف ترتيل القسيسين بـ(الهينم)وهو النغم بأصوات خافتة . يقول رؤبة :

لم يسمع الركبُ بها رجعَ الكَلِمْ الا وساويسَ هيانيمِ الهنَم(1)

كما عرفوا التلحين في الصلاة . يقول ابن منظور : اللحن : التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة ، وإن النصارى يقرؤون كتبهم نحواً من ذلك(2) .

ولقد عرف الجاهليون العرب « التصبيغ » أي التعميد يقول الأزهري : وسمَّت النصارى غمسَهم أولادَهم في الماء صبغاً لغمسهم اياهم فيه(3) . ويقول الفراء : إنما قيل صبغة لأن بعض النصارى كانوا إذا وُلد المولود جعلوه في ماء لهم كالتطهير والختانة(4) .

والآن وبعد أن عرفنا الشيء الكثير عن النصارى يجدر بنا وقبل أن ننهي هذا الفصل أن نتوقف قليلاً مع النصارى العرب زمن الجاهلية لنبحث في اللغة التي استعملها أولئك الناس . ونتساءل ! أهي اللغة العربية التي عرفها الحجاز عند انطلاقة الرسالة الاسلامية ؟ أم هي لغة بني إرم سكان سوريا وفلسطين عند مجيء السيد المسيح ؟ أم لغة أخرى ؟ يقول جواد علي في ذلك : « وقد ترك لنا رجل من نصارى الشأم نصاً قصيراً مؤرخاً بسنة(463) المقابلة

---

(1) لسان العرب12 / 623 صادر
(2) لسان العرب13 / 383 صادر
(3) نفس المصدر 8 / 437
(4) نفس المصدر ص438

لسنة (568) للميلاد ، وهي غير بعيدة عن ميلاد الرسول جاء فيها : « نا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول سنت463 بعد مفسد خيبر بعم » ، أي (أنا شراحيل بن ظالم بنيت ذا المرطول بعد مفسد (خيبر) بعام) » . والذي يهمنا من هذا النص هو ما يقوله عنه جواد علي « إذ هو النص الجاهلي الوحيد الذي وصل إلينا مكتوباً باللهجة التي نزل بها القرآن الكريم »(1) مما يدل على أن النصارى العرب في العصر الجاهلي وإن أقاموا في الشأم بعيداً عن مركز الجزيرة العربية كانوا قد استعملوا اللغة العربية في كتاباتهم . كما نستنتج أيضاً أنهم تكلموا بها ، إذ لا يعقل أن يكتب انسان لغة ما ويؤرخ بها ولا يحكيها . ولكن هذا لا ينفي أن النصارى الشرقيين تأثروا بثقافة « بني إرم » ، إذ كانت الارمية لغة العلم عندهم(2) فاستعملها نصارى العرب في الكنائس والبيع والأديرة وفي الدراسات الدينية والصلوات والترانيم . واستعمل الكتّاب منهم قلم بني إرم في كتاباتهم . ومن هذا القلم تولّد القلم النبطي المتأخر الذي تفرّع منه القلم العربي الذي كتب به عرب الحجاز قبيل وعند ظهور الإسلام(3) .

وفي الوقت ذاته كان بعض نصارى العرب يكتبون بالعبرانية . يقول الزبير محدّثاً عن عبد الله بن معاذ . . . عن عائشة . « أن خديجة بنت خويلد انطلقت بالرسول قبل مبعثه ، حتى أتت ورقة بن نوفل ، ابن عمها أخي أبيها ، وكان ورقة امرءاً تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب »(4) ، وقالت خديجة : « أي

---

(1) جواد علي6 / 594
(2) جواد علي6 / 599
(3) نفس المصدر
(4) الأغاني3 / 14

ابن عم اسمع من ابن أخيك ، ولما أخبره الرسول ما يرى قال ورقة :« هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى »(1) وفي رواية أخرى : « إن هذا الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم الذي لا يخبره أهل الكتاب إلا بثمن »(2) وروى الزبير عن عمه عن ابن دأب قصة خروج ركب من ثقيف الى الشأم وفيهم أمية بن أبي الصلت ، وملاقاتهم حين رجوعهم بالعجوز أم العوّام ، ونفور الإبل ، ومحادثة رجل الدين المسيحي لأمية وتعليمه إياه « باسمك اللهم » لتجميع الابل وطرد العجوز المجنونة ، وعند قفولهم الى مكة ذكروا هذا الحديث فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة باسمك اللهم في كتبهم(3) . إن لغة نصارى الجاهلية لا بُدَّ وأن تكون قد خضعت لتأثيرات عديدة خارجية وداخلية . خارجية بفعل تدخل الروم والأحباش في بلاد العرب يظهرون غيرتهم على نشر الايمان ويضمرون أهدافاً أخرى(4) . أما الداخلية منها فقد ظهرت بالصراع الايماني الأول بين المؤمنين بالمسيح من العبرانيين وتمسكهم بلغتهم وشريعة موسى . وبين المؤمنين بالمسيحية من الأمم الوثنية وتمسكهم بعاداتهم وأعرافهم ولغاتهم ، وهذا ما جعل الرسل يجتمعون ويصدرون أحكاماً وتوصيات بشأن هذه الخصومات(5) . وتوالت هذه الصراعات وما زالت .

نستخلص من كل ما تقدم أن النصارى الجاهليين ربما تكلموا لغات مختلفة كالعبرانية والإرمية والسريانية واليونانية والحبشية والعربية أيضاً بأزمان مختلفة وأماكن مختلفة ، ومثلنا على ذلك عدي بن زيد وكان أول من كتب

(1) نفس المصدر
(2) نفس المصدر 3 / 15
(3) نفس المصدر 3 / 189
(4) انظر هذه الأهداف في علاقة العرب القدامى بالروم والأحباش .
(5) الكتاب المقدس . اعمال الرسل 15 : 1-35

بالعربية في ديوان كسرى[1] .

2 ـ أثر النصرانية في عرب الجاهلية :

لقد كان للنصرانية أثرٌ ، في ميادين مختلفة من نواحي الحياة ، لم تمحه الأزمان ولم يعف عليه الدهر . فالنصارى العرب يتواجدون في أكثر من مكان في أرض العرب ، وهم على صلات شبه مستمرة بأتباع دينهم من الروم والأحباش وغيرهم . وهذا التواجد والاتصال ترك بصماته في عرب الجاهلية ، إن في الفكر أو اللغة أو العقيدة أو في الحياة الخلقية والاجتماعية والفنية أيضاً .

لقد ورد في شعر عدي بن زيد العبادي ، الشاعر الذي برع في العربية وبرز في الفارسية ، بعض المعرّبات مما يدل على أثر الفارسية والإرمية فيا[2] كما ورد في شعره الشيء الكثير في الزهد وترك هذه الدنيا التي لا تدوم على حال . يقول :

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المسبِّح الخلاّق[3]

ويقول للنعمان بن المنذر ، وهما يمران بظاهر الحيرة على المقابر : أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه المقابر ! إنها تقول :

أيها الركب المخبون على الأرض المجدون
كما أنتم كنا و كما نحن تكونون[4]

وقال عدي في خرجة أخرى مع النعمان على تلك المقابر ، إنها تقول :

من رآنا فليحدث نفسه إنه موف على قرن زوال[5]

---

(1) الأغاني : 2 / 20
(2) جواد علي6 / 664 عن (نالينو)(74)
(3) الأغاني2 / 26
(4) نفس المصدر2 / 34
(5) نفس المصدر2 / 34

إن عدياً في شعره هذا يذكر الأحياء بنهاية الأموات وأن الأبنية الضخمة والقصور الشاهقة لا تجدي نفعاً ولا تسبب في خلود المرء .

ولعلّ نصارى الجاهلية قد حدّثوا غيرهم بحكايات العهد العتيق من الكتاب المقدس فعرف العرب الوثنيون منهم قصة خلق الأرض والانسان . يقول عدي بن زيد في نهاية قصيدة يفصل فيها طريقة خلق الله للأرض والسماء والانسان :

قضى لستة أيام خلائقه وكان آخرها أن صوّر الرجلا
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا[1]

كما حدثوا بالعهد الجديد وما فيه من معاني الزهد في الحياة وعدم الاهتمام بها . ألم يقل السيد المسيح : « لا تهتموا بما للغد ولا بما تأكلون وتشربون » وهذا حاتم الطائي يقول بهذا المعنى :

كلوا الآن من رزق الإله ،وأيسروا ، فإنّ ،على الرحمان ،رزقكُم غدا![2]

ويقول أيضاً :

إذا كان بعض المال ربّاً لأهله ، فإني ،بحمد الله ،مالي مُعَبَّدُ[3]

وهذا ما يتوافق وقول الانجيل « لا تعبدوا ربّينْ إما الله وإما المال » .

وعن عدم الاهتمام بالغد ، وترك الغد يهتم بنفسه ، يقول أوس بن حجر .

ولست بخابىء أبداً طعاماً حِذارَ غد لكلّ غد طعامُ[4]

---

(1) الحيوان للجاحظ(4-7) ص80 دار صعب / بيروت /

(2) ديوان حاتم الطائي دار بيروت1974 ص41

(3) الديوان ص35

(4) ديوان أوس بن حجر دار صادر / بيروت / ص115

إن اختلاط العرب الوثنيين بالنصارى العرب زمن الجاهلية جعلهم يطلّعون على بعض طقوسهم وأحوال عباداتهم وربما تأثروا بها وآمنوا فيها :

إن الأعشى يشير الى طواف النصارى حول الصليب أو تمثال السيد المسيح بقوله في مدح قيس بن معد يكرب الكندي :

تطوف العفاة بأبوابه كطوف النصارى ببيت الوثن(1)

وينهي عن عبادة الأوثان والتقرب إليها ويدعو إلى الصلاة بكرة وعشية وينصح بحمد الله بقوله :

وذا النصب المنصوبَ لا تسكننَّه ولا تعبد الأوثانَ ، والله فاعبدا(2)
وصلِّ على حين العشيّاتِ والضّحى ، ولا تحمدِ الشيطان ، والله فاحمدا

لقد آمن بعض نصارى الجاهلية بالقضاء والقدر استنادا الى قول الانجيل : « لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا باذن ابيكم الذي في السماوات » ولعلَّ الأعشى أخذ هذا الايمان من نصارى الحيرة العباديين . وقد قال :

استأثر الله بالوفاء وبالـ ـعدلِ ، وولّى الملامَةَ الرّجُلا
والأرضُ حمّالةٌ لما حمّل الـ ـلّهُ وما إن تَرُدُّ ما فعلا(3)

كما كان للنصرانية ، كما أظن ، وغيرها كاليهودية والحنيفية أثر كبير في أخلاق الجاهلي وتصرفاته فهو يُحرّم الغدر ويغضُّ طرفه عند مرور جارته ويلجم نفسه عن هواها يقول عنترة في هذا المعنى :

---

(1) الأغاني 13 / 443 / صادر /
(2) ديوان الأعشى ص46
(3) الديوان ص170

وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتي   حتـــى يواري جارتـــي مأواها
إنـي امـرؤٌ سمـحُ الخليقـــة ماجد   لا أتبــع النفس اللجــوج هواها[1]

ويقول أوس بن حجر بهذا المعنى :

عليَّ أليَّـةٌ عتُقَـت قديما   فليس لهـا وإن طُلبـت مرامُ
بأن الغـدر قد علمـت معدٌ   عليٌّ وجارتـي منـي حرامُ[2]

وهذه الشذرات الإلهية ، من أين أتـى بها شعـراء الجـاهلية ؟ لو لم يطّـلعوا من أهل الكتاب وخاصة النصارى ، على أيمانهـم ومـا يشملـه هذا الايمان من التقرب لله ابتغاء مرضاته ، من أعمال للبرّ والتقوى وأخذ بالمعروف ونهي عن المنكر . يقول امرؤ القيس :

اقبلـت مقتصـدا ، وراجعني   حلمـي ،وسُـدُد ،للتقـى ،فعلي
واللهُ أنجـعُ ما طلبـتَ به ،   والبـرُّ خـيرُ حقيبـةِ الرَّحْل
ومـن الطريقـة جائـرٌ ، وهُدى   قصْـدُ السـبيل ،ومنـه ذو دخْلِ[3]

ويقول أيضاً في مدح عوير من تميم ورهطه :

فقـد أصبحـوا ، واللهُ اصفاهـم به ،   أبـرُّ بميثـاق وأوفى بجيران[4]

أما زهير بن أبي سلمى فإنه يقول في مدح سنان بن أبي حارثة المري :

حزْمـا ، وبِـرًا للإلـه ، وشيمة   تصفـو على خُلُـق المُسيء ،المُفسِدِ[5]

---

(1) ديوان عنترة مكتبة كرم / دمشق / ص184
(2) الديوان ص115
(3) ديوان امرىء القيس دار صادر / بيروت / ص152
(4) نفس المصدر ص169
(5) ديوان زهير ابن أبي سلمى ص230 . المكتبة العربية حلب

ويقول في مدح الحارث وهرم :

وقــد قلتما : إن نُدرك السلـم واسعا بمالٍ ،ومعــروف من الأمــرِ ،نسلم[1]

وينادي زهير بالستر وتقى الله قائلا :

والستــرُ دون الفاحشــات وما يلقــاك ، دون الخــيرِ ، من ستر[2]

أما عبدُ قيس بنُ خُفَاف فهو يطالعنا بقصيدة[3] تعد من الأدب الرفيع والخلق السامي يقول فيها :

واتــرك محــلَّ السُّــوءِ لا تحلُلْ به وإذا نبــا بِك مَنْــزِل فتحوَّل[4]

وإذا هَممــتَ بأمــرِ شرٍّ فاتَّـئِد وإذا هممــت بأمــرِ خَــيرٍ فافْعَلِ

وإذا تشاجــر في فؤادِك مرَّة أمــران فاعمِــدْ للأعفِّ الأجْمَلِ

أما قيس بن الخطيم فإنه يرفض الباطل وينادي بالحق ويقول شعراً مطابقاً لما جاء في الانجيل « كل من لا يدخل من باب الحظيرة فهو سارق ولص » :

متــى ما تقـد بالباطـل الحـق يأبه وإن قدت بالحـق الــرواسي تنقد[5]

متــى ما أتيت الأمــر من غــير بابه ضللت وإن تدخـل من البـاب تهتدِ

وهذا ما يوافق قول القرآن الكريم ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾[6]

---

(1) نفس المصدر ص12

(2) نفس المصدر ص116

(3) المفضليات ـ تحقيق شاكر وهارون . ـ دار المعارف / مصر / قصيدة رقم116 ص384

(4) المفضليات قصيدة رقم116 ص386

(5) ديوان قيس بن الحطيم ص130 / صادر /

(6) البقرة : 189 .

أما المُثقِّب العبدِي الشاعر الجاهلي القديم فيطالعنا بشعر فيه منـاداة « بنعم نعم ولا لا » ومن زاد على ذلك فهو من الشرير كما ورد في الكتـاب المقدس . كما أن فيه الكثير من الحرص على رضا النـاس ، وتحـاشي الغيبـة وتجنب الرياء ، والحلم على الجهال . إنه نفحة في رياض الله . يقول[1] :

لا تقولنَّ إذا ما لم تُرِد   أن تُتِمَّ الوعدَ في شيء « نعم »

إنَّ « لا » بعدَ « نعم » فاحشةٌ   فبـ« لا » فابدأ إذا خِفتَ النَّدم

لا تراني راتعاً في مَجْلِسٍ   في لحوم الناسِ كالسَّبْعِ الضَّرِمْ

إن شرَّ الناس من يكشِرُ لي   حين يلقاني وإنْ غِبتُ شَتَمْ

وكلامٍ سَيِّءٍ قد وُقِرَتْ   أذني عنه وما بي من صَمَمْ

إن الله فاحص القلوب والكلى يعرف خفايا القلوب ومكنونات الصدور وسيكشف لكل انسان أعماله وما اقترفت يداه في يوم الحشر ، يوم الحساب ، وهو المنتقم الجبّار . يقول زهير في ذلك[2] .

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم   لِيَخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلمِ

يُؤخَّرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ   ليومِ الحسابِ أو يُعجَّل فيُنْقَمِ

ويماثله قول بشر بن أبي خازم الأسدي :

فعفوتُ عنهم عفوَ غيرِ مثرِّبٍ   وتركتُهم لعقابِ يومٍ سرْمَدِ[3]

أما ارادة اللهَ في خلقه ، يحيي من يشاء ويميت من يشاء ، في زمن معين ومكان معين فقد اطّلع العرب الجاهليون على ذلك ولعلّهم عرفوه ،

---

(1) المفضليات قصيدة رقم77 ص293-294

(2) شرح المعلقات السبع « للزوزني » دار الجيل / بيروت / ص110

(3) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي في ملحق الديوان البيت رقم(4) ص229

وبعضهم آمن به ، من أهل الكتاب وخاصة النصارى لتواجد الكثير من القبائل النصرانية العربية في أكثر من مكان، اديرتهم مفتوحة لكل غاد ورائح وقاطع سبيل وخاصة الى قوافل التجار يميلون إليها للاستراحة والتزوّد بالماء وللاستماع إلى أقوال الرهبان والقسيسين .

يقول قيس بن الخطيم مذكراً بإرادة الله « ولا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بإذن الله » :

يُحِبُّ المرءُ أن يَلْقى مُناهُ ويأبى اللهُ إلا ما يشاءُ[1]

ويقول عنترة في القضاء والقدر[2] :

إذا كان أمرُ اللهِ أمراً يُقدَّرُ فكيف يَفِرُّ المرءُ منه ويحذرُ
ومن ذا يردُّ الموتَ أو يدفعُ القضا وضربتُهُ محتومةٌ ليس تعثُرُ

ويقول أيضاً :

أدافعُ الحادثاتِ فيكِ ، ولا أطيقُ دفعَ القضاءِ والقدرِ[3]

ويقول أيضاً :

فالموتُ لا ينجيكَ من آفاته حصنٌ ولو شيّدتَهُ بالجندلِ[4]

ويقول :

يخوضُ الشيخُ في بحرِ المنايا ويَرجِعُ سالما والبحرُ طامي[5]
ويأتي الموتُ طفلاً في مُهود ويلقى حتْفَه قبلَ الفِطام

---

(1) الديوان ص155 صادر تحقيق ناصر الدين الأسد الطبعة(2) بيروت1967
(2) ديوان عنترة ص94 مكتبة كرم / دمشق /
(3) نفس المصدر ص101
(4) نفس المصدر ص139
(5) نفس المصدر ص160

ويقول النابغة الذبياني بهذا المعنى :

وما رأيتك إلا نظرة عرضَتْ يومَ النِّمارة والمأمورُ مأمورُ(1)

ويقول ثعلبة بن عمرو العبدي :

عتادُ امرىءٍ في الحرب لا واهنِ القُوى ولا هو عمَّا يقدِرُ اللهُ صارفا(2)

والنابغة الذبياني في قصيدته « بانت سعاد » يظهر ما يؤمن به وهو الابتعاد عن اللهو بالنساء لأن الدين(3) يأمره بذلك وبابتعاده هذا يريد تقوى الله وبرَّه . يقول :

حيّاك ربّي فإنَّا لا يحِلُّ لنا لهو النساءِ ، وإنَّ الدين قد عزما
مشمِّرين على خوصٍ مُزمَّمة نرجو الإله ، ونرجو البِرَّ والطُّعُما(4)

ويذكرنا شعر عَبيد بن الأبرص : بقول الانجيل « قريبك من صنع معك الرحمة » يقول :

قد يُوصَل النازحُ النائي وقدْ يُقطَعُ ذو السُّهْمَةِ القريبُ(5)

أما الموت الذي لا مفرَّ منه فقد قال فيه الممزَّق العبدي :

هل للفتى من بناتِ الدهْرِ من واقِ أم هل له من حِمَامِ الموتِ من راقِ(6)

---

(1) ديوان النابغة الذبياني المؤسسة العربية للطباعة والنشر / بيروت / ص71

(2) مفضليات قصيدة74 ص282

(3) ربما عنى بالدين « الحج » .

(4) الديوان ص101

(5) ديوان عَبيد بن الأبرص دار بيروت للطباعة والنشر1979 ص26

(6) المفضليات قصيدة80 ص300

فماذا كانت العادات عند عرب الجاهلية في الموت والدفن وتقاليدهم في اللبس وزيارة الأضرحة ؟ وهل أخذوا بعضها عن أهل الكتاب وخاصة النصارى ؟

جرت العادة بين اليهود القدماء أن يغمض الأقارب عيني الميت [1] ، وهي عادة استمرت حتى يومنا هذا وعند أكثر أمم الأرض . كما عرفت المسيحية الأولى البكاء والنحيب على الموتى ولأيام طوال تستمر بعد الدفن [2] . واعتادوا غسل الجثة [3] ولفها بأكفان من كتان وربط الرأس بمنديل [4] . فماذا كانت عادة الجاهليين في ذلك ؟ وهل تأثروا بعض الشيء باليهود النصارى ؟ من المرجَّح أن يكونوا قد تأثروا فالنوائح قرب الميت يلبسن ثياب الحداد يقول عنترة في ذلك :

وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقُمْ ... قرائبُ عمرو وسط نوح مُسلَّب [5]

ويقول أيضاً :

تركنا ضرارا بين عان مُكبَّل ... وبين قتيل غاب عنه النوائحُ [6]

وعن القبر والكفن يقول أوس بن حجر :

ولا مَحَالة من قبر بِمحْنِيَة ... وكفن كسراةِ الثَّوْرِ وضّاحِ [7]

---

(1) الكتاب المقدس . سفر التكوين(46 :4)
(2) نفس المصدر . يوحنا11 :19 و31، 33
(3) نفس المصدر . (1) عبرانيين37:9
(4) نفس المصدر . يوحنا20 :7
(5) الديوان ص44
(6) ديوان عنترة بن شداد . ص64 مكتبة كرم / دمشق /
(7) ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف نجم . دار صادر بيروت ص14 ورُوي هذا البيت لعبيد بن الأبرص .

ويقول أيضاً في رثاء فضالة بن كلدة :

لا زال مِسكٌ ورَيحانٌ له أرجٌ على صداك بصافي اللون سلسالِ
يسقي صداك ومُمساه ومُصْبَحه رِفْهاً ورَمْسُك محفوفٌ بأظلال [1]

ويقول أيضاً في رثاء فضالة مشيراً الى عادة حمل قضب الريحان الى القبور :

لا زال ريحانٌ وفغوٌ ناضرٌ يجري عليك بِمُسْبَل هطّالِ [2]

ويشير الحرث بن ظالم الى لباس الحزن وأكثر ما سُمي في الجاهلية بـ« السلاب » . يقول :

على عمد كسوتُها قُبوحا كما أكسو نساءَها السِّلابا [3]

كما يشير الأعشى إلى ذلك :

كأن نَخيلَ الشطِّ غِبَّ حريقه مآتمُ سودٌ سَلَّبَتْ عند مأتمِ [4]

لقد عرف عرب الجاهلية عادةَ غسلِ الموتى ولعلّهم عرفوها وأخذوها عن أهل الكتاب . وقد أشار إلى ذلك الأفوه الأودي :

ألا علّلاني واعلما أنني غررٌ فما قُلتُ يُنجيني الشّقاقُ ولا الحَذَرْ
وجاءُوا بماء بارد يغسلونني فيالكَ من غَسل سيتبعُهُ كَبَرْ [5]

---

(1) نفس المصدر ص106
(2) نفس المصدر ص108
(3) المفضليات قصيدة89 ص314
(4) ديوان الأعشى . المؤسسة العربية / بيروت / ص184
(5) الملل والنحل . مؤسسة الحلبي وشركاه/ القاهرة / 1968 / الجزء (3) ص94

وقال محمد بن السائب الكلبي : « كان العرب في جاهليتهم يكفنون موتاهم ، ويصلّون عليهم ثم يُدفنون ، بعد أن يُقال : عليكم رحمةُ الله وبركاتُه »[1] .

كما عرف عرب الجاهلية البعث والنشور ، إذ يجمع البشر في يوم الحساب . الموتى يقومون بعد أن يُصاح بهم . يقول عامر بن الظرب العدواني في وصيَّة طويلة له : « إني أرى أموراً شتى وحتى . قيل له : وما حتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حيّا »[2] .

ويقول زيد بن عمرو بن نفيل :

فلن تكونَ لنفس منك واقيةٌ	يوم الحساب إذا ما يُجمعُ البشرُ[3]

أما قس بن ساعدة الإيادي فينشد بمعنى الإعادة :

يا باكي الموتِ والأمواتُ في جدثٍ	عليهمْ من بقايا بزِّهم خِرقٌ
دَعْهُم فإن لهم يوماً يُصاح بهمْ	كما يُنبَّهُ من نوماتِه الصَّعِقُ
حتى يجيئوا بحال غيرِ حالهِمُ	خلْقٌ مضى ثمَّ هذا بعدُ ذا خُلِقُوا
منهم عُراةٌ ومنهم في ثيابهِمُ	منها الجديدُ ومنها الأزرقُ الخلَقُ[4]

وقد كان للنصرانية أثر آخر في نصارى عرب الجاهلية . ألا وهو الزواج ومحاربة الرقيق ، فقد كانت الكنيسة تحارب الرقيق ، ومن وطىء أمةً غير زوجته فهو زانٍ[5] وقد ذكر ذلك ، أوس بن حجر التميمي يعيّر قوماً من بني

---

(1) الملل والنحل 3 / 94

(2) نفس المصدر 3 / 87

(3) نفس المصدر 3 / 86

(4) نفس المصدر 3 / 86

(5) آدم ماتز الحضارة الاسلامية ص295

قيس بن ثعلبة وقد تناوبوا على امرأة أبيهم ثلاثة ؛ واحداً بعد الآخر . يقول :

والفـــارسيّـةُ فيكم غـــيرُ مُنْكرة   وكلُّـكم لأبيه ضَيْزَنٌ سَلِفُ[1]

وأخيراً وليس آخراً فقد أثّرت النصرانية في عرب الجاهلية من ناحية الفن ، إذ أدخلت إليهم فناً جديداً في البناء ، هو بناء الكنائس والأديرة والمذابح والمحاريب والزخرفة ، كما أدخلت النحت والتصوير[2] .

---

(1) الملل والنحل 3 / 90

(2) جواد علي 6 / 690

الباب الثالث :

الوثنيون عبدة الأصنام والأوثان

الفصل الأول

تعريف : صنم ـ وثن ـ نصب

1 ـ صنم :

قال ابن سيدة في تعريف الصنم : هو ما يُنحت من خشب ويُصاغُ من فضة ونحاس ، والجمع أصنام[1] . وقيل عن الصنم : هو ما كان له جسمٌ أو صورة ، وما لم يكن له كذلك فهو وثَن[2] . وقد روى ابن عبَّاس عن ابن الأعرابي : الصَّنَمَة والنَّصمة الصورة التي تُعبد[3] . وقال ابن عرفة : ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثَن[4] . وروي عن الحسن أنه قال : لم يكن حيٌّ من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه[5] .

وكلمة صنم لا ترد في القرآن الكريم إلا على صيغة الجمع ، وفي خمس آيات فقط[6] . مما يدل على أن عبادة الأصنام كانت مستشرية في ما قبل الاسلام وقد عزاها القرآن الى قوم موسى ، وفي الحديث عن ابراهيم وأبيه وقومه .

وقد عرَّفه ابن الكلبي : ما كان معمولاً من خشبٍ أو ذهب أو فضة صورةَ إنسان ، فهو صنم ؛ وإذا كان من حجارة ، فهو وثن[7] .

---

(1) لسان العرب12 / 349 مادة (صنم) دار صادر .

(2) نفس المصدر

(3) نفس المصدر

(4) نفس المصدر

(5) نفس المصدر

(6) القرآن الكريم . الأعراف : 138 ابراهيم : 35 . الأنعام : 74 . الشعراء : 71 . الأنبياء : 57

(7) هشام بن محمد الكلبي : تحقيق أحمد زكي الأصنام / الدار القومية / القاهرة / 1965 . ص53

والكلمة ، كما وردت في المعاجم العربية ، يقال إنها معرَّبة عن « شَمَن » [1] على أن بعض علماء اللغة من الأوروبيين يرجع كلمة « شنم » التي عُرِّبت عنها كلمة صنم العربية إلى(SELEM) بمعنى صورة في العبرية وS-L-M اسم اله ورد ذكره في نقوش آرامية بتيماء [2] .

وقد جاء في المؤلفات الاسلامية أن أول من نصب الأصنام في مكة هو عمرو بن لحي الذي قدم بصنم يقال له : هبل من هيت من أرض الجزيرة ، فنصبه على بئر في بطن الكعبة وأمر الناس بعبادته [3] وجاء في كتاب الأصنام أن أول من نصبه هو خُزَيمة بن مدركة . . . . بن مضر [4] .

وعمرو بن لحي المذكور هو الذي أمر الناس بعبادة الصنمين « أساف ونائله » [5] وتسربت عبادة الأصنام الى العرب الجاهليين وتزايدت ، فرفعت الأصنام وخاصة حول الكعبة.وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : « دخل رسول الله ﷺ مكة في يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فطاف على راحلته وهو يقول : «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » وأشار اليها فوقعت جميعها » [6] وقال ابن اسحق : أمر الرسول بالاصنام فجمعت وكسرت وحرقت بالنار . وفي ذلك يقول فضالة ابن عمير في ذكر يوم الفتح :

---

(1) لسان العرب12 / 349

(2) محمود سليم الحوت ـ الميتولوجيا عند العرب ـ دار النهار للنشر / بيروت / ص37 عنEnc. of Islam 4- 147

(3) الأزرقي ـ أخبار مكة . دار الأندلس الجزء1 ص117

(4) الأصنام ص28

(5) أخبار مكة1 / 120

(6) نفس المصدر1 / 121

أو ما رأيت محمـــدا وجنوده بالفتـــح يوم تكسُّرُ الأصنام
لرأيت نور الله أصبـــح بيّنا والشرك يغشى وجهـــه الاظلام[1]

2 ـ وثن :

يقول ابن الكلبي . فإذا كانت تماثيل دَعَوْها الأصنام والأوثان[2] .

وهكذا نرى أن كثيراً ما خلطوا بين تعريف الوثن والصنم . ولقد قيل الوثن هو الصنم الصغير . كما قيل سمـي وثنـاً لانتصابـه وثباتـه على حالـة واحدة ، من وَثَنَ بالمكان ، أقام به فهو واثن[3] . وقد قال ابن عرفـة : ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثن[4] . وقيل الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثّة من خشب أو حجر أو فضة يُنحت ويُعبد ، والصنم الصورة بلا جثة[5] . وقيل إذا كان معمولاً من خشب أو ذهب أو من فضة صورةَ انسان ، فهو صنم ، وإذا كان من حجارة ، فهو وثن[6] .

وقد ذكر القرآن الكريم الأوثان على صيغـة الجمـع كما ذكر الأصنـام ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان »« إنما تعبدون من دون الله أوثاناً »« وقال »إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ﴾[7]. وعلى ما يبدو فإن معناها في هذه الآيات هو المعنى نفسه في كلمة الأصنام في الآيات الأخرى .

---

(1) نفس المصدر
(2) الأصنام ص33
(3) تاج العروس للزبيدي مادة (وثن)
(4) لسان العرب12 / 349 صادر
(5) نفس المصدر .
(6) الأصنام ص53
(7) القرآن الكريم . الحج : 30 العنكبوت17 ,25

وقد ذكر الأوثان الأعشى بقوله :

وذا النُّصب المنصوبَ لا تنسُكنَّه ، ولا تعبُدِ الأوثانَ والله فاعبدا (1)

وقد جمع الأعشى في بيته هذا النُّصُبَ والأوثان ، فما هي النصب ؟

3 – النُّصُب :

والنَّصْب : كل ما عُبِد من دون الله ، والجمع أنصاب (2) . وهكذا عرّفه الجوهري أيضاً . وقال الفراء : كأن النُّصُبَ الآلهةُ التي كانت تُعبد من أحجار (3) . وقال ابن سيده : الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة ، تُنصبُ فيُهَلُّ عليها ، ويُذْبَح لغير الله (4) . ويقول ابن الكلبي : إن من لم يتخذ صنماً ولا يقدر على بناء بيت ، نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره ، ثم طاف به وسمّوها الأنصاب (5) ، ويقول أيضاً وكانوا يذبحون الغنم عند أصنامهم وأنصابهم ، ويسمون الذبائح العتائر والمذبح العِتْرَ وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى :

فزلَّ عنها وأوفى رأس مرْقبة كمنصبِ العتر دمّى رأسه النُّسُكُ (6)

ولعلَّ تعريف ابن الكلبي هو أوضح ما ذكره الأقدمون عن الأنصاب والأصنام والأوثان يقول : وكانت للعرب حجارةٌ غُبْرٌ منصوبة ، يطوفون بها ويَعْتِرُون عندها (7) .

---

(1) ديوان الاعشى ص46
(2) لسان العرب1 / 759 مادة (نصب) صادر
(3) نفس المصدر
(4) نفس المصدر
(5) الأصنام ص33
(6) الأصنام ص34
(7) الأصنام ص42

وقد أقسم الجاهلي بالأنصاب كقول عمرو بن جابر الحارثي :

حَلَفَــتْ غُطَيْفُ لا تُنَهْنِـــهُ سرْبَهَا وحَلَفْـتُ بالأنصــاب أن لا يُرعِدوا [1]

كما يحلف بها أحد بني ضَمَرَةْ فيقول :

وحلفْتُ بالأنصابِ والسُّترِ [2]

ويذكر المثقِّب العبدي قضية الطواف حول النصب فيقول :

يُطيفُ بنُصْبِهــم حُجْـنٌ صغارٌ فقــد كادت حواجبُهُـم تشيبُ [3]

وقد ذكر القرآن الكريم الأنصاب والنصب في ثلاثة آيات [4] بقوله : ﴿وما ذبح على النصب » و « كأنهم الى نصب يوفضون » و « انما الخمر والميسرُ والأنصاب والأزلام رجسٌ﴾ .

والأعشى يذكر هذه الأنصاب بشعره ويصف العبيد المحبوسين عندها إما لإداء الفرائض الدينية أو للصلاة وبني سعد حول هذه الأنصاب يقول :

وَرَدَتْ على سعــدِ بن قيْــ ــسٍ ناقتــي ، ولمــا بهــا

فإذا عبيدٌ عكَّـــفٌ ، مُسَـــكٌ على انصابها

وجميع ثعلبَـــةَ بـــن سَعْـــ ــدٍ ، بعــدُ ، حولَ قبــابهــا

وعَلِمْـــتُ أن اللهَ عَمْـــ ــدا حسُــهــا وأرى بها [5]

---

(1) نفس المصدر

(2) نفس المصدر

(3) نفس المصدر

(4) القرآن الكريم : المائدة : 3 المعارج : 43 . المائدة : 90

(5) ديوان الأعشى ص19

الفصل الثاني

: أصنام العرب وأوثانهم وأنصابهم

لا شكَّ في كثرة أصنام العرب وأوثانهم وأنصابهم ، التي انتشرت بينهم في عصور الجاهلية ، غير أنه من الصعب جداً على الباحث حصر عدد آلهتهم ومقدار اهتمامهم بها . فابن الكلبي يقول : لما تكاثر أولاد اسماعيل وملأوا مكة وضاقت بهم أرضها ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، أخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش ، والسبب الذي ساقهم الى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كلما ظعن من مكة ظاعن احتمل معه حجراً من حجارة الحرم ، تعظيماً « للبيت » وصبابة بمكة ، وحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به تيمناً بالكعبة[1] . ثم تباعد بهم الزمن فعبدوا ما استحبوا من الأوثان ، ونسوا ما كانوا عليه من دين اسماعيل وابراهيم[2] .

ويقول ابن هشام : أن عمرو ابن لحيّ استقدم هُبَل من مآب من أرض البلقاء الى مكة ونصبهَ وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[3] .

وقد قال ابن الكلبي عنه : أنه أول من غيَّر دين اسماعيل ، فنصب الأوثان وسيَّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وبحَّر البَحِيرة وحمى الحامية[4] ،

---

(1) الأصنام ص6

(2) نفس المصدر . والسيرة النبوية أيضا(1 ,2) ص77 وأخبار مكة1 / 116

(3) السيرة النبوية(1 ,2) ص77

(4) الأصنام ص8

وسأل أهل البلقاء ، وكانوا يعبدون الأصنام ، أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة[1] .

ويقول المسعودي : لما وليت خزاعة أمر البيت ، وتولاهم عمرو بن لحي ، غيّر دين ابراهيم ، وبعث العرب على عبادة التماثيل ، التي قدم بها من الشام ، وفي ذلك يقول رجل من جرهم :

يا عمرو لا تظلم بمكّة إنها بلدٌ حرام[2] .

ولما أكثر عمرو بن لحي من نصب الأصنام حول الكعبة ، وأجبر العرب على عبادتها ، قال شحنة بن خلف الجرهمي :

يا عمرو .إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت ربٌ واحدٌ أبدا فقد جعلت له في الناس أربابا[3]

وما يهمنا نحن من روايات ابن الكلبي وابن هشام والمسعودي وغيرهم من أصحاب الروايات ، ليس اثباتَ وقتٍ مُحدَّد لدخول عبادة الأوثان الى عرب الجاهلية ، بل التأكد من أن بعض عرب الجاهلية كانوا قد ألهوا الأصنام والأوثان والأنصاب وعبدوها من دون الله وكما اننا لا ندخل في جدل غير مُثبت عن الشخصية التي أدخلت مثل هذه العبادة الى جزيرة العرب لعلمنا أن العرب القدامى ، وقبل كل شيء ، كانوا على اتصال دائم بمن حولهم ، من شعوب العالم القديم ، وكان لهذا الاتصال سبل عديدة نذكر منها : التجارة ، وهجرة القبائل واقامتها في أرض متاخمة للفرس والرومان ، والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب تدعو الى

---

(1) نفس المصدر

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ دار الأندلس / بيروت / 1965 ج م ص29

(3) نفس المصدر ص30

دينها ونشر تعاليمها[1] . . .

والعرب طبقاً لقانون التضخم السكاني ، وهروباً من الغزو ، والغزو المعاكس ، وحباً في البحث عن الماء والمرعى لمواشيهم ظعنوا من أماكنهم وانفسحوا في البلاد[2] ، ولما كانوا يعظمون مكة والكعبة ، فربما يكونون قد حملوا معهم في ترحالهم ، كما ذكر الكلبي ، أثراً من آثار الحرم ، فكرموه وأحبوه باديء ذي بدء ، ثم تعبدوا له وألّهوه عند تقادم الزمن وفي ابتعادهم عن « البيت العتيق » . وبما أنهم في ترحالهم هذا واقامتهم في موطن جديد قد اختلطوا بأقوام أخرى ربما غايرتهم في عقيدتهم ، فتأثروا بها بمرور الأزمان فأخذ بعضهم عن بعضها عبادة بعض الأوثان[3] .

وربما قامت عبادة الأوثان في الجزيرة العربية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة ، كالأرض وما عليها من انسان وحيوان ونبات ، والسماء وما فيها من نجوم وكواكب ، ولعلّهم اعتقدوا أن حياتهم تقع تحت تأثير هذه الظواهر ، فحرصوا على إرضائها اجتلاباً لخيرها واتخذوا لها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار واحجار ، وقدسوها وعبدوها وطافوا حولها ، وتاجروا عندها ، واتبروا امكنتها حرماً .

وكان للعرب أصنام كبرى عامة « كاللات والعزى ومناة » يقر بربوبيتها أكثر عبدة الأصنام من العرب ، وأصنام أخرى لكل قبيلة وثنية ، ولم يكتفوا بها ، بل كان لأكثرهم صنم أو نصب صغير في بيته يطوف به حين خروجه

---

(1) الأغاني 20 / 23 في « خبر لقيط ونسبه » وقصة ارتحال اياد عندما أجدبت أرضهم ونزولهم بسنداد

(2) ونواحيها وعبادتهم للصنم « ذو الكعبين » .

(3) انظر الباب الأول من البحث .

ويأخذه معه عند سفره[1] .

ولعلَّ العرب اعتبروا الوثنية ديانة تقليدية وراثية ، فقالوا عنها انها ديانة الآباء والأجداد ، وهذا ما يفسره لنا لقاء أشراف قريش وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب بأبي طالب ، عم الرسول وحاميه ، وقولهم له « يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا وظلَّل آباءنا ، فإما أن تكفَّه عنا وإما أن تخلِّ بيننا وبينه »[2] . وكذلك قول القرآن الكريم في ذكر ابراهيم : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ، ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾[3] .

ولما كانت الكعبة مصدر رزق أهل مكة وهي محج العرب يقصدونها من كل حدب وصوب ، نصبت قريش أصنام جميع القبائل عند الكعبة ، ليرى الحاج معبوده عندما يحج فيتبرك ويرضى ويقدم القرابين[4] . وهكذا نرى أن الأصنام تكاثرت بمكة زمن الجاهلية وتعبَّد لها العرب وذبحوا الهدايا ولطخوا هذه الأصنام بدمائها ، يلتمسون بذلك التبرّك والزيادة في أموالهم[5] . . . . ولم تُرضِ هذه العبادات بعضهم فنرى زيداً بن نفيل وقد حزَّت بنفسه عبادة مادون الله ينبري ليقول :

أربا واحدا أم الف ربٍّ	أدين إذا تقسَّمت الأمورُ
تركتُ اللات والعُزَّى جميعا	كذلك يفعل الرجل البصيرُ
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتيها	ولا صنمَيْ بني غنْم أزور[6]

---

(1) محمد حسين هيكل ـ حياة محمد . الطبعة(13) مكتبة النهضة المصرية 1968 ص84

(2) نفس المصدر . ص145

(3) سورة الأنبياء اية 52, 53

(4) الخربوطلي ـ تاريخ الكعبة ـ دار الجيل / بيروت / 1976 . ص36

(5) الملل والنحل 3 / 93

(6) نفس المصدر . والأغاني 3 / 15 دار الفكر عن طبعة بولاق .

وينبري أيضاً القلمس بن أمية الكناني يخطب للعرب بفناء مكة :
« أطيعوني ترشدوا . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إنكم قد تفرقتم بآلهة شتى ، وإني لأعلم ما الله راضٍ بها ، وإن الله رب هذه الآلهة ، وإنه ليحب أن يعبد وحده »[1] .

---

(1) نفس المصدر .

الفصل الثالث

أشهر الآلهة عند العرب

قلنا فيما سبق أن آلهة العرب كثيرة ، ولكن أشهرها أربعة هي : مناة ، واللات والعزى ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم معاً[1] . ومن ثم هبل .

مناة :

أقدم أصنام العرب ، نصب على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقُدَيْد بين المدينة ومكّة . كانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما حولها ، وكل العرب ، يعظمونه ويذبحون ويهدون له[2] .

وفي مناة هذه قال الكُميت بن زيد بن مُدْركة :

وقد آلت قبائلُ لا تُولي ... مناة ظهورها مُتحرّفينا[3]

ويقول فيها أيضاً عبدُ العُزّى بن وديعة المُزَنيْ :

إني حلفتُ يمينَ صدق بَرّة ... بمناة عند محلِّ آلِ الخزرجِ[4]

وهكذا نراهم وقد حلفوا بها ، كما تسموا بـ « عبد مناة » و « زيد مناة »[5] وبقي هذا الصنم معظماً عند العرب الجاهليين حتى عام ثمانية للهجرة

---

(1) سورة النجم آية 20 أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .

(2) الأصنام ص 13 والسيرة النبوية (1-2) ص 85 .

(3) السيرة النبوية (1-2) ص 85

(4) الأصنام ص 14

(5) نفس المصدر ص 13

حين بعث الرسول علياً بن أبي طالب فهدمه ، وأخذ ما كان له ، وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمّر الغسّاني أهداهما (له) . وقد ذكر هذين السيفين علقمة بن عبدة في شعره :

مظاهـرُ سِرْبـالَيْ حديد عليهما عقيلا سيوف مِخْـذَمٌ ورسوبُ

وقد وهب الرسول السيفين الى علي[1] .

اللات :

إلهة عربية أخرى ، غاص البحاثون في معناها ورموزها وصفاتها . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم[2] مما يشير إلى أن عبادتها بقيت حتى ظهور الاسلام إذ عظمتها قريش وجميع العرب[3] . ومعنى اللات : الالهة ، وقيل انها اسم للشمس[4] وهي من الآلهة المعبودة عند النبط أيضاً . وقد ورد اسمها في نصوص صلخد وتدمر (هـ ل ت) ومعناها اللات[5] ، والمعروف أن اللات قد عبدت بشكل صخرة مربعة بالطائف ، وتسمى العرب بـ « زيد اللات » ، و« تيم اللات » وأقسموا بها أيضاً : يقول المتلمس :

أطْرَدْتَنـي حذرَ الهجـاء ولا والـلاتِ والأنصـابِ لا تئِلُ[6]

ويحلف بها أوس بن حجر ولكنه يقر بتفوق الله عليها ، فيقول :

---

(1) نفس المصدر ص15 ومعجم البلدان 5 / 205 والسيرة النبوية 1-2 / 86 .

(2) سورة النجم آية 20

(3) الأصنام ص16

(4) الحوت عن ص18 جـ3 Enc. of Islam

(5) جواد علي 6 / 232 عن Enc. Relig: 1, p. 661

(6) الأصنام ص16

وبالــلاتِ والعُــزّى ومــن دان دينَها وبـــاللهِ ، إن الله منهـــن أكبرُ[1]

ويقيت اللات تعظم حتى أسلمت ثقيف ، فبعث الرسول المُغيرة بن شعبة فهدمها وحرّقها بالنـار[2] ، ولـكن ثقيفـاً فيما يبـدو ظلـت على ولائهـا لِـ « اللات » وذلك بعد هدمها ، فنهاهـم شداد بن عارض الجُشَمِيّ بقوله :

لا تنصروا الـــلاتَ إن الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصرُ

إن التـي حُرِّقــت بالنـــار فاشتعلت ولم تقاتــل لدى أحجارهــا ، هَدَرُ[3]

لقد كان العرب يعلقون القلائد والسيوف على تلك الأصنام ، وهـذه عادة بقيت سائدة حتى يومنا هذا ، إذ نرى أهل الديانات يتقربون من الأولياء ومزاراتهم بتعليق قطـع من المعـادن الثمينـة فيهـا . يقـول كعـب بن مالك الأنصاري مشيراً إلى ذلك :

وننسى الــلات والعـــزى وودّاً ونسلبهـــا القلائـــد والسيوفا[4]

العُزّى :

والعزى آلهة انثىّ فيما يبدو من كلام الرواة عنها[5] ، ومما جاء في القرآن الكريم عنها وعن اللات ومناة[6] . ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألـكُم الـذكرُ ولـه الأنثى تلك إذاً قسمـة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها ، أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾.

---

(1) بنفس المصدر ص17 ومعجم البلدان5 / 4-5 .

(2) نفس المصدر

(3) نفس المصدر

(4) جواد علي6 / 234

(5) الأصنام ص17 وما بعدها

(6) سورة النجم اية20-23 .

وأما الذي اتخذ العزى ، على رواية ابن الكلبي ، فهو ظالم بن أسعد[1] وأما موضعها فكان « بواد من نخلة الشآمية ، يقال له حراض بازاء الغُمير عن يمين المُصعد إلى العراق من مكة ، فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بُساً (يريد بيتاً) ، وكانوا يسمعون فيه الصوت »[2] .

وقد كانت العزى أعظم الأصنام عند قريش ، تُعبد بثلاث شجرات سمرات بوادي نخلة ، حيث يشتي الرب لحر تهامة بعد أن يكون قد إصطاف في اللات لبرد الطائف[3] .

وكانوا يزورونها ويهْدُون لها ، ويتقربون عندها بالذبح . وقد روى ابن الكلبي عن الرسول (ﷺ) أنه ذكرها يوماً بقوله : « لقد أهديت للعُزى شاة عفراء ، وأنا على دين قومي »[4] . وقد تسمى العرب وقريش بالعزى ، فقالوا :

عبد العزى[5] وقد أقسموا بها : يقول درهم بن زيد الأوسّي :

إنـي وربِّ العُـزّى السعيدة   والله الـذي دون بيتِـه سرِف[6]

لقد كانت عبادة العزى شائعة بين عرب الجنوب أيضاً . فقد جاء في نص عربي جنوبي اسم امرأة (أمت عزى) ، (أمة العزى)[7] كما عظمها

---

(1) الأصنام ص18 .

(2) الأصنام ص18 ومعجم البلدان4 / 116 صادر

(3) أخبار مكة ص126

(4) الأصنام ص19

(5) نفس المصدر ومعجم البلدان4 / 116 صادر

(6) نفس المصدر

(7) جواد علي6 / 238 عن94 Dr. Grundbuchs

ملوك الحيرة من آل لخم ونحروا الأسرى قرباناً لها[1] .

وكانت قريش قد حمت لها شِعبا من وادي حِراض ، يضاهون به حرم الكعبة ، وكان لها مِنْحر ينحرون فيه هداياها ، يُسمى الغَبغَب . وقد ذكر الغَبغَب أبو خراش الهُذلي ، وهو يهجو رجلاً تزوج امرأة جميلة اسمها اسماء :

لقد أنكحتْ أسماءُ لحيَ بُقيْرة | من الأدْمِ أهداها امرؤٌ من بني غنْم
رأى قذعا في عينها إذ يسوقُها | إلى غبْغب العُزَّى ،فوضَّع في القسْم[2]

ويقول نُهَيكة الفزاريّ لعامر بن الطفيل وهو يذكر الغبغب أيضاً :

يا عامِ ! لو قدرت عليك رماحُنا | والراقصات إلى مِنى فالغبْغبِ[3]

ويقول ياقوت عن أبي المنذر : وكان للعزى منحرٌ يسمى الغبغب[4] .

ويذكر هذا الغبغب قيس بن منقذ الخزاعيّ :

تلينا ببيت الله أوّل حلفة | وإلا فانصاب يسرّن بِغبْغبِ[5]

ويشاء التاريخ أن يأمر الرسولُ خالدَ بن الوليد ، فيمسح معالم العُزى فتخرج له حبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها ، تصرفُ بأنيابها ، وخلفها دبيَّة السلمي سادنها يصرخ في العزى ليثيرها على خالد :

اعُزَّاءُ شُدِّي شدةً لا تكذِّبي | على خالد ! ألقي الخمار وشمِّري
فإنك إلاّ تقتلي اليومَ خالدا | تبوئي بذُلٍّ عاجلا وتنصَّري[6]

(1) نفس المصدر عن Malalas 2 / 166

(2) الأصنام ص20

(3) نفس المصدر ص21

(4) معجم البلدان : 4 / 185

(5) الأصنام ص21

(6) نفس المصدر ص26 ومعجم البلدان 4 / 117 وأخبار مكة 1 / 127 للأزرقي .

فيقول خالد :

يا عُزُّ كفرانِـــك لا سبحانك ! إنـــي رأيت الله قد أهانك[1]

ثم يضربها فيفلق رأسها ويقتل سادنها ، وما دام لها سادن فمن المرجّح عندي أن يكون لها بيت يقيم به السادن ، وربما كانت العُزى صنماً وليست سُمرات ثلاث كما نستدل من هذا البيت الشعري الذي رواه الأصمعي ولم يسمّ لنا قائله :

أمـــا ودمـــاء مائـــرات تخالها ، على قُنّـةِ العُزّى وبالنّسرْ ،عندما[2]

فمعظموها قد لطخوا قُنّتها ، أي أعلاها ، بدم الأضاحي ، وهل يعقل أن يلطخ الانسان رأس سَمُرة وكيف يصلها ؟ ولما استأصلها خالد بن الوليد أتى الرسولَ فأخبره . فقال الرسول : « تلك العُزّى ، ولا عُزّى بعدها للعرب ! أما إنها لن تُعبَد بعد اليوم »[3]

هبل :

يقول ابن الكلبي : « كانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وكان أعظمها عندهم هُبَلُ » ويتابع ابن الكلبي الكلام عن هبل فيصفه لنا ، بأنه مصنوع من عقيق أحمر ، ويتخـذ صورة إنسـان ، وكانـت يده اليمنى مكسورة ، وأدركته قريش بدون يد ، فجعلوا له يداً من ذهب »[4] .

---

(1) نفس المصادر
(2) لسان العرب13 / 349 مادة (قنن) . صادر
(3) الأصنام ص26 . أخبار مكة1 / 128
(4) الأصنام ص28

أما ابن اسحق فيقول : « كانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل »[1] ويروي ابن هشام عن بعض أهل العلم قصة جلب هُبل من مآب من أرض البلقاء ، الى مكة ، على يد عمرو بن لحيّ ، وتنصيبه فيها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[2] .

وهبل هذا هو الذي كان يناديه أبو سفيان بن حرب في معركة أحد سنة 3 هـ. بقوله : أعلُ هبل ! أعلُ هبل ! فيجيب الرسول : اللهُ أعلى وأجَلّ[3] !

وكان العرب في الجاهلية يرمون هُبل بالقداح[4] وقد فعل ذلك عبد المطلب بابنه عبد الله حين أراد أن يذبحه[5] ، وقد كان لهبل هذا خزانة للقربان ، وكان قربانه مائة بعير ، وعندما يأتونه بالقربان يضربون القداح ويقولون :

إنا اختلفنا فهب السراحا

ثلاثة يا هبل فصاحا الميت والعذرة والنكاحا

والبرء في المرضى والصحاحا إن لم تقله فمر القداحا[6]

---

(1) السيرة النبوية (1-2) ص82

(2) نفس المصدر ص77

(3) الأصنام ص28 ومعجم البلدان 5 / 391

(4) نفس المصدر

(5) أخبار مكة 1 / 119

(6) نفس المصدر

الفصل الرابع

آلهة الأماكن : ذو الشرى ـ ذو الخلصة ـ ذو الكفين وذو الرجل ـ ود

ذو الشرى :

هو صنم لبني الحارث بن يشكر بن مبشّر من الأزد(1) وله يقول أحد الغطاريف :

إذن لحللنا حول ما دون ذي الشرى وشجّ العدى منا خميس عرمرمُ(2)

وقد ورد في خبر لياقوت الحموي أن مكان الشرى هو « موضع عند مكة في شعر مديح الهذلي » :

ومن دون ذكراها التي خطرت لنا بشرقيّ نعمان الشّرى فالمعرّف(3)

ويستطرد ياقوت فيقول : « والشرى واد من عرفة على ليلة بين كبكب ونعمان(4) ». وقال نُصيب :

وهل مثل ليلات لهن رواجعٌ إلينا وأيّام تحوّل طيبها
إذا أهلي وأهل العامرية جيرةٌ بحيث التقى رهْو الشرى وكثيبها(5)

---

(1) الأصنام ص38

(2) نفس المصدر

(3) معجم البلدان 3 / 330 صادر

(4) نفس المصدر

(5) نفس المصدر

وفي رواية لابن اسحق ، في اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ، أنه عند عودته طلب من زوجته أن تذهب الى حِنَا ذي الشرى فتطهّر منه [1] .

ويُقال أن « ذا الشرى : هو صنم لدَوْس ، وكان له حمى حَمْوه له ، وبه وَشَلٌ من ماء يهبط من جبل[2] » .

وكون ذي الشرى من آلهة الأماكن ، وهو وذو الخلصة من أهم الآلهة التي سميت بأسماء الأماكن ، فمن الصعب على الباحث أن يحدّد مكان هذا الإله أو ذاك لأن الرواة والشعراء الذين ذكروها قد ذكروها في عدة أماكن . ولكننا نستطيع أن نعمّم أن المواضع التي حملت هذا الاسم كانت مواضع خصبة ، وفي مثل هكذا مواضع من الجزيرة الجدباء لا يُستبعد أن تصبح مركز عبادة ، كما أنه لا يستبعد أن يُعبد إله في مكان ما وتنتقل عبادته الى مكان آخر ، إما بعامل التأثير والتأثر وإما بهجرة القبيلة صاحبة الصنم فتحمله معها الى حيث تستقر .

وقد وصف مكسيموس الصوري هذا الصنم ، الذي عبده النبطيون أيضاً ، فقال إن النبطيين اتخذوا صنماً لذي الشرى ، وهو حجر أسود مكعب علوّه أربعة أقدام وعرضه قدمان[3] .

ذو الخلصة :

يحدثنا عنه الكلبي وياقوت وابن اسحق فيقولون أنه كان ذا مكانة رفيعة تفوق مكانة ذي الشرى ، ولربما كانت هناك منافسة شديدة بينه وبين أرفع

---

(1) السيرة النبوية (1-2) ص384 وحِنا بمعنى حمى

(2) نفس المصدر

(3) النصرانية وآدابها القسم الأول ص9

بيت ديني عند عرب الجاهلية ، ألا وهو حرم مكة ، وقد قيل : كان ذو الخلصة يسمًى الكعبة اليمانية ، والبيت الحرام الكعبة الشآمية[1] . وقد كان مروةً بيضاء ، عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة ، بين مكّة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة ، عظمته خثعم وبَجيلة وازد السراة وأقرباؤهم من هوازن .

يقول أحدهم وقد قُتل أبوه ، فأراد الثأر له ، فأتى ذا الخلصة واستقسم عنده بالقداح فخرج النهي :

لو كنتَ يا ذا الخلص الموتورا   مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنهَ عن قتل العُداةِ زورا[2]

وقد ذكر هذا المعبود خداش بن زهير العامري لرجل كان بينهما عهدٌ فغدر به :

وذكّرته بالله بيني وبينه   وما بيننا من وُدّة لو تذكّرا
وبالمروة البيضاءِ يوم تبالة   ومَحبَسَةِ النعمان حيث تنصّرا[3]

وبقي هذا الصنم قائماً حتى هدمه وأحرقه وقتل سدنته جرير بن عبد الله بأمر من الرسول[4] . وقد روي حديث عن الرسول مآله أن طائفة من العرب ترتد إلى جاهليتها في عبادة الأوثان فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة . قال : « لا تذهب الدنيا حتى تصطَكّ أليات نساءِ دوس على ذي الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه »[5] .

---

(1) الأصنام ص34 وما بعدها ومعجم البلدان 2 / 382 وما بعدها والسيرة النبوية (1-2) ص86 .
(2) الأصنام ص35 .
(3) الأصنام ص35
(4) نفس المصدر ص36
(5) نفس المصدر ومعجم البلدان 2 / 384 ولسان العرب 7 / 29 صادر

ويُقال أن امرأ القيس مرَّ بذي الخلصة وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر والناهي والمتربِّص . فاستقسم عنده ثلاثاً فخرج « الناهي » فكسر القداح وضرب بها وَجْهَ الصنم وقال : لو كان أبوك قتل ما عوَّقتني . وغزا بني أسد فظفر بهم[1] .

ذو الكفَين ، وذو الرجل

يقول الأخباريون أن ذا الكفين كان لدوس ثم لبني منهب بن دوس[2] حرَّقه الطفيل بن عمرو الدوسي وهو يقول :

يا ذا الكَفَين لست من عبادكا ميلادنا أكبرُ من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا[3]

أما « ذو الرجل » فلا يزيد الزبيدي فيه على أن يقول : وهو صنم حجازي[4] .

ود :

وهو صنم لقبيلة كلب بدومة الجندل[5] وروى ياقوت عن ابن حبيب : ود كان لبني وبرة وكان بدومة الجندل[6] .

ويقال أن عمرواً ابن لحي استقدمه مع ما استقدم من الأصنام من شط

---

(1) الأصنام ص47
(2) نفس المصدر ص37 ومعجم البلدان4 / 471 صادر . وأخبار مكة1 / 131 . والسيرة(1-2) ص385, 81
(3) نفس المصادر
(4) تاج العروس7 / 340 .
(5) الأصنام ص10
(6) معجم البلدان5 / 367

جدة وأتى تهامة ودفعه الى عوف بن عذرة بن كلب بن قضاعة ، فحمله هذا وأقرَّه بدومة الجندل ، وسمّى ابنه عبد ود ، وجعل عامراً ابنه سادناً له ، ولم تزل بنوه يسدنونه حتى جاء الاسلام وقيّض عبادته[1] .

ويصف مالك بن حارثة الكلبي « وداً » فيقول : « كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد ذُبر عليه حُلّتان ، مُتّزر بحُلّة ، مُرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلّده وقد تنكّب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة فيها نبل »[2] .

وفي ود يقول الشاعر (النابغة الذبياني)

حيَّاكِ وَدُّ ! فإنــا لا يحِـلُّ لنا لهْو النسـاءِ ،وإنَّ الـدين قد عَزَما[3]

وقد ذكره القرآن الكريم في خبر نوح ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدّاً ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾[4] .

وكان الرسول قد أمر خالد بن الوليد بهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود ، فقاتلهم وهدمه وكسره ، وكان فيمن قتل قَطَنُ بن شُرَيح أحد بني عبد ود ، فأقبلت أمُّه تقول :

يا جامعاً ،جامِعَ الأحشـاءِ والكبِدِ يا ليت أمَّك لم تولـد ولـم تَلِدِ[5]

---

(1) الأصنام ص55 ومعجم البلدان 5 / 368

(2) نفس المصدر ص56

(3) الأصنام ص10 وفي الديوان ص101 حياك ربّي .

(4) سورة نوح آية 23

(5) الأصنام ص56

الفصل الخامس

آلهة أخرى مختلفة

أساف ونائلة :

إن للإخباريين قصصاً طريفة في هذين المعبودين ، يمكن أن نستنتج منها أنه كانت لجرهم مجسَّمات مؤلهة سبقت ما أحضره عمرو بن لحي الخزاعي ، من مآب أو من هيت ، من آلهة وما ابتدعه من عقائد .

والروايات تقول : « أن إسافا هو رجل يقال له إساف بن يعْلى ، وأن نائلة هي بنت زيد من جُرهم أيضاً»[1] ، وقد كان إساف يتعشق نائلة في بلاد اليمن ، وأقبلا حجاجاً إلى البيت الحرام ، فدخلا الكعبة ووجدا غفلة من الناس ، وخلوة في البيت ، ففجر بها فمسخا حجرين . . . ثم أُخرجا ليتعظ الناس بهما ، ولما تقادم الزمن عُبدا ، وقد كان أحدهما بلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم ، ثم نقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة الى جوار الآخر ، وكانوا ينحرون عندهما[2] . ولما استقسم عبد المطلب بالقداح عند هُبل على وُلْده وخرج القدح على عبد الله أخذه أبوه بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل إلى أساف ونائلة ليذبحه[3] . مما يشير إلى أن قريشاً قد عبدتهما ، كما عبدتهما خزاعة ومن حجّ البيت من العرب[4] . وعلى ما يبدو فإن قصتهما كانت تتناقل

---

(1) الأصنام ص/ . وأخبار مكة1 / 88, 119, 120, 122, 178 وقد ذكر الأزرقي نسباً مختلفاً لهما يغاير النسب الذي ذكره ابن الكلبي .

(2) الأصنام ص29

(3) تاريخ الكعبة ص99

(4) الأصنام ص9

بين عرب الجاهلية وحتى الاسلام وقد سُمعت عائشة تقول : « ما زلنا نسمع أن أسافاً ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم ، أحدثا في الكعبة فمسخهما الله حجرين »[1] . ويُفهم من رواية الأزرقي أن أهل الجاهلية كانوا يكسونهما كلما بُليت الثياب التي عليهما[2] .

يقول أبو طالب حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر (محمد) وهو يحلف بهما :

أحضرتُ عند البيت رهطي ومعشري — وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

وحيثُ يُنيخُ الأشعرون رِكابهم — بمفضى السيولِ من إساف ونائل [3]

ويقول بشر بن أبي خازم يذكر أسافاً :

عليه الطير ما يدنون منه — مقاماتِ العواركِ من إسافِ[4]

والخلاصة فإن أسافاً ونائلة هما تمثالان حجريان جرهميان ، أحدهما لرجل والآخر لامرأة . وكونهما رجل وامرأة فلا يُستبعد حبك القصص حولهما ، حرمة للبيت ، وموعظة للناس . وما أشبه هذه القصة بقصص نسمعها عن وجود رجل وامرأة صريعين في أحد المزارات أو أمكنة الأولياء . . . مما يفتح مجالاً لخلق روايات تتمخض بالشعور الديني نحو الأولياء وكراماتهم لتبدو الرهبة والاحترام في نفوس العامة .

---

(1) السيرة النبوية (1-2) ص83

(2) أخبار مكة ص178

(3) الأصنام29 . والسيرة(1-2) ص83

(4) الأصنام ص29 ، وأخبار مكة ص120 ، وديوان بشر بن أبي خازم ملحق ص233 رقم البيت(11)

غزالا مكة :

لقد جاء في « السيرة » و« أخبار مكة » أن عمروا بن الحارث الجرهمي ، بعد أن نفت خزاعة جرهما عن مكة خرج بغزالي الكعبة ، وكانا من ذهب ، وحفر في ليلة مظلمة هو وولده في موضع زمزم الذي كان قد نضب ماؤه ؟! ثم دفن الغزالين مع ما دفن[1] إلى أن كان من أمر عبد المطلب وحفره زمزم حيث وجد الغزالين وأعادهما للكعبة بعد الضرب بالقداح عليهما أمام هُبل . وكان هذان الغزالان أول حلية ذهب وضعت بالكعبة[2] .

أصنام قوم نوح :

إن هذه الأصنام قد ذكرها القرآن الكريم ﴿ قال نوح ربِّ إنهم عصوني . . . ومكروا مكْرا كبَّارا ، وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ ودًّا ولا سُوَاعاً ولا يغوث ويعوقَ ونسرْا﴾[3] . فقد كان من هذه الأصنام ما هو على صورة الحيوان ، يقول جرجي زيدان : « وكان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر »[4] أما الصنم ود فقد تكلمنا عنه سابقا .

سواع :

يقول الكلبي : كان يُعبد بُرهاط من أرض ينْبُع في أعراض المدينة وكانت سَدَنَتُه بنو لحيان[5] . ونفهم من اللسان أنه صنم كان لهمْدان ، أو لقوم نوح ، ثم صار لهُذيل وكان برهاط يحجون إليه ، أي أنَّ عبادته تواترت من

---

(1) أخبار مكة 1 / 92

(2) السيرة النبوية (1-2) ص146 -147

(3) سورة نوح اية 21 -23

(4) انساب العرب . جرجي زيدان ص39 والحوت . الميثولوجيا عند العرب . دار النهار ص57

(5) الأصنام ص10 ومعجم البلدان 3 / 276 صادر

نوح حتى زمن الجاهلية على رأي الأزهري[1] . وقد ذكر رجل من العرب هُذيلا وهي عكف حول صنمها بقوله :

تراهم حول قيلهم عكوفا كما عكفت هذيلٌ على سُواع
تظلُّ جنابه صرعى لديه عتائر من ذخائر كلّ راع[2]

وقد نسب بعض أهل الأخبار أن (غاوي بن ظالم السلمي) كان عند الصنم إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنّماه ، فبالا عليه[3] ، فقال :
أربٌّ يبول الثعلبان برأسه ، لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب[4]

وكسره ولحق بالنبي[5]

يغوث :

وقد دفعه عمرو بن لحي إلى أنْعَمَ بن عمرو المراديّ من مَذْحِج وكان بأكمة باليمن ، يقال لها مذحج ، وعبدته مذحج ومن والاها[6] . ومما يظهر من روايات أهل الأخبار ، أنه قد حدث نزاع على هذا الصنم بين بني مراد الذين أرادوا أن يكون الصنم فيهم وسدنته لهم ، وبين بني أنعم الذين هربوا بصنمهم الى بني الحارث فأنجدوهم ، وكانت بينهم وقعة الرَّزم في حوالي سنة 623 أي في السنة التي وقعت فيها معركة بدر[7] وكان بني أنعم يحملون صنمهم

---

(1) لسان العرب 8 / 170 صادر
(2) الأصنام ص57 ومعجم البلدان 3 / 276 صادر .
(3) جواد علي 6 / 259
(4) لسان العرب 1 / 237 صادر وقد قيل أن الشعر لأبي ذر الغفاري أو لعبّاس بن مرداس السلمي
(5) جواد علي 6 / 259
(6) الأصنام ص57 ومعجم البلدان 5 / 439
(7) معجم البلدان 5 / 439

معهم في المعارك . وفي ذلك يقول الشاعر :

وسار بنا يغوث إلى مُراد ... فناجزناهم قبل الصَّباح[1]

وقد ورد ذكر هذا الصنم في القرآن الكريم[2] ، على أنه من أصنام قوم نوح .

يعوق :

ورد ذكره في القرآن الكريم[3] . وقد كان هذا الصنم على رأي ابن الكلبي بقرية يقال لها خيْوان ، تعبده همْدان ومن والاها من اليمن[4] . وقد نقل ياقوت عن أبي المنذر أن خيوان على بعد ليلتين مما يلي مكة[5] .

وقد ذكره الشاعر مالك بن نمط الهمْداني بقوله :

يريشُ الله في الدنيا ويبري ... ولا يبري يعوقُ ولا يريشُ[6]

نسرْ :

ورد ذكرهُ أيضا في القرآن الكريم ، عند ذكر أصنام قوم نوح . ويقول ابن الكلبي أن حِميرا قد اتخذته وعبدته بأرض يقال لها بلْخَع[7] . وقد دفعه عمرو بن لحي الى معْدِ يكرب من ذي رُعينْ ، وقد عبدته حِمير ومن والاها

(1) الاصنام ص10
(2) سورة نوح اية22
(3) سورة نوح اية22
(4) الأصنام ص57 ، والسيرة النبوية(1-2) ص79
(5) معجم البلدان5 / 438 صادر والأصنام ص10
(6) السيرة النبوية(1-2) ص80
(7) الأصنام ص11 ومعجم البلدان5 / 284

حتى هوَّدهم ذو نواس[1] .

وقد ذكر هذا الصنم الأخطل في شعره :

أمــا ودمــساء مائــرات تخالها على قُنَّــة العُــزَّى وبـالنسر عَنْدما [2]

وقد جاء في لسان العرب أن « نسر » اسم لِصَنَم . ذكره الشاعر عبد الحق :

أمــا ودمـــاء لا تزال كأنها على قُنَّــة العُزَّى وبـالنَّـسْرِ عَنْدما [3]

اليعبوب :

صنم كان لجَديلة طيّيء ، عبدوه بعد صنمهم الذي أخذه منهم بنو أسد[4] . وبذلك يقول عَبيد بن الأبرص :

وتبدَّلــوا اليعبــوبَ بعـــد إلههم صنما ، فقِــرُّوا يا جديل وأعذبوا [5]

عُمْيَانُس :

كان هذا الصنم لخولان ، وموضعه في أرض خولان ، وكانوا يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم ، ودائماً هو الرابح في

---

(1) نفس المصادر والسيرة النبوية(1-2) ص80
(2) معجم البلدان5 / 284
(3) لسان العرب5 / 206 صادر
(4) الأصنام ص63
(5) ديوان عبيد بن الأبرص . دار بيروت ص32

هذه القسمة[1] . ويقول محقق كتاب الأصنام[2] أن في هامش نسخة « الخزانة الزكية » لكتاب الأصنام ، عبارة هذا نصها : « عَمٌّ أَنَسٍ » وبعدها هذا الشعر :

« أضلَّهم صنمُهم عمٌّ أنس !	كانوا إذا ما الغيث عنهُم احتَبَس ،
توسَّلوا إليه بالذبائح	أن يُمطروا . وأعظمُ القبائح
أن جعلوا له ولله نصيب	من مالهم . وإن تغيَّب النصيب ،
أعطي للصنم حظُّ الله	وما له لم يُعط للإله »[3]

وعابدو هذا الصنم بطن من خولان يقال لهم الأديم ، وفيهم قال القرآن الكريم[4] . ﴿ وجعلوا لله مّما ذرأ من الحَرْثِ والأنعامِ نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾[5] . وقد ورد ذكر هذا الصنم في خبر (وفد خولان) الذي قدم على الرسول في شعبان سنة عشر ، إذ قال الرسول لهم : « ما فعل عم أنس » فقالوا : بشرٌ وعرٌ ، أبدلنا الله به ، ولو قَدْ رَجِعْنا إليه هدمناه[6] . « وقد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به »[7] .

---

(1) الأصنام ص43 والسيرة النبوية(1-2) ص80

(2) هو أحمد زكي

(3) في هامش ص43 من كتاب الأصنام .

(4) على حسب قول ابن الكلبي في كتاب الأصنام ص44 وصاحب السيرة(1-2) ص80

(5) سورة الأنعام آية 136

(6) جواد علي6 / 265 عن نهاية الارب(18 / 82)

(7) نفس المصدر عن عيون الاثر(2 / 253)

رضى :

صنم آخر ، وكان فيما ذكر الرواة بيتاً لبني ربيعة من تميم ، وقد كسره المستوغر في الاسلام وهو يقول :

ولقـــد شددتُ على رُضـــاء شدَّة فتركتهـــا تلاًّ تُنـــازع أسْحما[1]

ما يظهر من هذا الشعر أن الصنم رضى (رضاء) هو آلهة انثى بدليل ضمير التأنيث ،

مناف :

وهو صنم آخر من أصنام الجاهلية بدليل تسميتهم بعبد مَناف وخاصة أبناء قريش . ويقول ابن الكلبي : « ولا أدري أين كان ، ولا من نَصبَه »[2] وفيه يقول بلعاءُ بن قيس (الشدّاخ الليثي) :

وقِـــرْن قد تركتُ الطـــير منه كمُعْتَنِـــزِ العـــوارك من منافِ[3]

وقد كان معبوداً هذا الإلهُ بين عرب الشأم ، وقد عثر على اسمه في كتابة دوَّنها شخص اسمه (أبو معن) على حجر ، توجَّه به الى الإله مناف ، ليُمنَّ عليه بالسعد والبركة ، كما حفرت على الحجر صورة الاله (مناف) على هيئة رجل ، كما عُثر في حوران على كتابة ورد فيها اسم مناف مع إله آخر[4] .

---

(1) الأصنام ص30 والسيرة النبوية(1-2) ص87 وقد جاء فيها عجز البيت (فتركتها قفرا بقاع اسحما)

(2) الأصنام ص32

(3) نفس المصدر .

(4) جواد علي 6 / 270 عن [illegible] المجلد 24 ، آذار 1933 م ، العدد 3 (ص 198 وما بعدها) .

سعد :

كان موضعه بساحل جُدَّة ، وهو عبارة عن صخرة طويلة ، يتعبد لها مالك وملكان ، ابنا كنانة[1] ، وذات يوم أقبل رجل منهم بإبل له ، ليقفها على تلك الصخرة ، تبركاً وتقربا ، فنفرت الإبل ، وذهبت ، وتفرَّقت ، فأسف الرجل لذلك ، وتناول حجرا ، ورماه به ، وقال : « لا بارك الله فيك إلها ! أنفرتَ عليَّ إبلي ! » ثم انصرف وراء إبله ليجمعها وهو يقول :

أتينا إلى سعْدٍ ليجمع شملنا ، فشتتنا سعدٌ ، فلا نحن من سعدِ
وهل سعدُ إلاّ صخرة بتنوفة من الأرض ، لا يُدعى لغيٍّ ولا رُشْدِ[2]

الأقيصر :

أما هذا الصنم ، فقد كان لقُضاعة ولخم وجُذام وعاملة وغطفان ، وموضعه في مشارف الشأم[3] . وقد جاء في « اللسان » أن الأقيصر : صنم كان يعبد في الجاهلية . وقد أنشد ابن الأعرابي :

وأنصاب الأقيصر حين أضحت تسيلُ على مناكبها ، الدِّماءُ[4]

وفيه يقول زهير ابن ابي سُلمى :

حلفتُ بأنصاب الأقيصر جاهدا وما سُحِقت فيه المقاديمُ والقمْلُ[5]

---

(1) الأصنام ص 36 . السيرة (1-2) ص 81 ومعجم البلدان 3 / 221 صادر
(2) نفس المصادر .
(3) الأصنام ص 38
(4) لسان العرب 5 / 104 صادر
(5) ديوان زهير واصنام ص 38

وقد سبَّح الجاهليون حول هذا الصنم مهللين مرنّمين . يقول ربيع بن ضبع الفزاري :

فإنني والـذي نَغْـمُ الأنـام لهُ ، حول الأقيْصرِ . تسـبيحٌ وتهليلُ[1] !

وربما كان الجاهليون يكسون هذا الصنم ، وها هو الشنفري الأزدي يقسم بأثواب الأقيصر ، قائلاً :

وإنّ امـرأ أجـار عَمْـراً ورهطهُ عليّ ، وأثـواب الأقيْصرِ ، يعْنُفُ[2]

وقد كانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويلقون مع كلّ شعرة قُرّة من دقيق ، وكانت هوازن تنتاب المكان وتطلب الدقيق ، قبل رميه مع الشعر واختلاطه به وبالقمل ، وإلا اضطرت إلى أخذه بما يحوي فتخبزه وتأكله[3] . قال ياقوت عن أبي المنذر : أن جَرْم وبني جُعْدة اختصموا إلى الرسول في ماء لهم ، فقضى الرسول (ﷺ) لجِرْم ، فقال معاوية بن عبد العُزّى الجرمي :

إذا قُرّةٌ جاءت يقـول : أصِبْ بها سوى القمل ؛ إنى من هوازن ضارعُ

ألـم ترَ جرمـاً أنجَـدَتْ ، وأبوكم مع القمل في حفـر الأقيصر شارع ؟!

فإن أنتـمُ لم تقنعـوا بقضائه فإنـي بمـا قال النبـيُّ لقانعُ[4]

---

(1) الأصنام ص39 ، ومعجم البلدان 1 / 238 صادر

(2) نفس المصادر .

(3) معجم البلدان 1 / 238 صادر

(4) نفس المصدر . وقد تعمدت تأخير السطر الأخير ، وفي المصدر جاء متقدما على السطرين ، وذلك ليتناسب المقام في المعنى .

ويتبين مما تقدَّم أنه كان عند الصنم الأقيصر أنصاب ينحر الناس عليها ذبائحهم متقرّبين بها إلى هذا الاله . وكانت أكثر من نصب واحد ، ولا عجب في هذه العادة فقد كان اليهود يتقدمون بذبائحهم الى الهيكل ، كما أن أكثر أصحاب الديانات السماوية لا يزالون وحتى يومنا هذا يقدمون الأضاحي والنذور . .

كما نرى أنهم قد أشاروا الى (اثواب الأقيصر) في شعر الشنفري ، ويظهر أيضاً أن عباده كانوا يطوفون حوله ، وهم يرتلون ويسبحون .

نُهْم :

وكان هذا الصنم لِمُزَيْنَة ، وقد سمّت به بعض أبنائها « عبدنُهْم » وكان سادنه يُسمَّى خزاعيْ بن عبد نهم ، وهو من مُزينة من بني عدّاء[1] ، وقد سمع بالرسول ، فثار الى الصنم فكسره ، وأنشأ يقول :

ذهبتُ الى نُهْمٍ لأذبحَ عنده	عتيرة نُسْك ، كالذي كنت أفعلُ
فقلت لنفسي حين راجعتُ عقْلها	أهذا إلهُ أيُّكم ليس يعقلُ
أبيتُ ، فديني اليوم دينُ محمَّد	إلهِ السماء الماجدُ المتفضّلُ[2]

ثم لحق بالرسول وأسلم ، وضمن للرسول إسلام قومه . ولخزاعي هذا يقول أمية بن الأَسْكَر[3] :

إذا لقيتَ راعيَيْنِ في غَنَمْ	أُسَيِّدَيْنِ يَحْلِفانِ بنُهُم ،
بينهما أشلاءُ لحم مُقْتَسَم ،	فامضِ ، ولا يأخذْكَ باللحمِ القرم

---

(1) الأصنام ص39 ومعجم البلدان5 / 327 صادر . وقد جاء فيه أن سادنة من بني عديّ

(2) نفس المصادر . وفي معجم البلدان وردت في السطر الثاني كلمة « أبكمُ » بدلاً من « أيُّكم » عند ابن الكلبي .

(3) الأصنام ص40 ومعجم البلدان5 / 328 صادر . وقد ذكر ياقوت بدل الاسكر الأشكر .

ونلاحظ مما تقدَّم أنهم كانوا يأتون بالعتائر ليقدموها ذبيحة لهذا الصنم كما تسموا وأقسموا به .

عائم :

وهو صنم كان لأزد السَّراة ، ومن شعر لزيد الخيل الطائيّ ، نرى أنَّـهم كانوا يحلفون به ، ومن حلف بالشيء عظمه وكرَّمه : يقول زيد الخيل :

تخبِّـرُ من لاقيتَ أن قد هزمتُهُمْ ولـم تدرِ ما سِيما هُمُ ،لا ،وعائم[1] !

سُعَيْرْ :

وقد كان هذا الصنم لعَنَزَةَ وكانوا يزورونه ويطوفون حوله ويذبحون العتائر وهذا ما بيّـنه جعفر بن خلاس الكلابي ، عندما مرَّ به على ناقتـه ، فنفرت الناقة من رؤية العتائر المصرَّعة : فقال :

نفـرت قلُـوصِي من عتائِـر صرِّعَتْ حول السُعَـيرِ تزوره أبنـا(ء) يَقْدُمِ
وجُـوعُ يذْكُر مُهْطِعِـين جنَابه ما إن يُحِـيرُ إليهِـم بتكلُّم[2]

الفلْس :

يشبه هذا الصنم تمثال انسان ، وكان لونه أسودَ ، مقامُه في وسط جبل أجأ الذي كان لقبيلة طيِّء ، وكانت طيء تعبدُه وتُهـدي إليه وتذبـح عنـده العتائر ، وقد يحتمي به الخائف فلا يُخفر ، وكانت سدنته بنو بولان وآخرهم

---

(1) الأصنام ص40 .

(2) الأصنام ص41 ومعجم البلدان3 / 222 صادر .

رجلٌ يقال له : صيفيٌّ ، وهو الذي أطرد ناقة لامرأة من كلب ، كانت جارة لمالك بن كلثوم ، وأوقفها عند الفلس ، فاستعادها مالك الذي كان أول من خفر ذلك المعبود . وفي ذلك قال السادن :

يا ربَّ إنَّ مالِك بن كُلْثُومْ أخفــرك اليومَ بنــابِ عُلْكُومْ
وكنت قبل اليومِ غيْرِ مَغْشومْ[1]

ويروي الكلبي ، وياقوت أن عدياً بن حاتم الطائي كان يومئذ عند الصنم ذابحاً عتيرة له فتعجب من فعل مالك ، وانتظر ما يفعله الإله (فلس) بمن خفره ، ولما مضت الأيام ولم يُصبْ مالكاً أذىً رفض عبادتَه ، وعبادةَ الأصنام جميعها وتنصّر الى أن جاء الاسلام ، فأسلم[2] . ويتابع الرواة الحديث عن (فلس) فيقولون : إنه لم يزل يُعبد حتى ظهر الاسلام فبعث الرسول علياً فهدمه وأخذ السيفين اللذين أهداهما الحارث الغسّاني[3] .

وقد نلاحظ هنا أن هذين السيفين قد سبق لابن الكلبي أن قال : أنهما كانا على الصنم مناة ، فلعلَّ الحارث الغساني قد أهدى سيفين الى مناة وسيفين آخرين إلى (فَلْس) أو أن ابن الكلبي وقع في سهوة كلامية .

الشُمْس :

وهو صنم لبني تميم ، وعبدته بنو أد كلها[4] .وقد تسمى الكثير به من

---

(1) الأصنام ص59 وما بعدها ومعجم البلدان4 / 273 .

(2) نفس المصادر

(3) نفس المصادر

(4) ابن حزم الأندلسي . جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف / مصر / الطبعة4 ص493

تميم وغيرها ، مثل « عبد شمس » و « عمرو شمس »[1] .

المحرّق :

وقد كان موضعه بسَلْمان ، وتعبدت له بكر بن وائل وكل ربيعة ، وكان سدنته آل الأسود العجليون[2] .

الأسحم :

هو صنم أسر[3] ، وكأن محقق كتاب الأصنام قد استنتج ذلك من قول الأعشى :

رضيْعَــيْ لِبـــان ثدْى أمٍّ تحالفا . بأسحـــم داجٍ عوْضُ لا تتفرّق[4]

وهناك أصنام أخرى كثيرة أوردها محقق كتاب الأصنام في (تكملة كتاب الأصنام) ، منها : الأشهل ، وأوال ، والبجة ، وبلج ، والجبهة ، وجُريش ، والجلسد ، وجهار والدار ، والدوار ، الذي ذكره امرؤ القيس بشعره :

فعــنَّ لنــا سربٌ كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مُذيَّل

وذو الرجل ، والشارق ، وصدا ، وصمودا ، والصنار ، والضيزن ، والعبعب ، وعوْض ، وعوف ، وكثرى الذي يقول فيه عمرو بن صخر بن أشنع :

حلفــت بكثــرى حلفــة غــير برة لتستلبــن أثــواب قس بن عازب .

---

(1) جواد علي 6 / 281 عن Ency Relig. 1, 660

(2) جمهرة أنساب العرب ص 493 ومعجم البلدان 5 / 61 صادر

(3) ملحق كتاب الاصنام ص 107

(4) ديوان الأعشى ص 120

والكسعة ، والمدان ، ومرحب ، ومنهب ، والهبا ، وذات الودع ، الذي قال فيه عديّ بن زيد العبادي :

كلا يمينا بذات الودع لو حدثتْ فيكم وقابل قبر الماجدِ الزارا

ويا ليل أيضاً[1] .

ويزيد زيد بن عمرو بن نفيل (ربّاً) آخر على هذه (الأرباب) وما أكثرها زمن الجاهلية مسمياً إياه بـ« عتم » وهو يقول :

عزلت الجنّ والجنّان عني كذلك يفعل الجلدُ الصبورُ
فلا العزّى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني طسم أدير
ولا عتما أدين وكان ربّا لنا في الدهر إذ حلمي صغير
أربّا واحدا أم ألف ربٍّ أدين إذا تُقسّمت الأمورُ[2]

ونحن في خضم الحديث عن أصنام العرب لا بُدَّ لنا أن نعرّج على ممالك عرب الجنوب وممالك عرب الشمال لنستعرض بعض آلهتهم . فقد عبد السبئيون الإله (المقه) والإله (تألب ريام) و(ذسموي) أي (رب السماء)[3] . ونحن لا ندخل في جدل حول التفسيرات التي وضعت لهذه الآلهة وكيف وُجدت في جنوب الجزيرة العربية وشمالها ؟ ومن أين أتت ؟ فقد أسهب البحاثون في ذلك وأطالوا ، من عرب وأوروبيين[4] ، ولكننا نريد أن

---

(1) الأصنام (تكملة) ص57 / وما بعدها

(2) الأغاني 3 / 15-16

(3) راجع كتابتنا عن دولة سبأ فيما سبق .

(4) انظر جواد علي 6 / 290 الى 336

نقول : ان الاتصالات الانسانية المستمرة لها علاقة كبيرة ، بحدوث تطورات فكرية بين الشعوب ، تؤدي الى تلاقح في العبادات في غالب الأحيان .

إن الإله « ذو الشرى » كان إله النبط الأكبر[1] كما أن أسماء آلهة وأصنام عديدة عُرفت عند التدمريين من كتاباتهم وعرفت أيضاً عند العرب الجنوبيين[2] . من هذه الآلهة (شمش) أي شمس ، و (بل) أي بعل ، و (الت) أي اللات ، و (اشتر) أي عشتر ، و (عزيزو) أي عزيز ، و (سعد) ، و (بل شمن) أي رب السماوات[3] .

وقد تعبَّد المعينيون للإله (عم) ، و (نكرح) (عثتر شرقن) أي عثتر الشارق و (ود) وغيرها[4] . وعبد أهل حضرموت الإله (سين)[5] . وعبد أهل قتبان آلهة سموها (عما) و (ذات صنتم) و (ذات ظهران) و (سحرن) و (رحبن)[6] و (ذو غابة) عبدته لحيان وعبدوا أيضاً (عجلبن) و (أبي إيلاف) و (سلمان)[7]

ولقد كانت عبادة الحضريين أهل ممالك الجنوب والشمال ، من العرب الجاهليين ، أرقى بكثير من عبادات البدو وأهل الحجاز . فقد كانت المعابد قائمة في كل مدينة وفي كل ناحية ، وكان لها جبايات خاصة ، وأرضون واسعة ، ولها موارد ضخمة من النذور ، تقدم باسم الآلهة ، عند شفاء

(1) راجع كتابتنا عن مملكة النبط .
(2) راجع كتابتنا عن مملكة تدمر .
(3) جواد علي3 / 130 عن Syria 18-5
(4) راجع كتابتنا عن دولة معين .
(5) راجع كتابتنا عن دولة حضرموت .
(6) راجع كتابتنا عن دولة قتبان
(7) انظر دولة لحيان .

شخص من مرض ، او رجوعه سالماً من سفر ، أو عودته صحيحاً من غزو أو حرب ، أو حصوله على غلّـة وافرة من أرضه أو تجارته ، وقد كانت للمعابد ثروات ضخمة وأملاك شاسعة وأهراء تختـزن فيهـا الثـروة[1] . ولقـد عثـر المنقبون في معبد للإله (ذو غابة) في وسط خرائب المدينـة على آثـار حوض للماء ، ربما استعمل المؤمنون الماء للوضوء أو غسل مواضـع من أجسامهـم للتطهر قبل أداء الشعائر الدينية[2] .

من هذا نرى ومن الرجوع الى النصوص التي ذكرناها في كتابتنـا عن ممالك الجنوب والشمال نرى أن العبـادة في هذه الممالك كانـت راقية لدرجـة نستطيع أن نقارنها بأرقى العبادات الوثنية عند الأمم القديمة .

---

(1) جواد علي 2 / 110 عن Studi Lexi 2,S, 58

(2) جواد علي 2 / 256

الباب الرابع

عبادة النجوم

الفصل الأول

الصابئة ـ معرفة العرب بالنجوم

الصابئة :

على ما يبدو من تفسيرات الشهرستاني[1] ، فإن مدار مذهب الصابئة يقوم على التعصّب للروحانية لا للجسمانية التي هي بنظره مذهب الحنفاء . وهذه الروحانية قد أبدعت من أنوار محضة لا ظلام فيها ، وليست من مادة ولا من هيولى[2] ، والروحانية صورة مجردة عن المواد ، وإن قدر لها شخص تتعلق به ، تصرفاً وتدبيراً ، لا ممازجة ولا مخالطة ، وشخصها نوراني ، كامل لا ناقص[3] ، يفضل الجسماني بقوتَيْ العلم ، بمغيبات الأمور ، والعمل ، بالعكوف على العبادة ، والدوام على الطاعة[4] ، والروحانية متخصصة بالهياكل العلوية مثل زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، وتأمر بإقتفاء آثار هذه الهياكل وحركات أفلاكها زماناً ومكاناً ، وجوهراً وهيئة ، ولباساً ، وبخوراً ، وتنجياً ، ودعاءً ، والتقرب الى هذه الهياكل يكون تقرباً الى رب الأرباب ومسبب الأسباب[5] . وقد جعل الصابئة لهذه الهياكل أشكالاً مختلفة منها المدور ، والمثلث ، والمربع ،

---

(1) الملل والنحل2 / 63
(2) نفس المصدر2 / 69
(3) نفس المصدر2 / 70
(4) نفس المصدر2 / 77
(5) نفس المصدر2 / 87

والمستطيل ، والمسدس ، والمثمن[1] . وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقرباً الى الروحانيات ، ويتقربون الى الروحانيات تقرباً الى الباري تعالى[2] . وقد رأى الرواة[3] أن الصابئة قديمو العهد ، عاصروا ابراهيم وكانوا قبله واستدلوا على ذلك من مناظرة ابراهيم لأبيه ولقومه في ما جاء به القرآن الكريم[4] . كقوله : ﴿ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي . . . . الخ الآية » وأيضا « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾[5] .

كما عزا الرواة فكرة التناسخ وتنقل الأرواح الى الصابئة[6] ويقول ابن عيشون القاضي الحرّاني وهو يذكر الصابئة وفرقهم وهياكلهم وأصنامهم :

إن نفيس العجائب بيت لهم في سرادب
تعبد فيه الكواكب أصنامهم خلف غائب[7]

وعن الصابئين يتحدث « محمد حسين هيكل » فيقول : « فالصابئون من عُبّاد النجوم كان لهم سلطان كبير في بلاد العرب ، وقد كانوا لا يعبدون النجوم لذاتها ، وإنما كانوا في بداءة أمرهم يعبدون الله وحده ، ويعظّمون النجوم على أنها مظاهر خلقه وقدرته . . »[8] .

---

(1) مروج الذهب2 / 236
(2) الملل والنحل2 / 107
(3) نفس المصدر2 / 109
(4) سورة الأنعام آية 74-83 وسورة الصافات 95 وبعدها
(5) الأنعام77, 78
(6) الملل والنحل2 /113 ومروج الذهب2 / 238
(7) مروج الذهب2 / 238
(8) حياة محمد ص92

ويقول في موضع آخر : « وكان في بلاد العرب وفيما يجاورها صابئة ومجوس يعبدون النار والشمس »[1] .

وينقلنا الشهرستاني إلى عباداتهم وطقوسهم فيقول : إنهم يصلّون ثلاث مرات في اليوم ، ويغتسلون من الجنابة ، ومن لمس الميت . وقد حرّموا أكل الجزور ، والخنزير والكلب ، وذوات المخالب والحمام من الطيور ، ونهوا عن السكر ، والأختتان ، يزوجون بوليّ وشهود ، ولا يطلقون إلا بحكم حاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين[2] .

ونجد في القرآن الكريم ذكراً للصابئة تارة بعد اليهود والنصارى ، وطوراً بعد اليهود وقبل النصارى ، حيث جاء﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[3] وأيضاً « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى . . . . »[4] و « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا . . . ﴾ .

والذي يُفهم من قول القرآن الكريم أن الصابئة جماعة لها دين خاص كاليهود والنصارى ومن الأرجح وجودهم في أرض العرب عامة وفي الحجاز خاصة حيث ولد الرسول وتلقى القرآن .

وربما كان الصابئون عبدةً لله ومن ثم مالوا إلى عبادة النجوم والكواكب وخرجوا عن دينهم ، لأن كلمة صبأ يصبأ ، كما وردت في المعاجم تعني :

---

(1) نفس المصدر ص150

(2) ملل ونحل2 / 115

(3) سورة البقرة آية62

(4) سورة المائدة آية69 ، والحج آية17

خرج من دين الى آخر[1] وقد أطلقت هذه التسمية على الرسول وأتباعه عندما تركوا ديانة قريش[2] .

ونرى هذه اللفظة وقد عنت الخارج عن دينه في شعر سراقة بن عوف بن الأحوص : قاله في لبيد الشاعر ، وبعد أن أرسله قومه إلى الرسول ليرى خبره ، فعاد لبيد مسلماً ومصاباً بالحمى في الوقت نفسه . عاد يذكر البعث والجنّة والنار :

لعَمْــرُ لبيد إنــه لابــن أمّــه	ولــكن أبــوه مســه قدم العهد
دفعنــاك في أرض الحجــاز كأنما	دفعنــاك فحــلا فوقــه قرع اللبد
فعالجــت حــماه وداء ضلوعه	وتسـرنيق عيش مســه طرف الجهد
وجئــت بدين الصابئــين تشوبه	بألواح نجـد بعـد عهـدك من عهد
وإن لنــا داراً زعمــت ومرجعاً	وثـم إياب القارظــين وذي البرد[3]

فالصابئون هنا وفي نظر المشركين ، هم المسلمون ، أي أن الصابىء كما عنت الكلمة عند ظهور الاسلام : هو الخارج عن دين قومه إلى دين جديد .

معرفة العرب بالنجوم :

بعد أن تكلمنا عن الصابئين ، ورجّحنا وجودهم في أرض العرب فيما قبل الاسلام ، كان من البديهي أن يتسرّب الى عرب الجاهلية شيء من علوم الفلك عن طريق الصابئة ، وهم من عرفهم العرب ، وكانت لهم فيما بعد

---

(1) لسان العرب1 / 107 صادر
(2) نفس المصدر
(3) الأغاني15 / 138

نفس المنزلة التي كانت لأولي الكتاب ، أو عن طريق آخر لأن العرب وكما بيّنا كانوا على اتصال بسكان المناطق المتاخمة ، وخاصة الكلدانيين[1] . ولم تكن معرفة العرب بالنجوم والكواكب ، جميعها منقولة عن غيرهم ، فقد كانوا ولحاجتهم الماسة لتحديد مواضع النجوم في صحرائهم الكبرى ، وعند ترحالهم ، قد ذهبوا مذاهب شتى في مواضعها من البروج . يقول ابن قتيبة « إن العرب أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها »[2] . ويقول ابن رشيق : « إن العرب أعلم الناس بمنازل القمر وأنوائها »[3] .

وإن كنا لا نجاري ابن قتيبة وابن رشيق في أن العرب كانوا أعلم أهل الأرض بالنجوم والكواكب ، ولكننا لا نعجب من كونهم مارسوا أمور الكواكب والنجوم ، مطالعها ومساقطها ، وصورها ، وأسمائها ، فطبيعتهم الصحراوية مكشوفة الى النجوم ، التي يهتدون بها في أسفارهم وحلّهم وترحالهم ، وقد ذكر القرآن الكريم﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾[4] و﴿فلا أقسم بالخُنَّس ، الجوارِ الكُنَّس﴾[5] ، فالخنَّس الجواري الكنَّس هي الكواكب السيارة عدا النيّرين ، إنما سميت خنّساً لأنها تسير في البروج والمنازل كسير الشمس والقمر ، ثم تخنّس أي ترجع إذ يُرى أحدها في آخر البروج ، فيكر راجعاً إلى الأول ، وسميت كنّساً لأنها تكنس أي تستتر[6] . وربما كان

---

(1) انظر سابقاً صلة العرب القدامى بالكلدانيين

(2) الميتولوجيا عند العرب ص82 عند البيروني ص238

(3) ابن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . تحقيق محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل / بيروت / 2 / 252

(4) سورة النحل آية16

(5) سورة التكوير آية15, 16

(6) ابن قتيبة ـ أدب الكاتب ص97 دار صادر / بيروت / 1967 عن طبعة ليدن

لصفات الفرقد أو الكوكب أثر في تسميته فـ « الثـريّـا » مثـلا سميت هكذا لغـزارة نَوْئهـا ، أو لكثـرة كواكبهـا[1] ، أو لأن عن مطرهــا تكون الثــروة وكثرةالعدد والغنى[2] .

وللنوء صلة بعبادة العرب للنجوم وتعظيمها ، والنوء النجم يطلع أو يسقط فيمطـر ، وإن سقـط النجـم ولـم يكن مطـر فيه قيل خوى نجـم كذا وكذا[3] .

وبما أنه لا نوء لبنات نعش عند طلوعها وسقوطها ، فقد شبّـه الشاعر معشره بها عند هجائه لهم ، قال :

أولئــك معشري كبنــات نعش خوالف لا تنـوء مع النجوم[4]

فالعرب والقول هذا لهم معرفة بالفلك وعبادة للنجوم عند بعضهم .

---

(1) لسان العرب14 / 112 صادر

(2) ابن رشيق العمدة2 / 256 دار الجيل

(3) أدب الكاتب ص88

(4) الميثولوجيا ص85 عن البيروني ص242

الفصل الثاني

الزهرة ـ الشمس ـ القمر ـ الدبـران ـ الثريا ـ الشعريان

الزهرة :

هي معبودة الشعوب القديمة ، وقد سماها الهنود مايا ، والفرس ميترا ، والفينيقيون عشتروت ، والأشوريون أنايتيس ، واليونان والرومان فينوس ، واصطلح العرب على تسميتها بالزهرة ، وهي من أشهر المعبـودات وأقدمهـا لأنها إ لهة الجمال والحب[1] .

وقد حملت الزهرة عند العرب معاني البياض والحسن والبهجة[2] قال الشاعر :

وقد وكَّـلتني طلَّـتِـي بالسَّـمْسرَهْ ، وأيقظتنـــي لطُلُـــوعِ الزُّهَرَه[3]

الشمس :

والظاهر أن عبادة الكواكب ما زالت بين عرب حمير حتّى هوّدهـم ذو نوّاس[4] . وقد نستدل على عبادة السبئيين للشمس من حديث سليمان للهدهد في القـرآن الـكريم ﴿ وتفقّـد الطـير فقـال ما لي لا أرى الهدهـد أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنه عذاباً شديداً . . . . وجئتـك من سبـأ بنبـأ يقـين . إنـي

(1) بطرس البستاني دائرة المعارف م9 ص285 .

(2) لسان العرب4 / 332 صادر

(3) نفس المصدر

(4) راجع كتابتنا عن مملكة سبأ

وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرشٌ عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله[1] ﴾ .

لقد عبد العرب الشمس وتسموا بها ، كعبد شمس ، وامرىء الشمس ، وعبد الشارق[2] ، ومن الكتابات التي وُجدت في بابل لتغلتفلاسر ، والتي يذكر فيها انتصاره على مدينة دومة الجندل وظفره بملكتها التي كانت كاهنة للاله الشمس[3] ، نستدل على أن عبادة هذا الكوكب كانت قديمة في بلاد العرب وهذا الرأي يؤيده ابن منظور بقوله : الشمس صنم قديم ، وعبد شمس بطن من قريش قيل : سموا بذاك الصنم[4] . ويقول ياقوت : آن « شُمْس » صنم كان لبني تميم وكان له بيت وكانت تعبده بنو أد كلها[5] . وقد سماها العرب الإلهة مما يعطينا دليلا قاطعاً على عبادتها . تقول مية بنت أم عتبة بن الحارث ، ويروى لغيرها :

تروحنا من اللعباء عصرا فاعجلنا الإلهة أن تؤوبا[6]

وقد ذكر القرآن الكريم محاورة ابراهيم لقومه﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر ﴾ [7]

---

(1) سورة النمل آية 20 إلى 24
(2) الميتولوجيا ص 93 / عن Eney of Rel. 1 / 660
(3) النصرانية وآدابها / لويس شيخو / القسم الأول ص 8
(4) لسان العرب 6 / 114 .
(5) معجم البلدان 3 / 362 صادر
(6) الميتولوجيا ص 94
(7) سورة الأنعام آية 78

القمر :

يقول القرآن الكريم :﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾[1] آية نستدل منها على عبادة الشمس والقمر معاً . فلا بُدَّ أن يكون القمر الهاً رئيسياً كما الشمس بالنسبة للبدوي ، فهو يضيء له مضارب اقدامه في المهامه الموحشة ، رامياً اشعته الفضية الى قلب الصحراء ، حيث تمتزج برمالها العسجدية ، فتنعكس في نفس البدوي أنواراً للطمأنينة ، وهو يحدو الابل في الليالي الصحراوية المخيفة .

ومن الثابت أن الحميريين وغيرهم من عرب الجنوب قد عبدوا القمر وسموه « ود »[2] و « سين »[3] « المقه » [4] . وبما أن عرب الجنوب كانوا على اتصال دائم بعرب الشمال بواسطة الطرق التجارية من الجنوب الى الشمال ، وبما أن العرب كل العرب كانوا على اتصال بباقي الشعوب القديمة التي شغلت عبادة القمر مكاناً كبيراً في دياناتهم ، فمن المرجَّح أن تكون عبادة هذا الكوكب قد عرفها العرب ومارسوها .

الدبران :

لم يكتف العرب بعبادة الشمس والقمر ، فقد عرفوا الكثير من النجوم والكواكب وعبدوها ، فأكرموا زحل والجوزاء والجبار[5] وعبدت بنول لخم

---

(1) سورة فصلت آية 37

(2) جواد علي 2 / 124 عن Rep. EPIG. 357

(3) نفس المصدر 2 / 132

(4) نفس المصدر 2 / 271 عن Glasser 484 .

(5) النصرانية وآدابها (شيخو) ص 12

وجرهم المشتري ، وبعض طيء عبد سهيلاً[1] . ومما جاء في الروايات أن الدبران أراد أن يتزوج الثريا غير أن العيوق[2] عاق هذا الزواج فسمي العيوق لأنه يعوق الدَّبَران عن لقاء الثريا . قال أبو ذؤيب :

فَوَرَدْنَ ، والعَيُّوقُ مَقْعَدَ رابِىء الضُّـ ـرَباء ، خلفَ النجم ، لا يتتلّعُ[3]

ويقول بشر بن أبي خازم الأسدي يصف معاندة الثُّريا للدبران ومساندتها من قبل العيّوق :

وعانـدت الثُّـريّـا بعـد هـدء مُعانـدةً لهـا العيُّوق جارُ[4]

ويقول طفيل الغنوي يصف لنا الدَّبَران وهو يسوق «قِلاص النجم» عشرين نجماً في خطبة الثريا :

أمـا ابـنُ طوق فقـد أوفى بذمته ، كما وفى بقـلاصِ النجـم حاديها[5]

الثريا :

من الكواكب المؤلهة عند العرب كالدبران وسميت بذلك لغزارة نوئها[6] ، ولا غرابة في تأليههم لها ، وهي بنظرهم مانحة الغيث وللغيث شأن كبير في بلاد يسودها الجفاف . لقد قالوا : إذا رأيت « الثريا » تدبر فشهر نتاج وشهر مطر[7] وقد تسمى العرب بـ« عبد الثريا » و « عبد نجم » .

الشعريان :

يشير القرآن الكريم إلى عبادة الشعرى ، بقوله ﴿ وإنه هو رب

---

(1) الميتولوجيا ص98 عن أديان العرب في الجاهلية ص187

(2) كوكب أحمر مضيء يطلع قبل الجوزاء

(3) لسان العرب10 / 280 صادر

(4) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي . تحقيق عزة حسن ص56

(5) لسان العرب7 / 82 صادر

(6) نفس المصدر14 / 112 صادر

(7) نفس المصدر 4 / 271 صادر

الشعرى﴾[1] مما يوحي الى اعتبار هذا النجم معبوداً جاهلياً . والعرب تطلق اسم « الشعريين » على « الشعري العبور » التي في الجوزاء « والشعرى الغميصاء » التي في الذراع[2] . وقد قيل : إذا رأيت الشعرى تُقبل،فمجدُفتيٌ ومجدُ حَمْل[3] . يقول بشر بن أبي خازم الأسدي ذاكراً برج الدلو والكوكب الشعري ونوءهما :

جادت له الدلوُ والشعرى ونوءُهما   بكلّ اسحمَ داني الودقِ مُرتجِفِ[4]

وروت العرب أن « الجدي » قتل نعشاً فبناته تدور به وتريده[5] وهذا ما عناه بشر بن أبي خازم بقوله :

أراقبُ في السماء بناتِ نعشٍ   وقد دارت كما عطف الصِّوَارُ[6]

لقد عرف العرب الجاهليون النجوم والكواكب والأبراج ، يقول بشر بن أبي خازم :

باتت له العقربُ الأولى بنثرتها   وبلّه من طلوع الجبهةِ الأسدُ[7]

وعبدوها وعظموها إما تقرباً وإما رهبة وخشية فبعضها بنظرهم مصدر الخير والبركات ، مصدر الغيث﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ﴾[8] وبعضها

---

(1) سورة النجم آية49

(2) لسان العرب4 / 416 صادر

(3) نفس المصدر4 / 271 صادر

(4) الديوان ص157

(5) الميتولوجيا ص102 عن الميداني ص312

(6) الديوان ص65

(7) الديوان ص56

(8) سورة الأنبياء آية30

مصدر الحرّ والقرّ ، كما تأملها البدوي وأدام النظر إليها فكانت رفيقته في حلّه وترحاله ، يعرف بواسطتها الشمال من الجنوب وكم هو بحاجة إليها في ذلك المحيط من الرمال ، فلا عجب والحالة هذه أن يتخذها أرباباً ويتعبد لها .

الباب الخامس

عبادات العرب الأخرى

الفصل الأول

تقديس الانسان والحيوان والنبات

تقديس الانسان :

إن نظرة لأصنام قوم نوح[1] ، وقد كان منها ما هو على صورة الانسان ، ومنهـا ما هو على صورة الحيوان ، قال زيدان : وكان ود على صورة رجـل وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر[2] ، لتجعلنا نعتقد بأن الجاهلي قد قدس الانسان وعظّمه وعبده ، ومما يدعم هذا الاعتقاد حديث موت عامر بن الطفيل كما أورده أبو عبيدة ، قال : « لما مات عامر بن الطفيل ، بعد منصرفه عن النبـي (ﷺ) نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ، ولا يرعى ولا يسلكه راكب أو ماشٍ » وكان رجل منهم غائباً ، فلما قدم قال : « ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل ! فقال : ضيَّقْتُم على أبي عليّ ! إن أبا علي بانٍ من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضـلّ حتى يضـلّ النجـم ، وكان لا يجبـن حتـى يجبـن السيل »[3] .

فلماذا يكرمون ابن الطفيل هذا التكريم وبعد موته ؟ لعلَّ للرجل هالة مقدسة عند أقربائه وذوي عشيرته ومعارفه .

---

(1) القرآن الكريم . سورة نوح آية 23

(2) الميتولوجيا ص 57 عن أنساب العرب لزيدان ص 39

(3) الأغاني 15 / 139

ولقد قيل أن بعض القبائل كانت تحج بيت الزبرقان بن بدر ، وهو معاصر لعامر بن الطفيل ، وقد نقل الجارم عن السهيلي قوله : « وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب ، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت »[1]

والزبرقان الشاعر الجميل ، الملقب بقمر نجد ، يقول مفاخراً ومشيراً الى حج العرب بيته :

نحن الكرام فلا حيٌ يعادلنا   منا الملوك وفينا تنصب البيع[2]

ومما يقوي ايماننا بتقديس العرب الجاهليين للانسان ، هو عبادتهم لأساف ونائلة ، فقد حدث الكلبي عن ابن عباس : أن أسافاً رجل من جرهم ، ونائلة امرأة من جرهم أيضاً ، وكان أساف يتعشق نائلة في أرض اليمن ، فأقبلوا حجاجاً ، فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها فمُسخا . . فعبدتهما خُزاعة وقريش ، ومن حجَّ البيت بعدُ من العرب[2] ، وكانت ثيابهما كلما بُليت أخلفوا لهم ثياباً[3] .

والأزرقي في كلامه عن « الكاهن » عمرو بن لحي ، يقول : « إنه بلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربيٌّ قبله ولا بعده في الجاهلية . . . « لقد كان فيهم شريفاً سيداً مطاعا ما قال لهم فهو دين متَّبع »[4] ، يوحي لنا أن من كان هذا قوله ، أيْ « دين متَّبع » فلا شك وأن يكون معظماً وذا هالة قدسية عند الجاهليين .

---

(1) الميتولوجيا ص104 عن أديان العرب في الجاهلية ص124

(2) نفس المصدر عن تاريخ الطبري 1 / 1712

(3) الأصنام ص9

(4) أخبار مكة 1 / 120

(5) نفس المصدر 1 / 88

وإذا ما أضفنا إلى هذه الأسباب كهانة الخزاعي ، وأنه كان لديه رئي من الجن (1) ، كان ذلك كافياً لبدوي الجاهلية أن يرفع مثل هذا الشخص الى مرتبة التأليه والعبادة .

تقديس الحيوان :

وكان من أمر هذا الكاهن الخزاعي ، بالاضافة الى نصبه الأوثان والدعوة لعبادتها ، أنه أول من بحّر « البحيرة » وسيّب « السائبة » ووصل « الوصيلة » وحمى « الحامي » (2) . فالسائبة وهي الناقة والبحيرة ابنتها ، والوصيلة الشاة ، والحامي هو الفحل من الابل ، وجميعها تسيب في حمى الإله ويُحرّم لبنها ولحمها وقص وبرها وركوبها (3) .

ويتبع هذه الحيوانات في احترامها وعدم مسّها بأذى ، ما ضلّ ، أو سرُق والتجأ أو أوتي به الى حمى الآلهة ، فتمتع بنفس الحرية التي تتمتع بها « البحيرة » وغيرها ، وفي أكثر الأحيان تعد من ممتلكات الإله ، وفي حديث مالك بن كلثوم مع سادن صنم طيء اشارة إلى ذلك ، عندما أراد مالك استرداد ناقة جارته ، فردّ عليه السادن : إنها لربّك (4) !

ومما جاء في القرآن الكريم عن هذه الحيوانات التي قدّسها العرب ﴿وقالوا هذه انعام وحرث حِجر (5) لا يطعمها إلا من نشاء ، بزعمهم ، وأنعام

---

(1) الأصنام 54 وما بعدها انظر خبره مع الرئي يأمره بالذهاب الى ضفّ جُدّة .

(2) تاريخ مكة 1 / 116 والسيرة النبوية (1-2) ص 76 . وانظر معاني هذه الكلمات في السيرة النبوية (1-2) ص 89 دار الكنوز الذهبية

(3) نفس المصدر

(4) الاصنام ص 60 .

(5) تفسير الامامين الجليلين رحجر (حرام) - سورة الأنعام الآية 138 ص 11 المكتبة الشعبية .

حُرِمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله[1] عليها﴾[2] ، إن التي حُرِّمت ظهورها هي « البحائر والسوائب والحوامي »[3] . وقد ورد في القرآن الكريم ما أنكر هذا الاعتقاد﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾[4] .

وقد ذكر الشاعر الوصائل والحاميات والسوائب بقوله :

حول الوصائل في شُرَيف حِقَّة والحاميات ظهورَها والسُيَّبُ[5]

ويقول تميم بن صعصعة أحد بني عامر ذاكراً البحيرة :

فيه من الأخرج المرباع قرقرة هدرَ الدّيافي وسط الهجْمةِ البُحر[6]

وفي فصل الأصنام تكلمنا عن غزالي مكة اللذين اكتشفهما عبد المطلب في زمزم . كما عرفنا في قائمة الآلهة العربية عدداً تحمل أسماء حيوانات كأسد ، وعوف ، واليعبوب ، ونسر . . . وفي اليعبوب يقول عَبيد بن الأبرص :

فتبدلوا اليَعبوبَ بعد إلههم صنماً فقِرُّوا يا جديلَ وأعْذِبوا[7]

وقد نقل الجارم عن السهيلي من حديثه عن قدوم وفد طيء على الرسول ما ملخصه : عندما جلسوا قريباً من الرسول حيث يسمعون صوته ، نظر

---

(1) اسم أصنامهم . نفس المصدر

(2) سورة الأنعام آية 138

(3) تفسير الجليلين آية 138

(4) سورة المائدة آية 103

(5) السيرة النبوية (1-2) ص 91

(6) نفس المصدر . والبُحر جمع بحيرة

(7) ديوان عَبيد بن الأبرص ص (3)

إليهم وقال : إني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله[1] . . .

وكما تسمى العرب بأسماء الحيوانات ، فقد تسموا أيضاً بأسماء الطير والزواحف والهوام ، فكان بينهم عنبس ، وحيدرة ، وأسامة ، وهرثمة ، (بمعنى الأسد) . وأوس : وذؤالة ، ونهشل ، بمعنى (الذئب) ، وكلثوم (الفيل) ، والحنش والأراقم « الحيَّات » والهيثم « فرخ العقاب » ، وعكرمة « الحمامة » ، وجندب « الجرادة » والذر « أصغر النمل »[2] ، ولعلَّ العرب قد قدسوا الطير والزواحف والهوام .

تقديس النبات :

لا شك أن النخلة قد عايشت عرب الجاهلية ، وقد كانت تؤلف قواماً من مقومات حياتهم . وليس ببعيد أن تقدس ويقدس غيرها من الأشجار في بلاد أعظمها عقيم أجرد صحراوي ، وأقلها واحات ومساقط أمطار كانت لهم بمثابة مراكز تجارية ، يوم كانت الصحراء ، قبل الاسلام ، طريقاً هاماً لتجارة العالم القديم .

ومما يزيد اعتقادنا في تقديس العرب للأشجار ما ذكره ياقوت عن الحديبية : « وهي قرية متوسطة ، سُميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله تحتها »[3] وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ لقد رضي الله عن

---

(1) الميتولوجيا ص108 عن أديان العرب في الجاهلية للجارم ص124

(2) أدب الكاتب ص70-74

(3) معجم البلدان 2 / 229 صادر

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾[1] ، وقد أمر الخليفة عمر بقطعها بعد أن نمي إليه أن الناس تزورها وتتبرك بها ، فخشي أن تعبد .

أما ابن اسحق فيوضح لنا دين العرب آنئذ في كلامه عن ابتداء وقوع النصرانية بنجران : يقول : « وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كلَّ ثوب حسن وجدوه ، وحليّ النساء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً »[2] .

ولم تكن عبادة الشجر مقصورة على عرب الجنوب ، فقد جاء في « أخبار مكة » وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها (ذات أنواط) يأتونها كل سنة ، فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ، ويعكفون عندها يوماً »[3] . وكان من حج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيماً لها[4] .

وفي حديثنا عن العُزى ، قلنا إنها سَمُرَة كانت لغطفان يعبدونها ولها منحرٌ يسمى « الغَبْغَب » ينحرون فيه هداياهم[5] . . .

مما تقدّم يظهر لنا أن بعض العرب الجاهليين عظموا الأشجار وعبدوها أو أنهم عبدوا آلهة دخلت هذه الأشجار . وتقديس الأشجار قد توالى من بعد

---

(1) سورة الفتح آية 18 . وفي تفسير الجليلين أنها كانت سمرة .

(2) السيرة لابن هشام (1 -2) ص 33

(3) أخبار مكة (الأزرقي) 1 / 130

(4) نفس المصدر

(5) معجم البلدان 4 / 116

ظهور الاسلام وحتى أيامنا هذه. ونحن نرى أشجاراضخمة قائمة بقرب المقابر أو المزارات الدينية ، ويعتقد الناس ، أنه من الخطورة بمكان أن يقطع ولو غصن صغير منها . . . . كما نرى وفي مناسبات مختلفة ان بعض النسوة يعلقن « خرزاً ومزقاً من الثياب على بعض الأشجار ، وأيضاً خميرة العجين ولا نجد تفسيراً لذلك إلا أنه بعض رموز وتقاليد لعبادات قديمة مورست وانتقلت من السلف إلى الخلف».

الفصل الثاني

عبادة الجن والملائـكة

عبادة الجن والملائكة

إن لعالم الأرواح ، ولكل ما لا تراه العين ويدركه الحس البشري ، أثراً خطيراً في عقائد أهل الجاهلية ، وفي نفوس كثير من الناس حتى اليوم إذ نرى صلوات وشعائر وأدعية مكتوبة وغير مكتوبة تُتلى وتقال للسيطرة على تلك الأرواح ، وخاصة الخبيثة منها لتجنب أذاها . وإذا تتبعنا هذه الاعتقادات عند الجاهليين ، نجد أنها قد انتشرت وتركزت في نفوس الكثيرين منهم ، وآية ذلك كثرة الكلمات والمصطلحات الجاهلية المتعلقة بهذه المعتقدات ، وما ورد في القرآن الكريم من أثر الجن في نفوس الناس .

إن أكثر الذين عرّفوا الجـن بحسـب ما وصلـت اليهـم الأخبـار منـذ الجاهلية ، مجمعـون على أن الجـن ، كلمـة عربية تتضمـن معنـى التخفـي والتستر[1] ، ويقول الجاحظ في تعريفه للجن : « كل مستهجن فهو جني وجان وجنين ، وكذلك الولد قيـل له : جنين لكونه في البطن واستجنانـه ، وقيل للميت الذي في القبر جنينٌ »[2] . وسُمي القبر جَنن لستـره الميّـت ، والليل جَنان لأنه يستر بظلمته ، والقلب جَنان لاستتاره في الصدر ، والروح جَنان

---

(1) لسان العرب . مادة « جن »13 / 92 صادر ، وتاج العروس ماد (جن)

(2) الجاحظ ـ الحيوان . دار صعب / بيروت / تحقيق فوزي عطوي(4 -7) ص437

لأن الجسم يجنُّها ، والجَنين : الولد ما دام في بطن أمّه لاستتاره فيه ، والجُنّة : السترة وكل ما وقاك وسترك ، والجن نوع من العالم سُموا بذلك لأنهم لا يرُون [1] . ومما كان شائعاً أن الجن قد خُلقوا من قبل آدم ، وهذا ما يؤيده القرآن الكريم في قصة الخليقة [2] . وخلاصة القول في تعريف الجن ، أنهم أرواح خفيّة قادرة على التشكل ، بصورة مختلفة . وهم أصناف وطبقات عند العرب سنستعرضها فيما يأتي من صفحات .

لقد عبد الجاهليون العرب الجن ، ولا شك ، وقد ذكر القرآن الكريم أن قريشاً جعلت بين الله وبين الجنة نسباً : ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ، ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون﴾ [3] ، وأن قريشاً جعلت الجن شركاءَ لله تعالى : ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلَقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ [4] كما يذكر القرآن الكريم أن بعض العرب قد عبدوا الجن : ﴿قالوا : سبحانك ، أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [5] ، ويذكر (ابن الكلبي أن (بنو مليح) من خُزاعة ، رهط طلحة الطلحات ، كانوا يعبدون الجن [6] ، وفيهم يقول القران : ﴿إن الذين تدعون من دُون الله عِبادٌ أمثالكم﴾ [7] .

وفي عقيدة الجاهليين أن الجن عشائر وقبائل ، تتقاتل وتتصالح ، ولها

---

(1) لسان العرب ، مادة « جن »13 / 93 وما بعدها / صادر / .
(2) سورة الأعراف آية11 . البقرة 34 . الحجر28
(3) سورة الصافات اية158
(4) سورة الأنعام ، اية100
(5) سورة سبأ ، اية41
(6) الأصنام ص34
(7) سورة الأعراف اية194

ملوك وسادات قبائل ، تحفظ العقود وتعقد الأحلاف ، من هذه القبائل : « بنو غزوان »[1] .

ولإرضاء الجن ، وتجنب أذاها ، قدّم الجاهليون الذبائح لها ، وإذا أراد إنسان السكن في بيت جديد ، أو استخراج ماء من بئر حفرها ، وخاف من وجود الجن فيها ذبح ذبيحة ، يُرضي بها الجن ، فلا تصيبه بأذى ، ولقد أبطل الإسلام ذبائح الجن[2] .

أما الملائكه وهم أرواح في نظر أهل الجاهلية ، فقد تعبّد لها بعضهم ، كما يفهم من الآية ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليّنا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون﴾[3] . ويقول أمية بن أبي الصلت مشيراً الى الملائكة :

فكأن برْقِع والملائكُ حولها سدِرٌ تواكله القوائمُ أجردُ[4]

وأنشد أبو عبيدة لرجل جاهلي من عبد قيس :

فلست لأنسّي ، ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب[5]

مواطن الجن :

وأكثر مواطن الجن في نظر الجاهليين ، هي المواضع الموحشة المظلمة ،

---

(1) بنو غزوان : حي من الجن . لسان العرب 9 / 89 . صادر مادة (قرر)

(2) لسان العرب 2 / 437 (ذبح) صادر .

(3) سبأ اية 40 وما بعدها

(4) حياة وشعر أمية بن أبي الصلت تحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي بغداد 1975 ص 189

(5) لسان العرب 10 / 496 صادر

والأماكن المقفرة ، والفجوات العميقة ، وفي المغاور ، والجبال ، والآكام ، والأودية والفلوات ، وكلها أماكن رهيبة ، تلقي الرعب في قلوب الناس(1) .
ويقول الجاحظ : إن الأعراب يذكرون أن أرض (وبار) ليس فيها إلا الجن والابل الوحشية التي ضربت فيها فحول إبل الجن(2) . وكثيراً ما تذكر الشعراء مواضع للجن يُضرب بها المثل ، وهي في أماكن شتى في بلاد العرب ، كأن يقولوا : جن البديّ ، وجن البقّار ، وجن « ذو سهار » ، وجن عبقر ، وغيرها .

يقول لبيد :

غلب تشذر بالدحول كأنها ... جن البديّ رواسيا أقدامها(3)

ويقول النابغة :

سهكين من صدأ الحديدِ كأنهم . ... تحت السَنَوّر ، جِنَّةُ البقّار(4)

ويقول زهير :

عليهن فتيان كجنة عبقر ... جديرون يوماً أن ينيفوا فيستعلوا(5)

ويقول حاتم :

عليهن فتيان كجنة عبقرا ... يهزون بالأيدي الوشيج المقوما(6)

---

(1) انظر خبر « جماعة من ثقيف ومعهم أمية بن ابي الصلت وما فعلته بهم المرأة الجنية التي كانت تقيم في الأودية والقفار . الأغاني 3 / 189
(2) الحيوان (4-7) ص 462
(3) نفس المصدر ص 453
(4) الديوان ص 60 المؤسسة العربية / بيروت /
(5) الحيوان (4-7) ص 453
(6) نفس المصدر

وعبقر موضع بالبادية كثير الجن ، ويقال في المثل : كأنهم جنُّ عَبقر[1] .
وهو أشهر أماكن الجن على ما يبدو لأن كثيراً من الشعراء ذكروه في أشعارهم[2]
يقول لبيد . :

ومـــن فاد من أخوانهـــم وبنيهم   كهـــولٌ وشـــبَّـان كجِنَّة عبْقر[3]

لقد كان في اعتقادهم أن الأماكن التي ذكرناها ، وغيرها ، مليئة بالجن لذلك كانوا يستجيرون بالجن في أسفارهم ، وفي منازلهـم ، كأن يقولـون : نعوذ بكبير هذا الوادي ، أو هذا المكان ، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم : ﴿ وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهـم رهقاً ﴾[4] .
ويُروى عن (حجاج بن علاط البسلمي) ، أنه عندما نزل بواد مخوف موحش في ركب له ، وهو يقصد مكة ، قال وقد جنَّ الليل :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي   من كل جنـــيٍّ بهـــذا النقب
حتى أأوب سالماً وركبي[5]

وقد قال أحدهم وهو يعوذ بسيِّد الوادي :

قد بتُّ ضيفـــاً لعـــظيم الوادي   المانعـــي من سطـــوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي[6]

---

(1) لسان العرب4 / 534 صادر

(2) انظر أشعار الشعراء : مرار العدوي ، والأعشى وامرؤ القيس ، ولبيد ، وذي الرمّة ، وزهير ، وكثير : في لسان العرب4 / 534 وما بعدها ومعجم البلدان4 / 79 وما بعدها/ صادر /

(3) اللسان4 / 534 صادر

(4) سورة الجن آية6

(5) جواد علي6 / 720 عن الروض الأنف(1 / 136)

(6) نفس المصدر عن بلوغ الأرب 2 / 326

فيما يبدو أنهم كانوا يخافون الجن ، وخاصة بالأماكن النائية الموحشة ، بالأودية والمفازة ، وفي أماكن تواجد الوحوش المفترسة . يقول أحدهم وهو يستجير بجن (عالج) :

يا جن أجـزاء اللـوى من عالج　　عاذ بكم ساري الظـلام الدالج
لا ترهقوه بغويٍّ هائج (1)

ويستعيذ رجل ومعه ولد ، فأكله الأسد ، يقول :

قد استعذنـا بعـظيم الوادي　　من شرِّ ما فيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي (2)

ومن جملة ما كان يعتقده الجاهليون أن الجن كانت تعزف في المفاوز بالليل . يقول أحدهم :

وإنـي لأجتـابُ الفـلاة ، وبينها　　عوازفُ جنـانٍ ، وهـامٌ صواخِدُ (3)

وفي حديث لابن عبّاس : « كانت الجن تعزف الليل كلّه بين الصفا والمروة » (4)

ويقول بشر بن أبي خازم يذكر الفلاة والفيافي وعزيف الجن فيها :

وخَـرْقٍ تعـزفُ الجِنّـانُ فيه　　فيافيه تَحِـنُّ بهـا السِّهامُ (5)

---

(1) نفس المصدر .

(2) نفس المصدرعن بلوغ الأرب 2 / 326 .

(3) لسان العرب 9 / 244 .

(4) نفس المصدر

(5) مفضليات ص 334

وربما تصوروا هذا العزيف كضرب الصنوج . قال القطامي :

تبيت الغـــول تهـــزج أن تراه   وصنـــج الجـــن من طرب بهيم[1]

أو تصوروها كقرع الطبول . يقول ذو الرمّة :

ورمـــل لعـــزف الجـــن في عقداته   هرير كتضراب المغنـــين بالطبل[2]

ويسمع هذه الأصوات الجاهلي فتنساب في أذنيه كحديث السمر . يقول ذو الرمّة :

وكم عرَّست بعـد السرى من معرس   به من كلام الجـــنّ أصـــوات سامر[3]

ويقول أيضاً :

كم جبـــت دونـــكَ من بهماءَ مُظلمة   تيه إذا ما مُغنّي جنـــه سمرا[4]

ويقول أيضاً :

بلاد يبيت البوم يدعـــو بناته   بهـا ومـن الأصـداء والجـن سامر[5]

كما شبهوا هذه الأصوات بأصوات الريح وهي تتخلل أغصان الشجر . يقول ذو الرمة :

للجـــن بالليل في أرجائهـــا زجلٌ   كما تنـــاوح يوم الـــريح عيسوم[6]

وتخيلوا هذه الأصوات كأزيز الذباب . قال أحدهم :

تسمـــع للجـــن به زي زِي زما   هتامـــلا من رزّهـــا وهينما[7]

---

(1) لسان العرب2 / 311 مادة (صنج) صادر

(2) الحيوان4-7 ص449 دار صعب

(3) نفس المصدر ص448

(4) نفس المصدر ص449

(5) نفس المصدر

(6) نفس المصدر ص448

(7) لسان العرب مادة (هتمل)11 / 689 صادر

والأعشى الشاعر الجاهلي الكبير، قد ذكر الجنَّ في كثير من أشعاره وتخيَّل عزيفها وزجلها. يقول:

والجن تعزف حولها ، كالحُبْش في محرابها[1]

ويقول:

وبلدة مثل ظهر التُّرس مُوحشة ، للجنِّ بالليل في حافاتِها زجلُ[2]

ولربما آمن زهير بن ابي سلمى بهذه الأصوات التي يسميها عزيفاً. يقول:

تسمعُ للجنِّ ، عازفين بها ، تضْبَحُ ، من رهْبةٍ ، ثعالبها[3]

ولطالما اعتقد بعض الجاهليين أن الجن تركب أنواعاً كثيرة من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات، وعرفت كل هذه بـ « مطايا الجن » ولم يستثنوا منها سوى الأرانب لحيضها، والضباع لقذارتها، والقردة لِزَنْيها[4]. وتمتطي الجن هذه الحيوانات، وخاصة الظباء[5]، في البوادي. ولم تنجُ الذئاب من ركوب الجن. جاء في الأغاني عن رجل روى فقال: « بينا نحن نسير بين انقاء من الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطيلس[6] يقول: أشعر الناس زياد بن معاوية، ثم تملص فلم نره »[7]

---

(1) الديوان ص16 . المؤسسة العربية / بيروت /

(2) نفس المصدر ص146

(3) ديوان زهير ابن ابي سلمى ص209

(4) الميتولوجيا ص214 عن الراغب الأصفهاني (2 / 281)

(5) الأغاني 8 / 78-79

(6) أطيلس : تصغير أطلس : الذئب الأغبر . لسان العرب 6 / 124 مادة (طلس) .

(7) الأغاني 9 / 163

يقول عبيد بن أيوب دالاً على اعتقاده بأن الجن تركب الظباء :

وأجـوب البـلاد تحتـي ظبيَ ضاحـكٌ سنُّه كثـيرُ التمرِّي
مُولـجٌ دبـره خزانـة مِكر وهـو بالليل بالعفـاريت يسري[1]

لقد أنشد ابن الأعرابي لبعض الأعراب شعراً يصف غير الظبي من مطايا الجن ، كالثعالب المسنة ، والعظاء ، والجرذ ، والفأرة ، والورل ، والجندب[2] ، وكثيرا ما اعتقدوا أن الجن تركب قرني الثور ، وقد تصد البقر عن الماء . يقول الأعشى مشيراً إلى الجني يضرب ظهر الثور :

لكالثـوْرِ ، والجنِّـيُ يضرب ظهرَه ، ومـا ذنبُـه أن عافـت الماء مشرُبا[3]

وتعتلي الجنة ظهـور الخيل ، كما يعتليها من الناس الأشاوس الـذين يسرعون لنصرة المظلوم . يقول زهير :

بخيل عليهـا جنّـةٌ ، عبقريّـةٌ جديرون يوما أن ينالوا ،فيستعلوا[4]

وما دامت الجن أرواحاً تتزاوج مع الأنس كما يتضح ذلك من كتب الأخبار[5] وتدخل في الحيوان وتركبه فهي عند الجاهلي تتلون بألوان مختلفة وهذا ما عناه عنترة بقوله :

والغـول بـين يديَّ يخفـى تارة ويعـود يظهـر مثـل ضوءِ المِشعلِ
بنواظـر زُرْق ووجـه أسود وأظافـر يُشبهـن حدَّ المِنجلِ
والجـن تفـرقُ حول غابـات الفلا بهماهـم ودمـادم لم تغفلِ[6]

---

(1) الحيوان(4-7) ص489 / صعب /
(2) نفس المصدر ص470 وما بعدها .
(3) ديوان الأعشى ص9
(4) ديوان زهير بن ابي سلمى ص31
(5) الحيوان(1-3) ص179 وما بعدها .
(6) ديوان عنترة . مكتبة كرم (دمشق) ص143

ويقول أبو وَجزة يصف امرأة ولا يطمع بها لأنها تشبه الجن .

طافـــت بهـــا ذاتُ ألـــوان مُشبهة ذريعـة الجـــن لا تعطـــي ولا تدعُ[1]

أصناف الجن : إبليس وأولاده :

يتضح مما سبق من القول أن الجن أصناف وطبقات عديدة وسنتعرض فيما يلي لأشهر أنواعها .

إبليس :

دعته كتب الوحي « بالمنافق المتكبِّر » ، الذي أبى أن يسمـع قول الله ويسجد لآدم مع الملائـكة الساجـدين[2] ، وبأكثـر الأرواح الساقطـة شراً[3] لتكبره[4] وعدو الله والانسان ، وحيّـة حواء ، وصاحب السلطان على الأرواح النجسـة والقتّـال ، والـكذاب ، والأسـد الزائـر ، والحية القديـة[5] . وفي القرآن الكريم أيتان نستدل من الأولى ، أن ابليس ملك من الملائكة﴿ وإذ قلنـا للملائـكة اسجـدوا لأدم فسجـدوا الا ابليس أبى واستكبـر وكان من الكافرين ﴾[6]. ونستدل من الثانية ، أن إبليس كان من الجن : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا إبليس كان من الجن ﴾[7] وإبليس متربص

---

(1) لسان العرب8 / 96 صادر مادة (ذرع) .

(2) انجيل مقدس . سفر الرؤيا 12 :9.

(3) القران الكريم . سورة البقرة . اية34 ، والأعراف11 ، والحجر32،31 . والاسراء61 والكهف50 وطه116

(4) نفس المصدر اتيموتيوس 3 :6

(5) قاموس الكتاب المقدس مادة (ابليس) و (شيطان) . بطرس عبد الملك ورفاقه . مجمع كنائس الشرق الأدنى . الطبعة2

(6) سورة الحجر اية32 . البقرة34

(7) سورة الكهف أية50

بالانسان يعمل دائماً على غوايته . يقول القرآن الكريم : ﴿ قال ربِّ بما أغويتني لأزيّنَنّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾[1] .

ولربما أن النصارى واليهود وانتشارهم في بلاد العرب ، وما حولها كان له الأثر الكبير في ايصال قصص إبليس « الشيطان » إلى أهل الجاهلية الذين آمنوا به كجن يتلبس صورة انسان تارةً ، وطوراً يتلبس صورة حيوان أو طير أو زواحف . وهذا الاعتقاد لا يزال حيًّا في بعض نفوس العرب حتى اليوم[2] . لقد دلَّ أوس بن حجر على دخول الشيطان في « قفا » الانسان بقوله :

إذا الشيطانُ قصّع في قفاها تنفّقْناهُ بالحبْل التُّؤام[3]

ومن يتحدث إلى بني آدم غير الانسان ، ربما تقمّص الشيطان صورة انسان وقال لذلك الأعرابي الذي مات ولداه إنك فقير أو كثير العيال . يقول المزرِّد أخو الشمّاخ :

وأيقنَ إذ ماتا بجوع وخيْبَة وقال له الشيطانُ : إنك عائِلُ[4]

والشيطان : حيَّةٌ له عُرف ، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب فهو شيطان ، يقول جرير :

أيام يدعونني الشيطانَ من غزَل ، وهُنَّ يهْوَيْنني ، إذ كنت شيطانا[5]

---

(1) سورة الحجر آية39

(2) حدثني أحد أبناء قريتي واسمه « داود ناصيف داود » أنه رأى الشيطان بأم عينه هو وشقيقته توفيقة وجدَّته « ام خليل » وذلك قبل65 عاماً حيث كان الثلاثة ينامون في حقل للذرة يحرسونه قرب واد سحيق . وأن الجان كانت في عرس كبير . قرب بركة في الوادي . وقد حاول داود استعمال البندقية فخرست ، وكذلك الكلب « بارود » لم يبدِ حراكاً وبقي العرس ثلاث ساعات .

(3) ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف نجم . صادر . بيروت1960 ص126 .

(4) مفضليات ص101 .

(5) لسان العرب13 / 238 صادر .

وقال رجل يذم امرأة له :

عَنْجَــردٌ تحلف حــين أحلفُ ، كمثــل شيطــانِ الحماطِ أعْرَفُ[1]

كان الجاهليون يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً يعلمه الشعر ، ويلقنه إياه ولتثبيت هذا الاعتقاد سمّى الشعراءُ شيطانهم . يقول الأعشى مُهاجياً عُمير بن عبد الله وتابعه « جهنام » .

دعوتُ خليلي مِسْحلاً ، ودَعَــوْا له جهنّام جَدْعاً للهجين المذمَّم[2]

ويجعل الأعشى نفسه فداء شيطانه الذي نَصرَه على خصمه قائلاً :

حباني أخــي الجنّيُ ، نفسي فداؤهُ ، بأفْيحَ جَيّاشِ العَشيّاتِ خِضْرِمِ[3]

أولاد إبليس :

إن لإبليس خمسةً من الأولاد على رأي مجاهد[4] ، هم : ثبر صاحب المصايب ، والأعور صاحب الزناء ، ومبسوط صاحب الكذب ، وداسم صاحب البغضاء والمفرِّق بين الزوجين ، وزلنبور صاحب الخصومة وأهل السوق[5] .

الغيلان والسعالي :

والغول جنسٍ من الجن والشياطين[6] ، اعتقد الجاهليون بوجودها وأنها

---

(1) لسان العرب 13 / 238 صادر

(2) ديوان الأعشى ص 183

(3) نفس المصدر ص 184

(4) الميثولوجيا ص 220 عن القزويني ص 368

(5) نفس المصدر

(6) لسان العرب 11 / 509 وما بعدها .

تتلوّن وتتشكل بهيئات وحالات مختلفة يقول كعب بن زهير بن أبي سلمى مُشيراً الى تلّونها .

فما تدوم على حال تكون بها كما تلّـونُ في أثوابهـا الغُولُ [1]

ويقول عباس بن مرداس السلمي :

أصابـت العـامَ رِعـلا غولُ قومِهم وسطَ البيوتِ ولـون الغـول ألوانُ [2]

وفي حديث للرسول (ﷺ) : « عليكم بالدُّلجة فإن الأرض تُطوى بالليل ، وإذا تغولَت لكم الغيلان فبادروا بالأذان . . أي ادفعوا شرّها بذكر الله [3] »

ويقول جرير بتلون الغول :

فيوما يوافيني الهـوى غير ماضِي ، ويومـاً ترى منهـنّ غولاً تغوّلُ [4]

ويقول عبيد بن أيوب وقد فرق بين الغول والسعلاة :

وساخـرة منـي ولـو أنّ عينها رأت ما ألاقيه من الهـول جنّت

أبيت وسعـلاة وغـول بقفرة إذا الليل وارى الجـن فيه أرنّت [5]

ويقول الجاحظ : تقول العرب : شيطان الحماطة وغول القفرة وجان العشرة [6] . كما يقول : « والغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار

---

(1) ديوان كعب بن زهير ص8 . الدار القومية القاهرة مصور عن دار الكتب ص1950 والحيوان(4-7) ص 442

(2) الحيوان(4-7) ص 442

(3) لسان العرب11 / 507 صادر

(4) لسان العرب11 / 507 صادر

(5) الحيوان(4-7) ص442

(6) نفس المصدر ص447

ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكراً كان أو أنثى ، الا أن الأكثر على أنه أنثى »[1] .

يقول جبيهاء الاشجعي :

وتزوجـــت في الشبيبـــة غولا كغـــزال وصدقتـــي زقٌ خمر[2]

ويصف عنترة اختفاء الغول وظهورها وتلونها فيقول :

والغـــول بـــين يديَّ يخفـــي تارة ويعـــود يظهـــرُ مثـــلَ ضوءِ المشعلِ
بنواظـــر زُرْق ووجـــه أسود وأظافـــر يشبهـــن حدَّ المِنْجَلِ[3]

ولكن عنترة لم يلاحظ أنيابها كما تنبّه لذلك سلفه امرؤ القيس حيث يقول :

أيقتلنـــي والمشرَفيُّ مُضاجعي ومسنونـــةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوالِ[4]

وما جاء في أخبار الشاعر ثابت بن جابر بن سفيان وتسميته « بتأبط شراً »[5] ما يدل على أن الغول في اعتقادهم تتقمص جسم انسان وجسم حيوان . يقول تأبط شراً :

فأصبحـــت الغـــول لي جارةً فيا جارتـــا لك ما أهولا
فطالبتهـــا بضعهـــا فالتوت عليَّ وحاولـــت أن أفعلا
فمـــن كان يســـأل عن جارتي فإنّ لهـــا باللـــوى منزلا[6]

---

(1) نفس المصدر ص442
(2) نفس المصدر
(3) ديوان عنترة مكتبة كرم (دمشق) ص143
(4) ديوان امرىء القيس (دار صادر) بيروت ص142
(5) الأغاني18 / 209
(6) نفس المصدر18 / 210

وقد جاء في الأغاني أن تأبط شراً لقي الغول في ليلة مظلمة ، في موضع يقال له : رحى بطان ، فقطعت عليه الطريق فقتلها وبات عليها ولما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها أصحابه ، فقالوا : تأبطت شراً ، فقال في ذلك ، يصف ما فعل ويصف الغول :

ألا من مبلـغٌ فتيان فهم ، بمـا لاقيتُ عنـد رحـى بطان

وانـي قد لقيت الغـول تهوي بسهـب كالصحيفـة صحصحان

فلـم أنفـك متكئـا عليها لأنظـر مِصْبَحـا ماذا أتاني

إذا عينـان في رأس قبيح كرأس الهـرِّ مشقـوقِ اللسانِ

وساقـا مُخْـدَجٍ وشـواة كلبٍ وثـوب من عبـاء أو شنان[1]

ومجمـل القـول أن الغـول نوع من الجـن ، اعتقـد بوجودهـا أهـل الجاهلية ، وتمثلوها في هيئات مختلفة .

أما السعلاة : فيقول ابن منظور عنها : أنها الغـول بذاتهـا ، وهـي ساحرة الجن ، وفي الحديث « لا صَفَرَ ولا هامة ولا غُولَ ولكن السعالي »[2] وكثيراً ما ذكر الشعراء السعالي في أشعارهم . يقول لبيد يصف الخيل مشبهاً إياها بالسعلاة :

عليهـن وِلـدانُ الرهـان كأنها سعـال وعِقبـانٌ ،عليهـا الرحائلُ[3]

وقال جِران العَوْد :

هي الغـول والسعـلاةُ خَلْقِـيَ منهما مُخَـدَّشُ ما بـين التَّراقـي مكدَّحُ[4]

---

(1) الأغاني18 / 210

(2) لسان العرب11 / 336 صادر

(3) ديوان لبيد بن ربيعة العامري . دار صادر / بيروت / ص133

(4) لسان العرب11 / 336

وشبّه ذو الاصبع الفرسان بالسعالي :

ثم ابعثنا أسود عادية   مثل السّعالي نقائيا نُزُعا[1]

وقال الجاحظ : يُقال أن عمرواً بن يربوع تزوج من السعلا·[2]

ومن ذكر السعلاة وشبهها بالفرس عَبيد بن الأبرص حيث يقول :

أوحشت بعد ضُمَّر كالسَّعالي   من بناتِ الوجيهِ أو حلاَب[3]

ويقول أيضاً :

نحن قُدْنا من أهاضيب الملاالْ   خيل في الأرسان أمثال السَّعالي[4]

ومِنْ مُشبَّه لها بالشحّاج أي « حمار الوحش » الذي أصبح كالسعلاة .

يقول سَلمة بن الخُرشب الأنماري :

وتُمكنُنا إذا نحن اقتنصّنا   من الشحّاج أسْعله الجميم[5]

ومِن مُشبِّه المرأة بها . يقول عَمِيرَة بنُ جُعَل :

ترى الحاصِن الغرّاء منهم لِشارف   أخي سلّة قد كان منه سليلُها

قليلا تبغّيها الفحولة غيرة   إذا استسْعلت جنان أرض وغُولهْ[6]

وعنترة يشبه الخيل بالسعالي أيضاً إذ يقول :

أمارسُ خيلا للهجيم كأنها   سعال بأيديها الوشيجُ المقوّ[7]

---

(1) نفس المصدر

(2) الحيوان(4-7) ص443

(3) ديوان عبيد بن الأبرص / دار بيروت / ص 41

(4) ديوان عبيد . دار بيروت ص121

(5) مفضليات ص40

(6) مفضليات ص258

(7) ديوان عنترة دار صعب / بيروت / ص68

يتبين لنا مما ورد في السعلاة أنها تشبه الغول الى حد كبير عدا عجزها عن التحوّل والتشكّـل .

العفريت والمارد :

ومن أصناف الجن العفريت والمارد ، والعفريت هو الخبيث المنـكر ، وقـد عرفـه الخليل بقولـه : شيطـان عِفْـريةٌ وعفـريتٌ ، وهــم العَفَـارِيَةُ والعفاريت[1] .

قال ذو الرمة :

كأنــه كوكبٌ في إثــرِ عفرية مُســوَّمٌ في سوادِ الليلِ مُنقضِبُ[2]

وقد ورد ذكر العفريت في القرآن الكريم﴿ قال عِفْريت من الجن أنـا آتيك به﴾[3]

وما أورده الجاحظ : « الجن إذا كفر وظلم وتعدى وأفسد قيل شيطان . وإن قوي على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد . فإن زاد فهو عفريت . فإن زاد فهو عبقري »[4] فالعفـريت إذاً معـروف عنـد عرب الجاهلية ، وهو جسور عنيد ، نصّـات الى الناس لا يسترق السمع إلا جَهاراً في أضْوَأ ما يكون البدر يشهد على ذلك قول الحكم بن عمرو البهراني :

ونفــوا عن حريمهــا كل عفْر[5] **يسرقُ السمــع كل ليلــة بدْرِ**[6]

---

(1) لسان العرب4 / 586

(2) نفس المصدر

(3) سورة النمل آية39

(4) نهاد توفيق نعمة . الجن في الأدب العربي . بيروت1961 ص27 عن الحيوان1 / 291

(5) العفر : العفريت انظر اللسان مادة (عفر) .

(6) الحيوان(4-7) ص467

أما المارد والمريد ، فهو العاتي الخبيث من الجن [1] . وقد ذكره القرآن الكريم ووصفه بالعاتي المتمـرد [2] ، بقوله : ﴿وحِفظاً من كل شيطانٍ مارد ﴾ [3] و ﴿ يتبع كل شيطان مريد ﴾ [4]

أما الأعشى فيصفه بغاو من غواة الجن ، حين يشبب بامرأة ويتغزل بها مشبهاً إياها بدُرَّة زهراء يحرسها هذا الغاوي ولا يغفل عنها :

ومـــاردٌ من غُواةِ الجـــنِّ يحرُسُها ، ذو نِيقـة ،مستعِـدٌ دُونهـا ،ترقا [5]

الخابل :

أما الخابل فهو ضرب من الجن [6] ، أو أنه الجن نفسه سمي بالخابل الذي يخبل الشعراء . قال أعشى سليم :

ومــا كان جنـــيٌّ الفـــرزدق قدوة وما كان فيهـم مثـل فحـل المخبَّـل

وما في الخـوافي مثـل عمـرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثـل مسحل [7]

لقد قلنا سابقاً أنهم ، أي العرب الجاهليين ، كانوا يزعمـون أن بكل شاعر جناً ينطق الشعر على لسانه ، ولعلهم اعتقدوا بذلك لذهول وشذوذ في الشعراء غير معهودين بباقي الناس ، وقد شاعـت هذه العقيدة وبقيت بعـد الاسلام أيضاً . قال أحدهم :

إنـــي وإن كنـــت صغـــير السن وكان في العـــين نبوٌّ عني

فإن شيطاني كبير الجن [8]

---

(1) لسان العرب3 / 400 صادر . مادة (مرد) .
(2) تفسير الجليلين .
(3) سورة الصافات آية7
(4) سورة الحج آية3
(5) ديوان الأعشى ص124 . المؤسسة العربية / بيروت /
(6) لسان العرب11 / 197 صادر
(7) الحيوان(4-7) ص466
(8) نفس المصدر ص467

وقال ابو النجم :

إنـــي وكل شاعـــر من البشر شيطانــــه أنثـــى وشيطانـــي ذكر .

وقد ذكر القـرآن الـكريم ذلك : ﴿والشعـراء يتّبعُهـم الغـاوون﴾(1)

وحاتم الطائي الذي اشتهر بالكرم وضجّت بجوده الفلوات يقول لزوجته :

مَهْــلا نوارُ ، أقلّي اللَــومَ والعذلا ، ولا تقــولي ، لشيء فاتَ ، ما فعلا ؟

ولا تقــولي لمال ، كنـــتُ مهلكهُ ، مهلا ، وإن كنتُ أعطي الجنَّ والخَبَلا(2)

والذي يقرأ كتب الأخبار ، وشعر شعراء الجاهلية وصدر الاسـلام ، يلاحظ أن هنـاك أنواعـاً كثـيرة للجـن ، نذكر منهـا الغـدّار ، والهـاجس ، والتابـع ، والرئي ، والهـاتف ، والعامـر ، والدهــاب ، والنسنــاس ، والمسخ(3) .

وهكذا نرى أن العرب في جاهليتهم قد عرفوا الجن - ولعلهم آمنوا بها - أصنافاً عدة ، وفي اعتقادهـم ، أنهـا تتشـكل وتتصـور في صور الانس والبهائـم ، وهـي طبقـات قادرة على الاتيان بأعمال خارقـة لبعضهـا مميزات ومفارقات اتخذت اسماءها وفقاً لذلك . وقد عرضنا لبعضها نماذج محاولـين تحديدها لتأخذ مكانها في سياق البحث . فالتمسنـا بقـدر المستطـاع إرضـاء فضول الراغب في تقصي حقيقة معتقدات العرب زمن الجاهلية .

الكهانة والعرافة :

والكلام عن الجن يقودنا الى الكلام عن الكهانة والعرافة ، والكهانة هي

---

(1) سورة الشعراء آية 224

(2) حاتم الطائي . دار بيروت 1974 ص 73

(3) راجع قصيدة الحكم بن عمرو البهراني وفيها يذكر كثيراً من أنواع الجن . الحيوان (4-7) ص 417 وما بعدها ونفس المصدر من ص 447-528 . والدميري 1 / 188 وما بعدها والبيان والتبيين 2 / 325 والقزويني 2 / 105 وما بعدها .

التنبؤ بالغيب وادعاء معرفة الأسرار[1] . وفي الحديث الشريف « من أتى عرّافاً أو كاهناً فقد كفر بما أُنزل على محمد (ﷺ) »[2] .

والعرَّاف : الكاهن والطبيب . قال عُروة بن حِزام :

فقلت لعرَّاف اليمامةِ : داوِني ، فإنَّك ، إن ابرأتني ، لطبيبُ[3]

فالكهانة والعرافة لفظان لمعنى واحد والمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب[4] والكهانة دخيلة على العرب ، ولعلَّها واتتهم من الشعوب المجاورة ، وعلى الأرجح من الكلدان البارعين بعلم الفلك والنجوم[5] . فالكاهن والعرّاف يسمّى « حازِي » و « حزّاء »[6] وهي كلمة كلدانية تعني الناظر والرائي والبصير[7] ، وقد تكون لفظة كاهن قد دخلت بلاد العرب عن طريق اليهود الذين تواجدوا مع العرب وفي أماكن شتى[8] .

وقد وردت كلمة (كاهن) في القرآن الكريم ، تنفي الكهانة المزيّفة عن الرسول﴿ فما أنت بنعمة ربِّك بكاهن ولا مجنون﴾[9] مما يشير إلى وجود الكهّان الذين اشتهر منهم جمع كبير في بلاد العرب[10] ، أقدمهم شق وسطيح

---

(1) لسان العرب13 / 363 صادر

(2) نفس المصدر9 / 238

(3) لسان العرب9 / 237 صادر

(4) جرجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية . مكتبة الحياة / بيروت / 1 / 181

(5) نفس المصدر

(6) لسان العرب9 / 237 صادر

(7) جرجي زيدان1 / 181

(8) انظر ما كتبناه عن صلة قدامى العرب بالعبرانيين .

(9) سورة الطور آية29

(10) الجاحظ البيان والتبيين1 / 189 وما بعدها . الشركة اللبنانية للكتاب / بيروت / تحقيق فوزي عطوي .

وخنافر وسواد [1] ولم تقتصر الكهانة على الرجال وحسب بل تعدتها الى النساء وقد لمعت اسماء كثيرة لهم في دنيا الكهانة ، ودنيا العرب ، أمثال طريفة كاهنة اليمن التي انذرت بخراب سد مأرب ، وسلمى وعفيراء الحميريتين، وزبراء الحضرمية ، وزرقاء اليمامة [2] وكما سمّى العرب كاهناتهم بأسماء المواضع كذلك سمّوا الكهان والعرافين فقالوا : كاهن قريش ، وكاهن اليمن ، وعرّاف هذيل ، وعرّاف نجد ، وعرّاف اليمامة الذي قال فيه عُروة بن حزام :

فقلت لعرّاف اليمامة [3] . . . .

ومما جاء في كتب الأخبار أنه كان للكهان أسلوب خاص في كلامهم عند التنبؤ والتكهن هو أسلوب السجع ، ولذلك عرف بـ(سجع الكهان) . . . . ولقد جاء في الأغاني : أنه عندما هاجم كسرى ، ملك الأعاجم ، إيادا ، قامت كاهنة من اياد تسجع لهم وتقول :

إن يقتلوا منكم غلاما سلما ، أو يأخذوا منكم شيخا هما ،

تخضّبوا نحورهم دما ، وترووا منها سيوفاً ظمّا [4] أما سطيح الكاهن الغساني فيقول : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنكم ما طرق [5] .

ومما جاءتنا به كتب الأخبار أيضاً أن العرب في جاهليتهم إذا تنازعوا في شيء وعصي عليهم الأمراحتكموا إلى الكهان والعرّافة، قال ابن اسحق عن

---

(1) جرجي زيدان1 / 183
(2) نفس المصدر1 / 183
(3) انظر على الصفحة المقابلة
(4) الأغاني20 / 24
(5) مروج الذهب2 / 175 دار الأندلس .

رؤيا عبد المطلب بحفر زمزم وبدئه بالعمل ومخاصمة قريش له : « اجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ؛ قالوا : كاهنة بني سَعْد هُذَيم ؛ قال : نعم » ، وكانت هذه الكاهنة بأشراف الشام ، فركبوا اليها[1] . كما يحدثنا ابن اسحق أيضاً عن خبر نذر عبد المطلب وخروج القداح على عبد الله ، وأخْذِه للذبح عند أساف ونائلة واعتراض قريش ، وطلبهم بأن يُعذر بالصبي ويُفتدى ، والتوجّه الى « سجاح » عرّافة الحجاز ، التي حكمت بعد أن استشارت تابعها بأن يقدموا عبد الله مع « الدية » وهي عشرة من الابل ، إلى ربٍّ القوم ويضربوا بالقداح ، ويستزيدوا حتى يرضى[2] .

وخلاصة ما يفهم عن الكهانة والعرافة عند عرب الجاهلية هي التنبؤ بواسطة تابع لعلّه من الجن . ويرى ابن خلدون أن علوم الكهان ، كما تكون من الشياطين ، كذلك تكون من نفوسهم . . . وهي وإن خمدت وخفيت زمن النبوءَة لكنها لم تنقطع ولم تبطل[3] .

السحر :

عملٌ ديني لجأ اليه البشر منذ اعتق أيام الإنسان ، وللسحر صلات وثيقة بالكهانة والعرافة ، وأمرٌ مارسه رجال الدين السحرة على مرِّ العصور وحتى يومنا هذا .

والسحر في عُرف بعض علماء اللغة هو « عمل تُقُرِّب فيه إلى الشيطان

---

(1) سيرة ابن هشام1 / 144

(2) نفس المصدر1 / 154

(3) مقدمة ابن خلدون . دار القلم / بيروت / ص101

وبمعونة منه »[1] يؤدي الى الخداع وفساد العقل . يقول النابغة :

فقالَـــتْ : يمَـــينُ اللهِ أفعَـــلُ ! إنَّني   رأيتُـك مسحـوراً ، يمينُـك فاجِرَه[2]

ويقول لبيد بن أبي ربيعة :

فإن تسألينـا : فيم نحـن ؟ فإنَّنا   عصافـيرُ من هذا الأنـام المسحَّـرِ[3]

والسحر معروف ومتداول بين عرب الجاهلية منذ القدم . يقول ابن هشام : انه كان في إحدى قرى نجران ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر[4] . وقد وردت كلمة (سحر) وما يشتق منها كساحر ومسحور نيّفاً وستين مرة في القرآن الكريم[5] ، مما يدل على أثر السحر في عقلية الجاهلي .

والملاحظ أن الجاهليين كانوا يعزون السحر لكل من يأتي بشيء مدهش . ونراهم عزوا رسالة الرسول الى السحر . وهذا ما قال فيه القرآن الكريم :﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب ، أجعل الالهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشيءٌ عجاب ﴾[6]

كما يشير القرآن الكريم إلى أن الشياطين يعلّمون الناس السحر والفرقة بين المرءِ وزوجه[7] . وهذا يدلنا على بعض أغراض وأهداف السحر الذي استخدم في معالجة أمور كثيرة كالقضاء على الأعداء والتفرقة بين

---

(1) لسان العرب4 / 348 صادر

(2) ديوان النابغة الذبياني . المؤسسة العربية / بيروت / ص70

(3) لسان العرب4 / 349

(4) السيرة النبوية(1 -2) ص34

(5) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن . مادة (سحر) .

(6) سورة ص آية 5,4

(7) سورة البقرة آية102

الزوجين ولعل الزوجات اتّبعنه للتفريق بين بعولهن وزوجاته الأخريات . .

وقد توصل الساحر في اعتقاد بعضهم لاشعال نيران الحب ، أو البغض والكراهية في قلوب الناس ، كما يستطيع مداواة العاشق بـ (السلوانة)[1] و (السلوان)[2] يقول اللحياني :

يا ليت أنَّ لقلبي من يعلّله ، أو ساقيا فسقاني عنكِ سلوانا[3]

وقال آخر :

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجديدِ العيشِ ،يا ميُّ ، ما أسلو[4]

وأنشد ابن بري :

جعلت لعرّاف اليمامةِ حكمَه وعرّاف نجد إن هما شفياني

فما تركا من رُقية يعلمانها ولا سَلْوة إلا بهما سقياني[5]

ومن أعمال الساحر أيضاً اخراج الجن من المجانين ، ومداواة المرضى فهو الطبيب أي الساحر[6] ، والطب هو السحر . يقول ابن الأسلت :

ألا من مبلغٌ حسانَ عنّي أطُبٌّ ، كان داؤك ، أم جُنونُ ؟[7]

أما المواد التي كان يستعملها السحرة في سحرهم فعديدة ، منها البخور والملح والعظام والخرز ، وهناك طقوس وحركات خاصة بالساحر ، وتمتمة

---

(1) السلوانة والسلوة : خرزة شفافة تدفن في الرمل فتصبح سوداء تُدق وتُذاب في الماء ويُسقاها الانسان فتسليه أو تُهيمه . اللسان14 / 395 صادر .

(2) نفس المصدر. واللون كالسلوانة .

(3) نفس المصدر

(4) نفس المصدر

(5) نفس المصدر

(6) لسان العرب1 / 554 صادر .

(7) نفس المصدر .

تشير الى أن الساحر يخاطب أشخاصاً من الجن . ومن لا يعرف القراءة والكتابة فهو يعمد إلى الرموز والصور ، وكثيراً ما دفنوا هذه الأشياء في المقابر لأنها أنسب الأمكنة للسحر .

وقد عثر المنقبون على بعض هذه الاشارات والصور المتعلقة بالسحر[1] .

إن ما أوردناه عن السحر والسحرة زمن الجاهلية واتصال هذا الأمر بالأرواح الخبيثة ، أي الجان ، نستطيع القول أنه ينطبق على نفوس بعض الناس في عصرنا الحاضر . الذين يؤمنون بالسحر وتأثيره على الانسان أكثر من إيمانهم بالله (عن قصد أو غير قصد) وايمانهم بالعلم[2] .

---

(1) جواد علي 6 / 745 عن Hastings . p. 569

(2) سمعت حديثاً لامرأة من قريتي (حقل العزية الضبنة) واسمها كلثوم كنعان ، أمام طبيب يفحص لها ولدها المصاب بمرض القلب ، ويسألها عن ابنها الثاني الذي كان مصاباً بقرحة في أنفه ، فقالت : أجريت له عمليتين جراحيتين ولم يشفَ ، فاتكلت على الله وأخذته لعند (الشيخ) فقرأ عليه عبارات لم أفهمها ودهن انف ولدي بمحلول لونه أزرق فشفي .

الفصل الثالث

معتقــدات أخــرى

الاصابة بالعين :

ومما اعتقد به الجاهليون وكان له تأثير في حياتهم الاصابة بالعين ، فقد رأوا أن عيون بعض الناس تصيب ، وما تصيبه تهلكه فتجنبوا (العائن) و (المعيان) وابتعدوا عنه ، كما رأوا إن الإصابة بالعين لا تقتصر على عيون الانسان وحسب ، فقد تصيب عيون الحيوان كذلك وخاصة الكلاب . ورد عن ابن عبّاس قوله : « الكلابُ من الجن فإن غَشِيَتْكُم عند طعامكم فألقوا لهن فإن لهن أنفساً ، أي أعيناً[1] .

ولحماية النفس من العين استعملوا الخرز والتعاويذ والرقي . يقول سَلَمَةُ بن الخُرشب الأنماري مشيراً إلى تعوُّذ فرسه بالرقي وتقليدها عقداً من التمائم :

تُعـوَّذُ بالرُقـي من غـيرِ خَبْلٍ ... وتُعقـدُ في قلائِدهـا التميمُ[2]

أما سويد بن أبي كاهل اليشكري فينسب قائلاً :

ودَّعتنـي برُقاهـا ، إنها ... تُنـزِل الاعصَـمَ من رأس اليَفَعْ[3]

لا شكَّ أن اعتقاد الجاهليين بوجود قوى خفية تؤثر في الانسان ومنها الإصابة بالعين ، حملهم على ايجاد وسيلة للتغلب على تلك القوى ، أو الحد

---

(1) اللسان 6 / 236 صادر . والحيوان(1 -3) ص286 دار صعب .

(2) المفضليات ص40

(3) مفضليات ص192

منها ، وذلك باستعمالهم الرقى والتمائم والتعاويذ ، فهداهم تفكيرهم إلى تعليق سنّ ثعلب ، أو سن هرّة في أعناقهم وأعناق أولادهم[1] . أو تسمية ولدهم بأسماء حقيرة لتنفير الجن وإبعاد العين . قال اعرابي : « لما وُلدت قيل لأبي : نَفِّر عنه ، فسماني قُنفذاً وكنّاني أبا العدّاء»[2] .

ولكن هذه الرقى والتعاويذ يتوقف مفعولها عندما يأتي الموت . يقول الممزّق العبدي :

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ … أم هل له من حِمام الموت من راق[3]

ويقول أبو ذُؤيب :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها … ألفيت كلّ تميمة لا تنفع[4]

والرقية بنظرهم تستعمل لأغراض شتى كأن يُرقى الذي لدغته أفعى .

يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

لقد دافعت علقمة بن عمرو … تُجاهَ البابِ مُجتمَع الخصومِ

ومسعودا ، وأرقمُ لم أضِعْه … وإذ أرقيهما كرُقي السليم[5]

والإصابة بالعين معتقد قديم حديث ، وكثيراً ما نسمع عن انسان في مجتمعنا الحاضر ، يرمي الحيوان بنظرته إليه .

الطيرة :

إن للطيرة شأن كبير في حياة الجاهليين ، وهي على رأي علماء الأخبار :

---

(1) جواد علي 6 / 746 .
(2) مفضليات ص300
(3) لسان العرب 5 / 227
(4) نفس المصدر ص422
(5) الديوان ص217

زجر الطيور ومراقبة حركاتها ، فإن تيامنت دلَّ ذلك على الفأل ، وإن تياسرت دلَّ على شؤم(1) . ولكنها فيما بعد خصصت بالتشاؤم . وقد عدَّ العلماء الطيرة والزجر في معنى واحد ، كما قيل لمن يزجر الطير (زاجر) ، « لأنهُ إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة »(2) والعرب من شأنها عيافة الطير وزجرها ، والتطيُّر ببارحها ونعيق غرابها(3) .

ولعلَّ للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقة الأبدان ، وهذه العقيدة شملت أكثر الشعوب القديمة ، فآمنوا بأن بعض فضائل الطيور هي أرواح الموتى ، ومن المرجَّح أن يكون عرب الجاهلية من ضمن هذه الشعوب . وقد توالت ، هذه العقيدة ، من الجاهليين وترسَّخت على مدًّ العصور حتى يومنا هذا ، فمن زاعمٍ ، فقد إنساناً ، يرى فراشة تحوم في منزله بعد دفن الميت ، فيدعي إنها روح نسيبه فيأمر بعدم أذيها .

لقد جاء في كتب الأخبار ، أن عكرمة قال : « كنا جلوساً عند ابن عمرو وابن عباس فمرَّ طائر يصيح ، فقال رجال من القوم : خير خير . فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . قال كعب لابن عباس : ما تقول في الطيرة ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيهم : لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال كعب : إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل . يعني التوراة(4) .

---

(1) لسان العرب 4 / 510 وما بعدها صادر .

(2) نفس المصدر .

(3) نفس المصدر .

(4) ابن قتيبة ـ عيون الأخبار « كتاب الحرب » . دار الفكر / بيروت / 1955 ص42

ومن الألفاظ المستعملة في الزجر عند الجاهليين (السانح) و(البارح)[1] يقول عوف بن عطية في ذلك :

نؤمُّ البلاد لِحُبِّ اللِّقاءِ ولا نتَّقي طائرا حيث طارا
سنيحا ولا جاريا بارحا على كل حال نلاقي اليسار [2]

نفهم من ذلك أنهم كانوا يتطيَّرون بالسوانح والبوارح من الطير وربما صدّهم هذا التطير عن تحقيق مقاصدهم كرحلة يقومون بها أو غارة يغيرونها .

ومن الطيور التي تطيروا منها : الغراب ، وطيور الليل : كالخفاش والبومة والهامة والوطواط[3] . وسُمي الغراب بغراب البين لأنه يحتم بالفراق[4] وربما دعاه بعضهم بالأبقع ؛ يقول عنترة :

ظعَن الذين فراقهم أتوقَّعُ وجرى ببينهمُ الغرابُ الأبقعُ
حَرِقُ الجناحِ كأنَّ لحييْ رأسِه جَلَمانِ ، بالأخبارِ هشٌّ مُولعُ[5]

إن عنترة يتطير من هذا الغراب ، فهو غراب بين وأبقع ، وحَرِق الجناح ، يأتيك بأخبار السوء . فيزجره قائلاً :

فزجرتُه ألاّ يُفرِّخَ عُشُّه أبدا ويُصبحَ واحدا يتفجَّعُ[6]

---

(1) السانح ما أتى عن اليمين من الطير عند بعضهم وعن اليسار عند البعض الآخر ، والبارح ضده . مفضليات ص415

(2) نفس المصدر415

(3) جواد علي6 / 791 عن الحيوان(2 / 298) هارون .

(4) لسان العرب13 / 63 صادر .

(5) الديوان ص113 .

(6) نفس المصدر

وفي الاعتقاد بتفريق الطير للأحبة وأبعادهم ، يقول المعلوَّط :

تغنَّى الطائـــران ببـــين سلمى على غُصنيـن من غَرَبٍ وبان
فكان البـــانُ أن بانـــت سليمى وفي الغـــرب اغتـــرابٌ غـــيرُ دانِ[1]

وأشأم الطيور عند الجاهليين الغراب . وفي الغراب وشؤمه يقول علقمة بن عَبَدة :

ومــن تعـــرَّض للغِرْبـــان يزجُرها على سلامتـــه لا بُدَّ مَشْؤومُ[2]

ويقول الأعشى :

ما تَعيفُ اليومَ في الـــطَّـير الرَّوَح من غراب البـــين أو تيس برح[3]

وإذا لم يتعيّف العربي ويزجر الطائر بغزوته لا بُدَّ أنه مَهْزُوم ، وهذا ما عناه عَبيد بن الأبرص بقوله :

أنُبِئْــتُ أن بنـــي جديلـــة أو عبوا نفـــراءَ من سلمـــى لنـــا وتكتَّـــبوا
ولقــد جرى لهـــمُ فلـــم يتعيَّـفوا تيسٌ[4] قعيدٌ كالـــوليَّـة أعضَبُ
وأبوا الفراخ[5] على خشـــاشِ هشيمة متنكبـــاً إبـــط الشمائـــل ينعبَ

ويتابع عَبيد فيصف إسراع بني جديلة لقتالهم فيقول

طعنُــوا بمُـــرَّان الـــوشيجِ فما تُرَى خلـف الأسنَّـةِ غـيرَ عِرْقٍ يشخَبُ[6]

---

(1) عيون الأخبار ص45
(2) مفضليات ص401
(3) ديوان الأعشى ص38
(4) يتشاءمون من التيس أيضاً .
(5) هو الغراب .
(6) ديوان عَبيد . دار بيروت . ص31, 32

ولعلَّ الشاعر قد زعم بأن بني جديلة قد خسروا الحرب لأنهم لم يسنحوا (أبا الفراخ) ويسكتوا نعيبه .

ويقول عَبيد أيضاً ناعتاً (الغراب) بطير الأشائم :

ولقد شيبنا بالجفار لدارم نارا بها طير الأشائم ينْعَبُ[1]

كما يعرف من نعيبه أن يوم فراق الأحبة ، هو غد ، فيقول :

زعم الأحبَّةُ أن رحلتنا غدا ، وبذاك خبَّرنا الغداف الأسودُ[2]

وهذا القول يقرب من قول النابغة الذبياني الذي يسمي الغربان بالبوارح فيقول :

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً ، وبذاك خبَّرنا الغداف الأسودُ[3]

وقد ورد ذكر الغراب في الكتاب المقدس في أكثر من موضع ، واعتبره اليهود نجساً وحرَّموا أكل لحمه[4] فهو ينهش الجثث ويسكن الأماكن الخربة[5] . ويذهب ولا يعود ، كما فعل عندما أرسله نوح لاستكشاف اليابسة بعد الطوفان[6] .

وممن تطيَّر من الغراب من عرب الجاهلية أمية بن أبي الصلت الذي كان يشرب مع اخوان له في قصر (عيلان) بالطائف ، إذ حطَّ غراب على شرفة القصر ونعب نعبة ، فقال أمية « بفيك الكثكث » أي التراب وتشاءم منه ،

---

(1) نفس المصدر ص34

(2) نفس المصدر ص59

(3) ديوان النابغة . المؤسسة العربية / بيروت / ص38

(4) الكتاب المقدس بسفر لاويين11 :15

(5) نفس المصدر . أشعياء34 :11

(6) نفس المصدر تك . 8 :7

وقال لأصحابه : إنه يقول : إذا شربت الكأس التي بيدك متّ . وقد مات في مكانه بعد نعيبه مرة أخرى[1] .

أما البوم فهي من الطيور المشؤومة بنظر العرب . والبومة كما هو ملاحظ أكثر ما تطير في الليل و « تصوِّت » ، والليل هو رمز الخوف والشر . ومن أنواعها الصدى والهامة[2] . والهامة رأس كلّ شيء من الروحانيين ، والروحانيون كما يفسرِّهم ابن شميل : هم الملائكة والجن التي ليس لها أجسام تُرى . ومما عتقده العرب أن روح القتيل الذي لم يُدرك بثأره تصير هامة وتصيح عند قبره : اسقوني اسقوني ! ومتى أُدرك بثأره طارت[4] . وفي هذا المعنى يقول ذو الاصبع العدواني :

يا عمرُو ، إن لا تدعْ شتمي ومنقصتي
أضربْك حتى تقول الهامةُ اسقوني[5]

وقد جاء في الحديث عن الرسول : لا عَدْوَ ولا هامَةَ ولا صَفَرَ[6] .

أما الصدى فهو الطائر الذي يخرج من هامة الميت[7] وقد نفى الاسلام ذلك ونهى عنه . أنشد أبو عبيدة في ذكر الصدى والهام

سُلِّط الموتُ والمنون عليهم فلهُم في صدى المقابر هامُ[8]

---

(1) الأغاني 3 / 192
(2) لسان العرب 12 / 624 صادر مادة (هوم) .
(3) نفس المصدر
(4) نفس المصدر .
(5) نفس المصدر ص624
(6) نفس المصدر
(7) نفس المصدر ص624
(8) لسان العرب 12 / 625 صادر

ويقول لبيد العامري :

فليس الناسُ بعدك في نقير ولا هُم غيرُ أصداء وهامِ[1]

ومما يدلنا على أن الطيرة عبادة عند الجاهليين ما جاء في الحديث الشريف أن « الطِّيرة شرك . ولكن الله يذهبه بالتوكل »[2] .

وخلاصة ما تقدم أن العرب في جاهليتهم كما آمنوا بالجان ارواحاً تتقمص صورة انسان أو حيوان كذلك آمنوا بأرواح خفية تدخل في عالم الطيور منها الخيرة ومنها الشريرة فتفاءلوا ببعضها وتشاءموا بالبعض الآخر .

---

(1) ديوان لبيد . ص203 صادر

(2) اللسان 10 / 450 صادر مادة (شرك) .

فهرس المصادر والمراجع

أ ـ الدينية :

1 ـ القرآن الكريم .

2 ـ تفسير الامامين الجليلين (جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) ـ المكتبة الشعبية .

3 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ وضع محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ عن دار الكتب المصرية 1945 .

4 ـ الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد .

5 ـ الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد تحقيق .

J.J. Little et Ives. co. NEW York N.Y. 1962.

6 ـ قاموس الكتاب المقدس ـ وضع نخبة من الاساتذة اللاهوتيين ـ صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ الطبعة الثانية ـ بيروت 1971 .

ب ـ الأدبية والتاريخية والحضارية .

7 ـ الأزرقي (ابو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد) ، **اخبار مكة** ـ تحقيق رشدي الصالح ملحس ـ دار الأندلس ـ مطابع ماتيو كرومو ـ بنتو ـ مدريد ـ اسبانيا .

8 ـ الأسد ، ناصر الدين ، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية** ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف ـ مصر 1969 .

9 ـ الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب) ـ **الأصنام** ـ تحقيق أحمد زكي ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة 1965 ـ عن طبعة دار الكتب المصرية 1924 .

10 ـ أمين ، أحمد ، ـ فجر الاسلام ـ الطبعة العاشرة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ1969 .
11 ـ البنّي ، عدنان ـ تدمر والتدمريون ، في ضوء المكتشفات الأثرية ـ دمشق1977 .
12 ـ البستاني (بطرس) ـ دائرة المعارف .
13 ـ الزبيدي ـ تاج العروس .
14 ـ الطبري (محمد بن جرير) ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الطبعة الثانية دار المعارف ـ مصر .
15 ـ الطبري (محمد بن جرير) ـ تفسير الطبري ـ الطبعة الثانية ـ طبعة بولاق 1956 .
16 ـ الزركلي (خير الدين) ـ الاعلام ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
17 ـ الأفغاني (سعيد) اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ـ الطبعة الثالثة دار الفكر ـ بيروت ـ1974 .
18 ـ القالي البغدادي (ابو اسماعيل القاسم) ـ ذيل الأمالي والنوادر ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .
19 ـ الأصمعي (ابو سعيد عبد الملك بن عبد الملك) ـ الأصمعيات ـ تحقيق شاكر وهارون الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ مصر ـ1964 .
20 ـ الشكعة (مصطفى) ـ الشعر والشعراء في العصر الجاهلي ـ دار القلم ـ بيروت .
21 ـ السيد السابق ـ فقه السنّة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
22 ـ القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي) ـ صبح الأعشى في صناعة الانشا المؤسسة المصرية العامة .

23 ـ ابن حزم (ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي) ـ **جمهرة انساب العرب** ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف مصر ـ1961 .

24 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربي) ـ **المقدمة** ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم بيروت1978 .

25 ـ ابن رشيق (ابو علي الحسن ، القيرواني ، الأزدي) **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الرابعة ـ دار الجيل بيروت1972 .

26 ـ ابن الأثير ـ **الكامل في التاريخ** ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

27 ـ ابن عبد ربه (ابو عمر أحمد بن محمد الأندلسي) . **العقد الفريد** ـ تحقيق أحمد أمين والزين ، والأبياري ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ عن مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة1962 .

28 ـ ابن قتيبة (ابو محمد عبدالله بن مسلم) **عيون الأخبار** ـ دار الفكر ـ مكتبة الحياة .

29 ـ ابن قتيبة ـ **المعارف** تحقيق ثروت عكاشة ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ مصر1969 .

30 ـ ابن منظور (ابو الفضل ، جمال الدين ، محمد بن مكرم الافريقي المصري) **لسان العرب** ـ دار صادر ـ بيروت .

31 ـ ابن هشام (ابو محمد عبدالملك بن أيوب الحميري ، المعافري) ـ **السيرة النبوية** تحقيق السقّا ، الأبياري ، الشلبي ـ دار الكنوز الأدبية .

32 ـ الأصبهاني (ابو الفرج ، علي بن الحسين) **الأغاني** ـ نشر صلاح يوسف الخليل ودار الفكر للجميع ـ بيروت1970 ـ عن طبعة بولاق الأصلية .

33 ـ الأصبهاني ـ **الأغاني** ـ مؤسسة جمّال للطباعة بيروت ـ عن طبعة دار الكتب المصرية .

34 ـ ابو زيد القرشي (محمد بن أبي الخطّاب) **جمهرة اشعار العرب** ـ دار بيروت1978 .

35 ـ الجاحظ (ابو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب) **البيان والتبيين** ـ تحقيق فوزي عطوي ـ دار صعب بيروت .

36 ـ الجاحظ : **الحيوان** ـ تحقيق فوزي عطوي ـ دار صعب بيروت .

37 ـ الجمحي ، محمد بن سلام ، **طبقات فحول الشعراء** ـ دار الفكر للجميع ـ بيروت .

38 ـ الحموي (شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي) **معجم البلدان** ـ دار صادر بيروت1977 .

39 ـ الحيني (محمد جابر عبد العال) **في العقائد والأديان** ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر1971 .

40 ـ حتي ، فيليب ورفاقه ـ **تاريخ العرب** ـ الطبعة الخامسة ـ دار غندور ـ بيروت1974 .

41 ـ الحوت ، محمود سليم ـ **الميثولوجيا عند العرب** ـ دار النهار للنشر ـ بيروت1979 .

42 ـ الخربوطلي ، علي حسني ـ **تاريخ الكعبة** ـ دار الجيل ـ بيروت1976 .

43 ـ زيدان ، جرجي ـ **تاريخ آداب اللغة العربية** ـ الطبعة الثانية ـ دار مكتبة الحياة1978

44 ـ زيدان ، جرجي العرب قبل الاسلام .

45 ـ سميرنوف ، افغراف ـ **تاريخ الكنيسة المسيحية** ـ الطبعة التاسعة1911 تحقيق وترجمة الكسندروس مطران حمص وتوابعها للروم الأرثوذكس ـ مطبعة الفجر ـ حمص1964 .

46 ـ سالم ، عبد العزيز ـ تاريخ العرب في العصر الجاهلي ـ دار النهضة ـ بيروت .

47 ـ الشهرستاني (ابو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبـي بكر أحمـد) الملل والنحل ـ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ـ منشـورات مؤسسـة الحلبـي وشركاه ـ القاهرة 1968 .

48 ـ شيخو ، لويس اليسوعي ـ النصرانية وآدابها ـ مطبعة الآباء المرسلين ـ اليسوعيين بيروت 1926 .

49 ـ شيخو ـ شعراء النصرانية .

50 ـ شيخو ـ المشرق ـ بيروت 1908 .

51 ـ شوقي ، أحمد ـ الطبعـة الشانية ـ تحقيق فوزي عطـوي ـ دار صعـب ـ بيروت 1973 .

52 ـ صبّاغ ، ليلى ـ المرأة في التاريخ العربي قبل الاسلام ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق 1975 .

53 ـ ضيف ، شوقي ـ تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ـ الطبعة الثالثة دار المعارف ـ مصر 1976 .

54 ـ علي ، جواد ـ المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين بيروت ـ ومكتبة النهضة بغداد 1978 .

55 ـ طبارة ، عفيف عبد الفتـاح ـ اليهـود في القـرآن الـكريـم ـ دار العلـم للملايين الطبعة السادسة .

56 ـ قـرم ، جورج . تعـدد الأديان وانظمـة الحـكـم ـ دار النهـار ـ بـيروت 1979 .

57 ـ لوبون ، غوستاف ـ حضارة العرب ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت 1979 .

58 ـ المبرد (ابو العباس ، محمد بن يزيد النحوي) الكامل ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .

59 ـ متز ، آدم ـ الحضارة الاسلامية ـ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة الخانجي القاهرة ـ ودار الكتاب العربي بيروت 1967 .

60 ـ مظهر ، سليمان ـ قصة الديانات ـ دار الوطن العربي للطباعة والنشر ـ بيروت .

61 ـ المسعودي ، (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي) **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ـ طبعة أولى ـ دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت 1965 .

62 ـ المفضّل الضبيّ (ابو عبد الرحمن بن محمد بن يَعْلى) ـ **المفضليات** ـ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف بمصر1976 .

63 ـ نعمة ، نهاد توفيق ـ **الجن في الأدب العربي** ـ المطبعة المخلصية ـ صيدا 1961 .

64 ـ هيكل ، محمد حسين ـ حياة محمد ـ الطبعة الثالثة عشر ـ مكتبة النهضة المصرية1968 .

65 ـ ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران .

66 ـ يحيى ، لطفي عبد الوهاب ـ العرب في العصور القديمة ـ الطبعة الثانية دار النهضة العربية ـ بيروت1979 .

ج ــ دواوين الشعر :

67 ـ ديوان الأعشى ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

68 ـ ديوان امرىء القيس ـ تحقيق حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ ط الخامسة .

69 ـ ديوان امرىء القيس دار صادر ـ بيروت .

70 ـ امرؤ القيس ، حياته وشعره ـ تحقيق الطاهر أحمد مكي ـ دار المعارف مصر ـ الطبعة الثانية 1970 .

71 ـ ديوان أوس بن حجر ـ تحقيق محمد يوسف نجم ـ دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

72 ـ ديوان النابغة الذبياني ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

73 ـ ديوان الحطيئة الذبياني ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

74 ـ ديوان أمية بن أبي الصلت . تحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي ـ مطبعة العاني ـ بغداد 1975 .

75 ـ ديوان الخنساء ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت .

76 ـ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ شرح محمد عزّت نصرالله .

77 ـ ديوان حاتم الطائي ، دار بيروت 1974 .

78 ـ ديوان زهير بن أبي سلمى ـ صنعة الأعلم الشنتمري ـ تحقيق فخر الدين قباوة ـ المكتبة العربية بحلب .

79 ـ ديوان طرفة بن العبد ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

80 ـ ديوان عبيد بن الأبرص ـ دار بيروت ـ 1979 .

81 ـ ديوانا عروة بن الورد والسموأل ـ دار صادر ـ بيروت .

82 ـ ديوان عنترة ـ مكتبة كرم ـ دمشق ودار الكاتب العربي ـ بيروت ودار صعب وصادر بيروت .

83 ـ ديوان عُبيد الله بن قيس الرقيات ـ دار بيروت 1980 .

84 ـ ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق ناصر الدين الأسد ـ الطبعة الثانية ـ دار صادر ـ بيروت 1967 .

85 ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ـ دار صادر ـ بيروت .

86 ـ شرح المعلقات السبع ـ الزوزني ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الثانية 1972 .

87 ـ المعلقات العشر ـ تحقيق فوزي عطوي ـ الشركة اللبنانية للكتاب ـ بيروت 1969 .

88 ـ ديوان عروة بن الورد ـ دار صادر ـ بيروت .

89 ـ ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي ـ الطبعة الثانية ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق .

90 ـ ديوان الحطيئة ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

1981- 5- 50

هذا الكتاب

هذا الكتاب محاولة لفهم الواقع الديني الذي كان عليه الإنسان في الجاهلية ، ونظرة ذلك الإنسان إلى الكون والحياة . لقد عرف ذلك الإنسان أشكالاً وطرائق متنوعة ومتباينة في عبادته ، سواء عبادات الوثنيين وعباد النجوم والصابئة ، وهي ألوان من العبادة تفسر علاقة الإنسان الجاهلي بالوجود .

ومؤلف الكتاب ، الأب جرجس داود ، أقدم على جمع وتنسيق ودراسة تلك العبادات ، على نحو تاريخي وموضوعي منتظم في نهج من التأليف العملي المتميز .

وبعد ، يكشف هذا الكتاب عن فترة تاريخية بأسلوب عقلاني هادف إلى كشف المزيد من المعارف وأنماط الحياة والتفكير التي انبثقت منها عبادات الانسان الجاهلي ، وأثر الاديان السماوية المقدسة على تطور الشعوب من العصر الجاهلي لغاية حاضرنا .



المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع